عبد الفتاح حسين الزيات

المسيحية

مركز الرايه للنشر والإعلام

مركـز الرايــة للنشــر والإعــلام

أسسه أحمد فكري عام ١٩٩٤

اسـم الكتـاب : المسيحيــة

المـؤلف : عبد الفتاح حسين الزيات

فكـرة الغـلاف : احمد فكرى

تصميم الغـلاف : الفنان عمرو فهمى

الطبعة الثالثـة : ٢٠٠١

كلمة الناشر

تعتبر الكتب السماوية على اختلاف مسمياتها كتاباً واحداً لما تتضمنه من المبادئ الأساسية للرسالات السماوية وإن تعددت أبوابها وتنوعت فصولها ولكن يبقى فى النهاية إتحاد الهدف والغرض ما دام المصدر واحد .

السابقون واللاحقون من أهل الملل السابقة على الإسلام تناولوا كتبهم بأيديهم فاعملوا فيها ما يتراءى لهم مما لا يقره قانون السماء من وجوب إحترام قدسية رسالات أنبياءهم فكان هذا الكتاب حزمة ضوء توضح الحقيقة لكل ذى عينيين .

ويؤكد فى النهاية على أن الدين عند الله الإسلام .

الناشر

أحمد فكرى

مدير مركز الراية للنشر والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل فى محكم كتابه الكريم : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ (البقرة : ٢٨٥) .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾ (النساء : ١٣٦) .

وقوله : ﴿ **وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين،وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (المائدة : ٤٦) .

وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، القائل فى صحيح البخارى : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم – عليه السلام – حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية

ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ، ثم قال أبو هريرة راوى الحديث :

وإقرأوا إن شئتم :« وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » رواه الشيخان والترمرى . وقال - صلى الله عليه وسلم- : « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » (رواه الشيخان وأحمد) .

وقال : « والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص [1] فلا يسقى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » .

وعن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين . لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهراً أو أربعين عاما ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين إثنين عداوة » رواهما مسلم .

قال عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - مكتوب فى التوراة صفة محمد وصفة عيسى بن مريم - صلى الله عليهما وسلم ، ويدفن عيسى مع محمد - صلى الله عليه وسلم » رواه الترمزى بسند حسن .

وبعـــــد

فإن إقتراب المسلم من البحث فى اصول الديانة المسيحية ، رسالة ورسولا أمر له محاذيره وحساسيته ، لأنه يختلف كل الإختلاف عن إقتراب المسيحى من هذا البحث ، فالفرق كبير من وجوه .

لقد شب المسيحي وهو يعتقد إعتقادا جازما ان الديانة المسيحية هي .. الديانة الوحيدة الحقيقية ، مع الديانة اليهودية ، بالطبع- الممهدة

(١) القُلاص جمع قلوص وهي الناقة الشابة ، أي يزهد الناس فيها لكثرة الأموال .

للمسيحية، وأن ما عداهما ، وهم ، وباطل وخرافات واساطير ، وهذا يوضح الجهل بالروح الطيبة التى يبدلها المسلم دائما نحو عيسى وأمه مريم ، هذه الروح التي تنبع من إيمانه العميق الذى جاء فى القرآن الكريم ، والدليل على ذلك أن المسلم لا يذكر إسم المسيح الا مقرونا - عليه السلام - وأمه العذراء المطهرة البتول .

ولعل من المفارقات التى لم يستوعبها المسيحى ، أن لفظ المسيح جاء ذكره فى القرآن الكريم خمسة أمثال ذكر النبى محمد صلى الله عليه وسلم : ومع ذلك ورغم هذه الحقائق الواضحة فإن النصرانى يعتقد أن الله قد إختار بنى إسرائيل ، وأفرزهم عن جميع الشعوب ، لتلقى الوحى ، وإئتمنهم على رسالاته ، وإبتعث الأنبياء منهم ، كما تقرر توراة اليهود ذلك .

« لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد إختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض [1]والقرآن الكريم يشير إلى ذلك :

قال تعالى : **﴿ ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ، وآتيناهم بينات من الأمر فما إختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾** (الجاثية :٦،٧) .

وبناء على ذلك فإن المسيحى يؤمن فقط بأنبياء ومعلمى الدين من بنى إسرائيل وحدهم، وينظر إلى ما عداهم على أنهم مدعون النبوة دجالون وكذبة وهذا الايمان وليد تحذيرات يسوع المسيح - عليه السلام - فى قوله : « لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة ، وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم» (إنجيل متى ٢٤:٢٤،:٢٥).

(١) سفر التثنية ٦:٧ .

ويقول يوحنا ، فى رسالته الأولى ٢:١٨-٢٠ .

« أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة ، وكما سمعتم أن ضدَّ المسيح يأتى قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون ، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا ، وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ » رسالة يوحنا الأولى ٢:١٨-٢٠ .

ولقد بذلت الإرساليات المسيحية ومراكز التبشير المنتشرة فى أماكن كثيرة من دول العالم، قصارى جهدها لتحقيق وتأكيد أن مؤسسى الأديان الأخرى ، إنما هم أشرار ومدلسون ، وذلك ليتمكنوا من الدعوة بأن يسوع [1] المسيح - عليه السلام - هو الوحيد ، هو الطريق والحق والحياة ، كما قال يسوع عن نفسه .

قال له يسوع : أنا هو الطريق والحق والحياة ، ليس أحدا يأتى إلى الآب الا بى » يوحنا ١٤:٦ .

ومن المؤلم أن من يقرأ كتب المسيحية ، وما يقولونه عن النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنه سيكتشف تصورهم الدينى ، وتحاملهم على نبى الإسلام - عليه الصلاة والسلام - وهو تحامل ليس له مبرر معقول أو مقبول ، أظهرهم بمظهر العاجز عن رؤية الحق والطريق والحياة التى بشر بها نبيهم - عليه السلام - - والذى نبه إليها فى قوله : « وتعرفون الحق والحق يحرركم » يوحنا ٨ : ٣٢ ويندد بؤلئك الذين أعموا عيونهم عن رؤية الحق قائلا : « تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله » (متى ٢٢:٢٩) .

وإذا ما إكتشفوا أى شئ مشابه لما عندهم فى الديانات الأخرى ، فعوضا

(١) كلمة « المسيح» مشتقة من الكلمة العبرية « مسياح» ومن الكلمة العربية « مسح» بمعني ذلك ودهن بزيت « ليصبح الجسد أكثر صحة وأكثر راحة » وكان الكهنة والملوك يتم مسحهم بالزيت عندما عندما يعينون في المناصب الرفيعة ، لكن اللفظ أخذ معني منفردا مختصا بسيدنا المسيح عيسي - عليه السلام . .

عن الشعور بالغبطة والسعادة لهذا التشابه الدينى ، سرعان ما تثبط همتهم وتفتر عزيمتهم ، ويسارعون بقولهم : إن هذا التشابه إنما هو أثر من آثار النفوذ المسيحى ، ومدى تغلغل التعاليم المسيحية فى القلوب . ومن المسلمات الايمانية لدى المسلم ، الاعتقاد فى أصول جميع الأديان الأخرى الأصلية ، وأن الله - سبحانه وتعالى - ارسل الأنبياء فى كل موطن ولكل أمة ، ليقودوا الناس إلى الطريق والحق والخير والبر . ولأن الله هو الخالق المعبود الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى لا يشبه أحداً ولا يشابهه أحد ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فلا يمكن أن يتحيز لشعب ويفرزه عن الشعوب الأخرى ، ليتنزل عليه الوحى من دون خلق الله أجمعين .

وإن الإنسان المسلم - على وجه الخصوص - ليشعر بالأسى والأسف عندما يرى كيف أن اليهود والنصارى ، بنوع ما ، نبذوا وحرفوا تعاليم موسى وعيسى ، المنزلة ، ومع هذا فإن الإنسان المسلم ، بنوع من الادب المأمور به ، وإمتثالا لأمر الله تعالى ؛ لا يملك الا أن يكن لهم كل إحترام وتبجيل ، ويدين لهم بالحب والتوقير والإجلال ، كحبه وتوقيره وإجلاله لنبيه محمد - صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

إن هذا هو الإيمان الحق ، المأمور به شرعا ، الذى يعلنه القرآن الكريم بالنسبة للمسيح عيسى بن مريم ، ومحمد بن عبد الله - عليهما الصلاة والسلام إيمان منزه عن الهوى ، مبرأ من الغرض ، بعيد كل البعد عن التعصب والإفراط ، وإذا حدث - وهذا كثير- أن أجد نفسى على خلاف مع إخواننا المسيحيين ، فإنما هو خلاف حول تناولهم للنص الإلهى والشكل المحرف الذى ظهر به ، والصورة التى آل إليها بالزيادة ، أو بالنقصان ، أو بالتغيير والتبديل وخصوصا بعد رحيل يسوع المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - من العالم بعد أن رفعه الله إليه ، منقذا له من مؤمرات اليهود ومكايدهم .

يقول اللورد هدلى :

« الإسلام والمسيحية ، كما بشر بهما يسوع المسيح ، ذاته وعلّم، ديانتان

شقيقتان إذا إستمسك بهما الإنسان ، بعيدا عن تعقيدات العقائد الكنسية والاصطلاحات الكهنوتية ، التى ربما يكون جيداً جداً الإستغناء عنهما » .

إننا كمسلمين ، نعتقد إعتقاداً جازما فى معجزات عيسى - عليه السلام وأنه كان واحداً من أعظم رسل الله ، وأنه من أولى العزم من الرسل وأنه كان المسيح الحق ، وأنه ولد بمعجزة دون إتصال رجل بامرأة .

- وهذا على خلاف ما يقول به كثير من المسيحيين ، بل إن منهم من يرفضه تماما - ونؤمن أيضا بأنه أحى الموتى بإذن الله ، وأنه أبرأ الاكمه والأبرص إنه إيمان يدخل فى صلب العقيدة الإسلامية ، لايستطيع أى مسلم ، بل لايجرؤ أن يمارى فيه مراءا ظاهراً أو باطنا ، على أن الارتياب والشك وعدم الثقة ، التى تلازم الكثير من المسيحيين ، لم يستطيعوا بل لم يحاولوا أن يتخلصوا منه لأنه تغلغل فيهم وسرى فيهم مسرى الدم في العروق لأنهم أشربوا هذا الارتياب منذ قرون عديدة ودربوا على أن يعتقدوا أسوأ الاعتقادات فى الإسلام رسالة ورسولا وقد تدفع الحقيقة بعض الرجال - ايا كان دينه ومذهبه - على أن يقولها فهذا واحد منهم ، كان ثاقب النظر عندما قال عن بنى جلدته من المسيحيين ، منذ أإكثر من مائة وخمسين عاما ، قال كارليل « هذه الأكاذيب التى كلناها بحماس حول ذلك الرجل- يقصد محمداً - عليه الصلاة والسلام - إنما هى مشينة لنا وحدنا »

ومنهم من أوجد أو إختلق نصوصا تصرح بأن عيسى - عليه السلام - هو الذليل المهين الحقير المضروب بالحذاء على رأسه ، الذى يلبس ملابس الأرجوان الذى يستغيث ولا مغيثا ، ويصرخ ولا منقذ «الوى الوى لما شيقتنى» الذى تفسيره : إلهى إلهى لماذا تركتنى ، مرقص ١٥/٣٥.١٠ .

فكيف يكون إلهاً ويستغيث بإله آخر ، بل كيف يكون إلها من يعلق على الصليب وتنزل به اللعنة ، بناء على حكمه الصادر فى التوراة : « لأن المعلق ملعون من الله » تثنية ٢١/٢٣. ، كيف يقبل عاقل إن ينسب هذا لنبى من الأنبياء . ومنهم الحاقد المبغض ، الكاره ، المنكر لكل فضيلة أو

منزلة يحصل عليها المسيح - عليه السلام - فأعطى لنفسه الحق فى أن يتلاعب بالنصوص تبعا لخلجات نفسه ، ونزغات الشيطان من داخله ، كما حدث من « بولس » الذى حقد على دعوة المسيح ، مع أنه تظاهر بأنه تابع له ومخلص فى حبه ، ولكنه كان يعمل على تقويض دعوته من وراء ستار ، ولكنه لم يستطع ، فكان ان إنضوى تحت لواء المسيح - عليه السلام - على مضض ، متحينا الفرصة للإنقضاض ، وإتخذ اسلوبا آخر للكيد للدعوة ، فكان أن ألف كتابا ، أرسى فيه قواعد صارت ضمن التشريع المعمول به عند النصارى وكان لتعاليمه أثر واضح فى تحريم ما أحل المسيح، إما من عند نفسه وإما أخذا من العهد القديم ، بل إنه إقتحم العهد القديم ، فأحل بعض ما حرم فيه وقد ، قام بهذا دون إعتبار للنصوص أو ما جاء فى الإنجيل .

وبين هؤلاء وهؤلاء ، وجد قوم معتدلون فى تناولهم للنصوص ، وتعاملهم معها وفهمهم لها ، ومن العجيب أن كلا الفريقين كان يحاول أن يجتذ بهم لصفه وضمهم إلى معسكره وكأن المسألة أصبحت حربا بين الطرفين ، فى هذا الجو المضطرب ، وتلك النزعات الشخصية ، وظهور ما أطلق عليه حركات الإضطهاد الدينى التى كانت تقوم بها الدولة الرسمية ، بدأ تدوين النصوص المعروفة الآن ، وقد إستغرق هذا التدوين سنين طويلة ، بلغت المئات ، وخلال هذه السنين تعرضت النصوص للتغيير والتبديل والحذف والإضافة ، بل إن الاهواء والأغراض لعبت أدوارا خطيرة فيها ، وقد صرح القرآن بأن أهل الكتاب السابقين قد تصرفوا فيما لديهم من تعاليم ورثوها عن أنبيائهم تصرفا قد أخرج النص عن الصورة المنزل بها ، أو التى يهدف إليها ، مثل قوله تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾ (البقرة ٧٥) .

وقوله : ﴿ **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وإنهم الا يظنون ، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من**

عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ (البقرة : ٧٨-٧٩) .

إذا المسألة أساسها النص ، وكيفية فهمه والتعامل معه [١].

ومع ذلك ، إنتصر شاول الذى هو بولس » أعمال الرسل ١٣:١٩ على السيد المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - بتجميد دعوة التوحيد المؤسسة على تعاليم التوراة ، وبالتالى : صياغة ديانة ، هى مجموعة أخلاط من وثنية فارسية ، ووثنية هندية ، ووثنية فرعونية ، مع تعاليم باهتة لموسى وعيسى - عليهما السلام - هى الديانة الراهنة عند المسيحيين، وهى هى غير دين المسيح عيسى بن مريم ، والتى يبرأ منها .

هذه الديانة النابعة من خيالات ، وأوهام بولس ، إذ كثيرا ما يقع فى غيبوبة فيفيق ، فينطق بهذيان « وحدث لى بعدما رجعت من أورشليم ، وكنت أصلى فى الهيكل أنى حصلت فى غيبوبة ، فرأيته قائلا لى : إسرع وأخرج عاجلا من أورشليم ؛ لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى » أعمال الرسل ٢٢:١٧-١٨) .

ويشهد بهذيان بولس ، الأمير « فستوس» الوالى الرومانى على أورشليم على إثر إحتجاج بولس « وبينما هو « بولس » يحتج بهذا ، قال فستوس بصوت عظيم : أنت تهذى يا بولس ، الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان » . وعلى الرغم من أن المبادئ التى قامت عليها تعاليم السيد المسيح - عليه السلام - وأنه جاء فرقانا ، وأعلنها صريحه بين بنى إسرائيل ، فقال : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما ، بل سيفا ، فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والأبنة ضد أمها ، والكنّة ضد حماتها ، واعداء الإنسان أهل بيته ، من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ، ومن وجد حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجلى يجدها ، من يقبلكم

(١) إنظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل للمسعودى .

يقبلنى، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى، من يقبل نبيا باسم نبى، فأجر نبى يأخذ ومن يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ» (إنجيل متى ١:٣٤-٤٢) .

وجاء هذا النص فى معناه ، مع إختلاف الألفاظ ، فى إنجيل مرقس ١٠:٢٨-٣١ وهكذا ، ملأ قلوب تلاميذه بالطمأنينة ، ولكنه لكى لاتمتلئ قلوبهم كذلك بالغرور ، قال لهم : « ولكن كثيرين أولون يكونون آخرين ، والآخرون أولين » مرقس ١٠:٣١ أى لاتظنوا إنكم إذا كنتم أول الذين ضحوا بكل شئ من أجلى - ستكونون أعظم الجميع أجرا، لأن كثيرين ممن سيأتون بعدكم ، إذا كانت تضحيتهم أعظم من تضحيتكم ، فسيكون أجرهم أعظم من أجركم ومن ثم يتقدمونكم » .

وابتدأ بطرس يقول له - أى للسيد المسيح - عليه السلام - ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك ، فأجاب يسوع وقال : « الحق أقول لكم : ليس أحد ترك بيتا أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو إمرأة أو أولادا أو حقولا ، لأجلى ولأجل الإنجيل ، الا ويأخذ مئة ضعف ، الآن فى هذا الزمان بيوتا وإخوة وأخوات وأمهات وأولاد وحقولا مع إضهادات ، وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » إنجيل مرقس ١٠:٢٨-٣١ .

وبالنظر فى هذه التعاليم ، وإستمساك السيد المسيح ، بتعاليم التوراة « ماجئت لأنقض الناموس .... » يتضح بما لا يدع مجالا للشك ، تناقض محيِّر ، إذ أن التوراة قد أقرت اكرام الوالدين ، لاشق عصا الطاعة عليهما ، أو ادخالهما فى زمرة الأعداء ، « اكرم اباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك » إنجيل متى ١٩:١٩.

« لأن موسى قال : أكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا » ومن وصايا المسيح - عليه السلام - لنجاح الدعوة ، أنه قال :

« مجانا أخذتم مجانا أعطوا ، لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم ، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ، لأن الفاعل مستحق طعامه » (إنجيل متى ١٠:٨-١٠)

فهذه نماذج للتضارب فى النصوص ، وعدم إحترام قدسية النص بالمرة مما كان له أبشع العواقب فى المستقبل ، عواقب عانت منه الكنيسة فى الماضى وما زالت تعانى منه فى الحاضر ما لم يتدارك هذا الأمر ، بل إن الكنيسة ستظل منقسمة على نفسها ما لم يهتدوا إلى الحق وإلى سواء السبيل .

ولو أضفنا إلى النص ، الإستعداد النفسى ، ودرجة القبول ، ربما سنخرج بنتيجة أخرى وهى : وجود كتاب بشرى بالدرجة الأولى ، حل محل الكتاب الإلهى .

وقد نسب إلى السيد المسيح - عليه السلام - عدم رضائه ، بل رفض لما فعل الكتبة والفريسيون وذلك فى قوله :-

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحداً ، ومتى حصل تصنعونه إبنا لجهنم ، أكثر منكم مضاعفا ،ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الناقوس الحق والرحمة والإيمان ، أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلغون الجمل ... ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تشبهون قيوداً مبيضة ، تظهر من خارج جميلة وهى من الداخل مملوءة عظام أموات ، وكل نجاسة ، وهكذا أنتم أيضا من خارج ، تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحولون رياء وإثما ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء ، وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون : لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركنا فى دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم ، أيها الحيات أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونه جهنم .. » (إنجيل متى ٢٣/١٤-٣٦) .

وقال المسيح - عليه السلام - ناعيا على المغالين ومن تبعهم فى ضلالهم ، كما جاء فى إنجيل متى أيضا : فقد تقدم التلاميذ إلى المسيح - عليه السلام - وقالوا له : أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا ؟ فأجاب وقال : كل غرس لم يغرسه أبى السماوى قلع ، إتركوهم عميان قادة عميان ، وإذا كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة (إنجيل متى ١٥/١٣،١٤) .

ويقول القس : أ- باول ديفز ، رئيس كنيسة جميع القديسين فى مدينة واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية فى كتابه "مخطوطات البحر الميت " [١] « من العسير أن نكتب تاريخا مؤكداً لعيسى ، إن المادة التى لدينا مشكوك فيها جداً ، وليست كافية على أية حال » .

ثم يستطرد قائلا : « إن الباحثين سدنة الكنيسة « حرفى الدين » كانوا يأملون أن الأناجيل ، بالرغم مما تعرضه من حلول لمشاكل الحياة فإنها قد تعطى ليسوع المسيح ، صورة على أنه مخلص ، أورب ، لهذا العالم ، ولكن من الجانب العملى ، لو كان إيمانهم أكثر تحديداً وتجددا ، أو أكثر تحرراً ، لكانوا يأملون فى أن يكون يسوع المسيح ، نبيا ومعلما ، له ذاتيته الفذة المتحررة من الزمان والمكان » .

ثم يقول أيضا : « حقيقة ، إن إعادة بناء آرائنا ، فى أصول العقيدة الدينية المسيحية يستلزم ويستغرق وقتا ليس بالقصير ، وسوف يستلزم أيضا وبدون شك جدلا طويلا » .

« ولكن لعل هذا هو الحافز ، للبدء فورا فى عملية إعادة بناء آرائنا فى أصول العقيدة المسيحية ، وذلك أفضل جداً من تأجيلها » .

ثم يقول :

« إن الذين يبغون الحق أولا وأخيرا ، سوف لا يهابون المعرفة الجديدة ، ولن يتوانو عن عمل التضحيات » .

---

(١) سوف نشير الي هذه المخطوطات في ثنايا الكتاب .

ثم يقول فى الصفحة الأولى من الكتاب المشار إليه :

« إن مخطوطات البحر الميت ، وهى أعظم الإكتشافات أهمية ، منذ قرون عديدة ، قد تغير الفهم التقليدى للإنجيل » .

وفى الصفحة الثالثة عشرة يقول :

« إن يسوع المسيح كشخصية تاريخية ، كاملة ، يبدو غريبا لنا اليوم ، ولكن روحه التى تكمن فى كلماته ، التى تشع البساطة ، لها تأثيرها المباشر ، لأنها من القلب إلى القلب » .

ويمضى المؤلف فيقول : « وهكذا نرى أن الشخصية الجديدة ، ليسوع المسيح التى لم يفهمها المسيحيون ، آخذة فى الظهور ، وكلها جمال وكلها إخلاص ، وكلها تواضع ، وكلها محبة ، محبة فى خدمة رب الوجود ، وخدمة إخوانه البشر ، الذين ما زالوا يرزحون فى القيود والأغلال » .

* * *

تمهيد

قال تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ (البقرة :٢٨٥).

معنى هذا أن المسلم لا يعتبر مسلما إن لم يؤمن بعيسى بن مريم رسولا من عند الله ، ولذلك ستظل نظرة المسلم إلى المسيح عيسى بن مريم ، نظرة إكبار وتقدير وإحترام ، مثله فى ذلك مثل سائر الرسل صلوات الله عليهم أجمعين .

وقال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب** ﴾ (الشورى :١٣) .

وقال رسول الله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم : « الأنبياء أخوة العلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد » .

وبما أن الأمر هكذا من الوضوح ، فمن أين جاء التفاوت والخلاف والإختلاف ؟ ولماذا التصارع والتطاحن والتناطح بين أهل الأديان ؟ إن لب دعوة الرسل جميعا ، التوحيد الخالص لله رب العالمين .

والقرآن الكريم يركز على هذه النقطه الهامة فى حياة الأمم الدينية فى آيات كثيرة ، والسابقون الأولون كانوا يؤمنون إيمانا قاطعا بهذه الحقيقة ، فلم يحاول أى منهم أن يخرج بنص يصادم به نصا آخر لأهل ملة أخرى ، أو يفتح بابا المفاضلة والتفضيل لدين على دين الامن خلال النصوص الالهية ،

وبما يراد به بيان وجه الحقيقة فى المسألة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .

وهذا ما سوف نلتزم به - إن شاء الله - فى تناولنا لهذا الموضوع ، لأننا على ثقة من حساسية هذا الموضوع ، ولذلك سننأى بقدر المستطاع عن أى لون من الوان التحامل أو التعصب ، التى قد يلجأ إليها بعض المتعصبين أو المتشددين ، ولذلك سنلتزم الحياد ، وغايتنا الوحيدة ، بيان وجه الحقيقة، والحقيقة وحدها ، لأننى أعلم أن الشيطان يقف متربصا متحفزا كى يمارس هوايته المفضلة وهى الوقيعة ، وبذر بذور الفتنة ومحاولة النفخ فى نار الخلاف حتى تزيد إشتعالا ، فتزيد هوة الشحناء إتساعا ، وتصبح نقطة الإلتقاء بعيدة ، بعيدة .

ومبعث الخلاف والإختلاف - فى ظنى - يرجع بالدرجة الأولى إلى قضية « التدين » ، تلك القضية التى أثارت الكثير من الجدل ، وصل فى بعض مراحله إلى نوع من الحدة ، ادت إلى ضرب النصوص ، بعضها ببعض ، ولعبت النزعات الشخصية ، والأهواء والمطامع أخطر الأدوار ، فى إذكاء الخلاف حتى أصبحت النظرة السائدة شكا وإرتيابا وعدم إطمئنان .

وهناك عامل لا يقل أهمية عن عامل « النص » هو عدم إحترام قدسية النص الموحى به بالقدر اللائق ، وهذا ينطبق على اليهودية والنصرانية فقط، أما النص الإسلامى فظل بمنأى عن التلاعب أو اللعب به من قريب أو بعيد ، إنها إرادة الله فى قوله تعالى:﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ وقد حاولها بعض كفار قريش فى فجر ظهور الإسلام ، فلم يفلحوا ، وباءوا بالخزى والخسران ، نعم لم يستطيعوا الاتيان بآية واحدة .

والجن ، أحد الثقلين ، شهد لتفرد القرآن بخاصية الاعجاز اللامتناهى وذلك فى سورة تسمى سورة الجن : ﴿ **قل أوحى إلىّ أنه إستمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** ﴾ .

أما التوراة والانجيل فلهما شأن وأى شأن ، إذ إعتراهما التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ، والتحريف حتى خرجا عن أن يكُونا كتابين إلهيين .

إننا نؤمن بما قاله موسى - عليه السلام - لقومه بنى إسرائيل ، فقد كان هذا وحيا من الله ، ولكننا بالقطع لا نؤمن بما نسبه اليهود والنصارى من أن موسى هو مؤلف تلك الكتب الخمسة المنسوبة إليه .

وأما كلمة « إنجيل » فتعنى « البشارة » وقد تكرر إستعمالها كثيرا ولكن ما هى البشارة التى كان يبشر بها عيسى-عليه السلام- ؟ لا أحد يدرى ، فمن بين السبعة والعشرين كتابا فى العهد الجديد - وهو احد شقى الكتاب المقدس - لا يوجد الا إشارات قليلة جداً لكلام عيسى ، ولكن ليس بالنص ، وإلا فليس ثمة مشكلة ، ولكن النصارى كثيرا ما يتباهون بالإنجيل كما دونه القديس متى ، والإنجيل كما دونه القديس مرقس والإنجيل كما دونه القديس لوقا ، والإنجيل كما دونه القديس يوحنا .

فإذا ذهبت تبحث عن الإنجيل كما دونه عيسى ، فإنك لا تجد ، مع أننا نؤمن بأن كل ما كان يقوله عيسى - عليه السلام - كان وحيا من الله ، وأنه الإنجيل « البشارة » إلى بنى إسرائيل .

وخلال الفترة القصيرة الأمد ، لنبوة عيسى بين بني إسرائيل- ، نجد أنه لم يكتب كلمة واحدة ، كما أنه لم يأمر أحداً أو يوصى أحداً بأن يكتب عنه، ما يتنزل به الوحى من السماء ، وما نراه الآن من أناجيل إنما هى مدونات ، بأيد مختلفة .

فقدأقر النصارى ، جميعهم على إختلاف طوائفهم ، ان الأناجيل الأربعة عبارة عن تواريخ ، الفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة ، فالأنجيل الأول : الفه « متى » اللاوانى ، تلميذ السيد المسيح - عليه السلام - بعد تسع سنين من رفع المسيح - عليه السلام - .

والإنجيل الثاني :

الفه « مرقس » الهارونى ، تلميذ شمعون بن بوتا بعد إثنين وعشرين عاما من رفع السيد المسيح - عليه السلام - .

الإنجيل الثالث :

الفه « لوقا » الطبيب الأنطاكى ، تلميذ شمعون باطرة بعد تأليف مرقس لأنجيله بعدة سنوات .

الإنجيل الرابع :

الفه « يوحنا » وهو عبارة عن تاريخ ، ويوحنا هذا تلميذ السيد المسيح - عليه السلام - وقد الفه بعد رفع السيد المسيح بستين سنة . وهناك كتاب ، لا يقل أهمية عن الأناجيل الأربعة المتقدمة وهو كتاب «الأفركسيس » وهو كُتاب الفه « لوقا » وكتاب « الوحى والإعلان» الذى الفه « يوحنا » ذكر فيه ما رآه من الأحلام ، وهو مملوء بالخرافات الكثيرة .

أما الإنجيل الأصلى ، أو النص الإلهى ، فقد إختفى ، فى أثناء الفترة التى كان النصارى يختفون بدعوتهم أو يستعملون السرية فيها ، وهى فترة قاربت ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح - عليه السلام - ولم يبق منه الا القليل ليكون حجة عليهم ، وشهادة ضدهم أمام الله والناس .

والتوراة - الشق الأول للكتاب المقدس - وهى غير التوراة المنزلة جملة وتفصيلا ، فهى توراة بشرية ، كتبها حاخامات اليهود واحبارهم بعد أن حرفوا وبدلوا وحذفوا وأضافوا وأخرجوا لنا « توراة تفصيل » تناسب اليهود فى كل شئ ، غلبت عليها الصبغة الدنيوية ، وحوت الكثير والكثير من النقائص والمعايب والمثالب التى لم يسلم منها أحد من الجنس البشرى - سوى اليهود فقط - وصبوا فيها جام غضبهم وأفرغوا مخزون كراهيتهم لأمم الأرض أجمعين وكأن الحقد يأكل قلوبهم لوجود غيرهم فى الحياة . فألفوا التلمود وإمعانا فى تغريب الفضائل ، ومحاربة كل جميل ، والإفراط فى الدموية ، ألفوا عليه : المشنا والجمارا ، والأفعى لاتلد إلا أفعى .

وأصبح التلمود كتاب بنى إسرائيل المقدس ، الذى به يدينون ، وعلى مبادئه يسيرون ، والويل كل الويل لمن يخالف أو ينكر أو يحتج ، أو يحيد

عن تعاليم التلمود ، من اليهود ، إن جزاءه الحرق أو النفى أو السجن ..

ومع ذلك فإن توراة اليهود « المعدلة » تمثل الشق الأول للكتاب المقدس . وكما أفرط اليهود وقالوا عزيز ابن الله ، قالت النصارى أيضا المسيح ابن الله ، نفس التفكير ونفس المنطق ، ونفس الاسلوب .

لقد أفرط النصارى فى حبهم للمسيح - حتى فرطوا ، وبالغوا فى هذا الحب حتى جنحوا بالنص عن حقيقته إلى غير هدفه ، وأضفوا من أوصاف الثناء المبالغ فيه على المسيح لدرجة أن رفعوه إلى مرتبة الألوهية أو البنوة لله ، وهذا لعمر الحق هو الكفران المبين .

ومن النصارى - من هذا المنطلق - من ذهب إلى أن المسيح صاحب قوة وجبروت ، وسلطان ، وخالق ، أو على الأقل ، مشارك لله فى خلق السماوات والأرض ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا و ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا** ﴾ .

* * *

المسيح عيسي بن مريم

نبذة تاريخية

تحققت المعجزة ، وولد عيسى من غير اب ، وارجف المرجفون ، وقال . السفهاء من الناس فى حق أمه الكثير ، مستغربين وقع الحدث ، وبعده عن التصور ، وخروجه عما هو مألوف ، إذ كيف تلد إمرأة من غير أن يمسسها بشر ؟ ولم تك بغيا ، إن هذا شئ لا يصدقه عقل .

فأشارت مريم إلى الوليد ، وإستعملت أسلوب الأشارة لأنها كانت ممنوعة من الكلام « إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا » .

فقالوا : « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا إينما كنت . وأوصانى بالصلاه والزكاة ما دمت حيا » فكانت أول كلمة نطق بها الوليد ، هى العبودية لله . ولم تمض على ولادته أيام ، فهى خلاصة دعوة الرسل أجمعين .

ويذكر إنجيل لوقا أنه حين تمت للطفل ثمانية أيام ، ذهبت به أمه إلى بيت المقدس ، ليختنوه ، حيث كان الختان عادة يهودية ، وهناك أطلقوا عليه إسم « يسوع » وهو تخفيف لاسم « يهوشع » وهذا الإسم مركب من مقطعين : يهو ومعناه الرب ، وشع ، ومعناه الهبة أو النجدة .

وذاع أمر الصبى ، وخشيت اليهود أمره ، فكان أن بيتوا الشر له ، وأوغروا عليه صدر الملك « هيرودوس» فأرى الله ، يوسف النجار ، رؤيا يؤمر فيها أن يخرج بالصبى وأمه إلى أرض مصر ، حتى لا يبطش به الملك .

فخرجوا إلى مصر ، ونزلوا فى منطقة تعرف الآن بعين شمس ، وهناك

بئر شربوا منها ، وإغتسلوا ، وغسلت مريم ثياب عيسى ، من تلك البئر ورشت الماء حول البئر ، فأنبت الله نباتا يسمى « البيلسان» لم يوجد الا فى هذا المكان ، وهذا النبات يعصر فيخرج منه زيت ينتفع به النصارى ، ثم إستأنفت العائلة رحلتهم بعد ذلك فى ربوع مصر ، حتى وصلوا إلى الأشمونين ثم إلى قرية كان إسمها « قسقسام» التى تعرف الآن باسم « القوصية » والتى يوجد بهادير المحرق ، المشهور الآن ، ثم بعد ذلك عادوا إلى الشام بعد أن هدأت الأحوال هناك [1] وخفت حدة مطاردتهم .

والمدة التى قضاها السيد المسيح - عليه السلام - بمصر لا تتعدى أربع سنوات ، إستنادا إلى أن الملك « هيرودوس » توفى سنة ٤ ميلادية .

ولكن الثعالبى وغيره من العلماء ، يرون أنه أقام فى مصر إثنتى عشرة سنة ، كانت مريم خلالها ، تغزل الكتان ، وتلتقط السنابل ، خلف الحصادين لتعول ولدها .

ولما عاد عيسى وأمه إلى الشام بعد هلاك « هيرودوس » أقام فى قرية إسمها الناصرة ، وبها كان يلقب ، وإليها ينسب النصارى .

ولما بلغ ثلاثين سنة ، أوحى الله إليه بالنبوة ، وأمره بالبلاغ والإبلاغ فخرج على بنى إسرائيل ينادى فيهم ، بما أمره الله ، ومعه معجزته التى تثبت نبوته ، وتؤكد رسالته وقد وضح الله هذه المعجزة فى الآيات ٤٨-٥٠ من سورة آل عمران ، وكذلك فى سورة مريم فى آيات كثيرة منها .

ولكن شاء الله أن يبعث عيسى ، وسط مجتمع متناقض ، لديه كره شديد للنبوة والأنبياء ، وعنده معين لا ينضب من الجدل والمراء ، ولذلك أبى أن يستجيب لدعوة عيسى ، اللهم الا قليل منهم .

وكان لقاء عيسى بيحى بن زكريا ، وهما إبنا خالة .

وكان يحيى - عليه السلام - قد ظهر بدعوته ، ورآه الناس فى ثوب

(١) تفسير القرطبي ص ٤١٤٥ .

خشن ، من الوبر ، يصوم اكثر الأيام ، ويهيب بالناس فى صوت قوى صارم: توبوا واستعدوا ، وإستنكر يحيى ما فعله « هيرودوس» ودفع يحيى حياته ثمنا لهذا الاستنكار .

والمدهش أن الأحبار والرهبان اليهود لم يستنكروا ما فعله الملك بيحى ، ولهذا قابلوا مقتله بشئ من الإرتياح ، والتشفى ، وكأنما قد أخذ بحقهم الملك . لماذا ؟

لأن يحيى - عليه السلام - كان يقول لهم :

« يا أولاد الأفاعى ، لا يهجس بأخلادكم أنكم تنتسبون إلى إبراهيم إنى أقول لكم : إن الله قادر أن يخرج من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم » [(١)] .

ومضى عيس - عليه السلام - فى دعوته ، وكما أن لكل نبى أنصار ينصرونه فى دعوته ، كان لعيسى ، حواريون ، جاء ذكرهم فى القرآن الكريم الآيتان ٢٥ ، ٥٣ من سورة آل عمران ، والآية ١٤ من سورة الصف .

وقيل إن الحواريين ، سموا بذلك لبياض ثيابهم ، وكانوا يعلمون بالصيد وقد آمنوا بعيسى ، واتبعوا تعاليمه ، وقيل إن لفظ الحواريين مأخوذ من بياض القلوب وصفائها ، حيث لا تحمل ضغنا ولا حقداً لأحد .

إستقبل اليهود دعوة عيسى ، أسوأ استقبال ، وقابلوا الحسنة بالسيئة على الرغم من أنه كان يعاملهم باللين والرفق ، ويجلس مع صلحائهم وضعفائهم ، ويشهد ولائمهم وأعراسهم ، ولكنه أبدا لم تلق دعوته هوى فى نفوسهم ، أو قبولا من داخلهم ، فركبوا مركب العناد ، وإشتطوا فى النأى والبعاد .

* * *

---

(١) عبقرية المسيح - عباس محمود العقاد ص ١١٥ .

ملامح دعوة عيسي -عليه السلام-

لكل دعوة - أيا كان مقصدها وغاياتها - سماتها المميزة ، التى تعرف بها .

ودعوة الرسل - عليهم السلام - لا تخرج عن هذا المفهوم العام .

وقد عرف عن رسل كثيرين أن دعوة كل منهم تنفرد بخاصية لا تشاركها فيها دعوة أخرى ، وهذه معجزة إلهية تقرر خصوصية طريقة الدعوة .

وشريعة عيسى - عليه السلام - تقوم على الحب الخالص ، وإحياء الروح ، لأنها جاءت مجابهة لقانون مادى دنيوى عنيف ، أرسى قوانينه ووضع نظامه ، بنو إسرائيل ، وبالغت فى هذا القانون إلى درجة العنف والقسوة . إن دعوة عيسى - عليه السلام - سلكت أسلوبا معينا فى إقناع اليهود بأن يكون الله هو المحبوب الأول ، الذى يجب أن يتجه إليه كل إنسان بوجدانه وكيانه ، وأنهم إن وصلوا إلى هذه الدرجة من الحب ، تلاشى من قلبهم أى حب آخر .

إذا فإن دعوة عيسى لم تركز على توحيد الله ، فإن بنى إسرائيل كانوا يعتبرون أنفسهم الأمة الوحيدة ، و التى تقوم بتوحيد الله ، وأن موسى - عليه السلام - قام بهذه المهمة بينهم خير قيام ، وعلى الرغم من أن هذه المقولة ، عليها ردود كثيرة بسطناها فى كتابنا عن اليهودية ، فإن السيد المسيح - عليه السلام - كان يرمى إلى تطهير قلوبهم ونقاء سريرتهم وأن يتصالحوا مع باقى البشر الذين ناصبوهم العداء بدون سبب على طول الخط .

وبما أن المال هدف أولى لدى الإنسان ، الأمر الذى من شأنه قد يتخلى الإنسان عن كثير من أخلاقه ، على رغم ما تمثله من إنسانية الإنسان ، فقد إعتنى عيسى بالأخلاق على إعتبار أنها العنصر الاساسى للإستقامة ودعا

إلى الزهد التام فى الدنيا ، ودعا أيضا إلى التسامح بين الناس ، وكانت عظاته تمثل هذا الاتجاه ، مثل قوله :

« يعوزك شئ واحد ، إذهب بع كل مالك واعط الفقراء ، فيكون لك كنزا فى السماء » .

وقوله : « ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله ، مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غنى إلى ملكوت الله » (مرقس ١١) .

قال له أحد تلاميذه : أريد أن أتبعك ، ولكن ذرنى أياما أودع من فى المنزل ، فقال له : ليس لأحد يقبض على دفة المحراث ، ثم ينظر إلى الوراء يستقيم خطه » .

أما التسامح ؛ فقد بلغ أقصاه فى قوله :

« أيها السامعون . أحبوا أعداءكم ، احسنوا إلى مبغضيكم ، إدعوا لمن يسئون إليكم ، من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الأيسر ، وكل من سألك فاعطه ، ومن أخذ ما فى يدك فلا تطالبه ، وما تريدون أن يصنعه الناس لكم فاصنعوه لهم أنتم » .

* * *

معجزات عيسى - عليه السلام-

لكل نبى من أنبياء الله معجزاته التى أختصه الله بها ، وهى معجزات تناسب الزمان والمكان وعقلية من أرسل اليهم .

وهذه المعجزات ضرورية ، بل حتمية ، لأنها جواز المرور لدعوة الرسل إلى قلوب ووجدان أقوامهم ، وقلما نجد رسولا ليست له معجزة أو معجزات حسية مؤيدة لدعوته ، لأن الأقوام فى ذاك الزمان ، كان التصديق عندهم قائما على الحس والمشاهدة ، ولذلك أكثر الله من معجزات الرسل الحسية فأجراها على أيدى رسله - عليهم السلام - الواحد تلو الآخر .

فهذا نبى الله موسى - عليه السلام - كان له من المعجزات الكثير : منها اليد والعصا وإنفراق البحر . وكلها معجزات حسية مشاهدة .

ورسول الله عيسى - عليه السلام - تعددت معجزاته أيضا ، وهى معجزات أكثرها طبية مثل إبراء الاكمه والأبرص . وإحياء الموتى بإذن الله . فهذه معجزات ، مشاهدة محسوسة تتناسب وعقلية من أرسل إليهم . ومع وجود ملكة العقل لديهم ، فإنهم لم يحاولوا - غالبا - أن يحتكموا إليه بل إنهم يصدقون - إن صدقوا - بمجرد المشاهدة ، وقد ظهر هذا جليا مع موسى عليه السلام وسحرة فرعون ﴿ **فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون** ﴾ (الشعراء:٢٦-٢٩) .

وعيسى - عليه السلام- معجزة فى خلقه ومعجزة فى ولادته ، ومعجزة فى تعلمه ومعجزة فى رفعه ، وعلى الرغم من قصر مدة بقائه بين قومه ، قيل إنها بلغت ثلاث سنوات - الا أن معجزاته تعددت بين بنى إسرائيل وهم لا يسلمون بسهولة ، مع إجابتهم إلى ما يطلبون .

طلبوا منه نزول مائدة من السماء - كما ذكر القرآن الكريم - « تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك » فأجاب الله دعوة عيسى : « إنى منزلها عليكم » وقد تم فعلا نزول المائدة ، وقال المفسرون الكثير عنها وفى حقيقتها وما كان عليها من خبز ولحم والبركة الإلهية التى صاحبتها .

قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره ، مسنداً إلى عمار بن ياسر - رضى الله عنه - أنه قال لرجل من بنى عجل : هل تدرى كيف كان شأن مائدة بنى إسرائيل ؟ قال : لا ، قال : إنهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد ، فقيل لهم : فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا أو ترفعوا ، فإن فعلتم - فإنى معذبكم عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين .

قال فما مضى يومهم حتى خبئوا ورفعوا وخانوا ، فعذبوا عذابا لم يعذبه أحد من العالمين .. وإنكم معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاه فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، وأخبركم أنكم ستظهرون على العجم ونهاكم ان تكنزون الذهب والفضة ، وأيم الله لا يذهب لليل والنهار حتى تكنزوها ويعذبكم الله عذابا اليما [١] .

واعتبر النبى - صلى الله عليه وسلم - نفسه أولى الناس ، بعيسى بن مريم فقال : « الأنبياء إخوة ودينهم واحد وأمهاتهم شتى ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى » .

وقد إختصه الله بالرفع ، بنص القرآن الكريم - أصدق الكتب السماوية على وجه الأرض ، فى قوله تعالى : ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ و ﴿ **أنى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا** ﴾ .

ورب قائل يقول : إن الله تعالى قد سبق ورفع إدريس بنص القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **ورفعناه مكانا عليا** ﴾ فهذا مردود عليه بأن رفع

(١) تفسير الطبري ، وتفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٢١ .

إدريس رفع مكانة على ما ذكر بعض المفسرين، وعلى كل حال، فقد إختلف المفسرون فى حقيقة هذا الرفع ، وهذا ما يجعل رفع عيسى مختلفا عن رفع إدريس ، إذ ان رفع عيسى لم يختلف عليه إثنان ، بل هناك مزية أخرى أضيفت إليه ، وهى النزول إلى الأرض بعد ذلك فى آخر الزمان ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية كما سبق أن ذكرنا ، يؤيد ذلك ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين** ﴾ .

* فإن كلامه فى المهد معجزة ، وتلقيه النبوة فى المهد معجزة أيضا .

فكيف يكون كلامه معجزة وهو كهل أيضا ؟ إن هذا لا يكون الا عند نزوله مرة ثانية ، بعد رفعه إلى السماء ، فإن كلامه فى هذه الحالة فى ذاك الحين ، أمر خارق للعادة يثير العجب - كما جاء فى تعريف المعجزة - من أنها أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة ..

* رفعه إلى السماء بعد إلقاء شبهه على يهوذا ، فصلب بدلا منه على أنه عيسى ونال الخائن جزاءه .

* أقر عيسى - عليه السلام - أنه برئ من كل الذين اتخذوه إلها ، من دون الله ، كما أقر بعبوديته لله « إنى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى - نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت وأوصانى بالصلاه والزكاة ما دمت حيا » ..

* حدث أنه فى يوم من الأيام ، كان يمشى بجانب بحر الجليل ، فأبصر بشخصين صيادين يرميان شباكهما ليصطادا السمك ، فصاح بهما : تعاليا معي وسأجعلكما تصطادان الناس » ولما يمتاز به من قوة الشخصية والتأثير تركا فى الحال شباكهما ، وتبعاه حواريين له ، وحينما تجول فى أرض الجليلى ، تجمع الناس حوله ليستمعوا إلى صوته الموسيقى الجذاب .

* وفى مدينة كابر نوم تقدم إليه ضابط رومانى ، ورجاه أن يشفى إبنه من مرضه ، وكان طريح الفراش مشلولا ، لا يستطيع الحركة ، وقال له عيسى : إذهب إلى إبنك وبقدر إيمانك سيكون حظه ، وفى اللحظة نفسها شفى الشاب ..

* وكان الناس فى أرض الجليلى يتهامسون فيما بينهم : إن هذا الشاب له قوى خفية ربما تكون إلهية ، وقال رجل صاحب قارب فى بحر الجليلى : إننى رأيته بعينى يصنع معجزة من معجزاته ، كان القارب يسير بنا فى البحر ، حين هبت فجأة عاصفة قوية ، وأيقنا جميعا أن القارب سينكفئ ، وكان عيسى نائما هادئا ، ، كأن شيئا لم يحدث وكنا نحن فى فزع ورعب ، فأيقظناه من نومه ، ورجوناه أن يعمل شيئا ينقذنا ، وقال لنا : لا تخافوا وإهدأوا ، ثم تكلم إلى الرياح فأنصتت لكلامه وهدأت فى الحال .

* وسمع أحد الحاضرين ، فقال متعجبا : أى نوع من الرجال هذا الشخص الذى يكلم الريح فتسمعه وتستجيب لكلامه ؟ وتهامس جماعة آخرون فقالوا : إنه هو يحى المعمدان ، عاد إلى الحياة ثانية ، وقال شخص ثالث : إن هيرود إنتباس يؤمن بذلك .

وقال الشاب صاحب القارب : إننى أرى أنه أقوى من يحى ، وأعظم ومن جانبى أعتقد أن عيسى الناصرى هو المسيح المنتظر .

* عندما كان فى الثانية عشرة من عمره ، كانت تبدو عليه صفات الباحث عن الحقيقة ، المستقل بنفسه ، ففى بيت المقدس ، إنغمس فى جدال مع الربانيين المتشددين فى المعبد اليهودى ، وظل يجادلهم لمدة ثلاثة أيام ، والناس يدهشون لأسئلته وأجوبته ، قالت له أمه : لماذا فعلت بنا هكذا ؟ فقال : إننى لابد أن أشتغل بالسؤال عن أبى ، فكانت كلمات غريبة من شاب ناشئ ، وكما جاء فى إنجيل لوقا : كانت أمه تحتفظ بكل ما يقول :-

* وفى سن الثلاثين يغادر بلده بيت لحم ، ليتجول على حافة نهر الاردن ويتصل بأتباع يوحنا المعمدان - يحى بن زكريا - وكان يوحنا أشد منه حمية ، وأعنف فى المجادلة ، أما عيسى فكان ذا رقه ولين ، وعذوبة فى القول ، كان يبحث عن العصاة الآثمين وأصحاب الخطايا ، ليرشدهم إلى التوبة ، وكان يقول : إن الاهتمام بالسعادة فى هذه الدنيا ، يوجب اللعنة الأبدية فى الدار الآخرة ، ولكنه فى ذات الوقت كان ثائرا على الاوضاع الغريبة والتقاليد الجامدة ، ويكره المنافقين .

* ثم عاد إلى قريته محملا برسالته لشعبه ، وللأسف ، لم يستقبله الشعب بما كان يرجو ، بل جوبه بالقذف بالحجارة ، وقوبل بالإزدراء وأصبح طريد الناصرة ، لا يجد مكانا يريح فيه جسده المكدود ، ورأسه المثقل بالتفكير فيما يعود على هذا الشعب من خير يرجوه لهم ، إلى أن إستطاع أن يجمع حوله الصيادين والعمال والفقراء ، إنهم طائفة من الذين ضربهم الدهر فى غير رحمة فأوجعتهم الضربة ، وصاروا معذبين فى الأرض ، ولأن المعذب يأنس إلى مثله ، والمطارد يأوى إلى سكن المطاردين ، فقد أنسوا إليه ، لأنه خاطبهم من القلب ، فسكنوا إليه ، أمرهم أن يلقوا عن كواهلهم أثقال الحياة وأوضارها ،وأن يتبعوه إلى مملكة جديدة ، قوامها الإستقامة ، والخلاص من متاعب الحياة وأن طلبتهم فى الملكوت الأعلى ، هناك ، عند الآب ، وهكذا إتبعوه إينما سار وولى ، لا يسألونه إلى أين ، بل ساروا من مدينة إلى مدينة ، ومن قرية إلى قرية لغرض واحد وهدف مقدس : التبشير بملكوت الله ، ويضعون إينما حلوا بذرة صالحة لشجرة الإيمان ، التى تظلل عباد الله المؤمنين ، ويؤسسون مملكة السماء على الأرض .

وكان عيسى يكلف بالأطفال ، ويحبهم ويحنو عليهم ، وكانو يبادلونه حباب بحب ، وحنانا بحنان ، فأينما إتجه كانوا وراءه ، وإذا وقف التفوا حوله يسألونه أن يلعب معهم ، وكان مألوفا أن تجد طفلا على كتفه ، وآخر متعلقا بزراعة ، وغيره ممسكا بطرف ثوبه ، إنه الحب المبرأ الطاهر النظيف ، حب إلهى لم تتدخل فيه توجيهات إنسان ولا تعليمات موجهة ، فكانت الأقاصيص الساحرة التى يتحدث بها عن المملكة المقبلة حبيبة لديهم ، كان يحكيها مترجما عما فى قلبه ، فكانوا لا يرون فيها شيئا مستغربا أو بعيدا عن التصديق ، كان يقص عليهم الأقاصيص لا بقصد التسلية أو التسرية ، ولكنها تعاليم من صلب الرسالة ،إذا هى حقيقة مترقبة لا مجرد خيال قاص، فمعاذ أنبياء الله أن يكون الخيال أو الأساطير من مهام رسالتهم .

كان معارضا للتقاليد التى كان عليها اليهود فى معابدهم ، واليهود فى حاجة إلى من يغيرهم تغييراً شاملا ، من رأسهم إلى أخمص قدميهم ، إنهم

أمة فريدة فى كل شئ ، خلقا وسلوكا وعادات ومعاملات وعلاقات ، فكان أن أعطاهم درسا لعلهم يتعلمون ، وأرسلها مدوية لعلهم يعقلون » « نظفوا معابدكم وأرواحكم ، تخلوا عن عاداتكم القديمة فى العبادة إعتنقوا روحا جديدة للعدالة ، إستبدلوا بتقاليدكم تقاليد الحق تقاليد العاطفة ، تقاليد المحبة والرحمة والسلام ، تباعدوا عن إدعائكم السيادة والتعالى على الأجناس والأمم الأخرى ، جميعنا أخوة فى دنيا الأسى والحزن ، وكلنا أبناء أبينا الذى فى السماء ،أحبوا بعضكم بعضا ، كفوا عن ظلم بعضكم بعضا ، بسبب تهافتكم على جمع حطام الدنيا ، يوجد شئ واحد طيب فى الأرض وفى السماء ، ذلكم هو القلب العطوف ، كونوا رحيمين محسنين ليس فقط إلى أخوانكم وأصدقائكم بل أحبوا أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، لانه لاعدو لكم الا جرحى الأرواح ، داووا جراح القلوب ببلسم الرحمة ، صلوا لأجلهم لقاء ظلمهم إياكم » أليست هذه روشتة أخلاقية لقوم مرضى الاخلاق والنفوس ؟

إنه الدواء الناجع لداء إستفحل أمره وإستشرى خطره ، وكاد أن يصيب بنى الإنسان كافة ،ولكن هل إستوعب اليهود الدرس ، وهل أفادهم الدواء ؟ إنهم قوم مردوا على الرفض ، سجية تلك فيهم .

ومن كلماته اللاذعة لهم « كيف تتوقعون أن تمحى الكراهية ، وتستأصل من الأرض ، وأنتم تلقمون الجائع بالحجارة عندما يسأل عن لقمة الخبز أو تقدمون له الثعبان عندما يسأل عن سمكة » إنهم أولاد الأفاعى .

عندما قبض على عيسى - عليه السلام - هرب أكثر حوارييه بعيدا خوفا أن يقبض عليهم ، وصاح أعداؤه ، وصخبوا مطالبين بدمه ، وإستل « بطرس » سيفه محاولا إستنقاذه ، ولكن عيسى إبتسم فقط ، وصاح فى بطرس إغمد سيفك إن الذين يستلون السيف ، هم الذين سيقتلون بالسيف » ، وأغمد بطرس سيفه ، والدهشة تعلو وجهه . إن الموقف ليس موقف بطولة ، أو إستعراض قوة ، ولكنه توجيه إلهى ، ومن سخرية القدر أن يكون الخصم والحكم شخصا واحداً ، إنه بيلاطس ، أليس قاض من قضاة

الدولة الرومانية فى ذاك الزمان ، يحاكم خارجا على الدولة الشرعية - فى زعمهم - ومن الطبيعى أن يكون منطوق الحكم معروفا ، نطق قاضيهم بكلمة القضاء ، أو بكلمة الدولة ، الحكم على عيسى بالصلب ، وطبقا لعادة الحكم الرومانى مع الخارجين على الدولة بأن يثبت المحكوم عليه بالمسامير على صليب خشبى ، وتشاء الظروف أن يكون إلى جوار المسيح فى هذا الموقف ، لصان مصلوبان ، وعندما لفظا أنفاسهما الأخيرة ، كانا ينطقان باللعنة ، لكن نبى الله ، كان يدعو الله أن يسامح أعداءه » إنها أخلاق النبوة [1] .

فلو أن عيسى - عليه السلام - كان يعيش بيننا الآن ، لازعجته مظاهر التعصب والكراهية والأحقاد والجرائم والإضطهادات التى ترتكب فى حق البشرية بأسمه ، من إناس لا يعرفون عن هذا النبى الا القليل النادر ، الذى يوظفوه لصالحهم ولحياتهم ، أما أسس تعاليمه بكل ما عمل من سمو وخلق ونقاء وصفاء وحب وسماحة ، فهى بعيدة عنهم تماما فليتنا نصغى إلى كلماته مرة ثانية ، وأن نعيد النظر في مدلولها فسنجد أنها حتمية ضرورية فى هذه الأيام ، كما كانت ضرورية منذ عشرين قرنا ، فهل يفعلها اولو الأمر فى ديانته ؟ ليتهم يفعلون .

* * *

(١) إنظر عظماء قادة الأديان ، للدكتور عبد الجليل شلبي بتصرف .

المؤامرة

فى الزمن الغابر ، وفى يوم أغبر ، نفث الشيطان نفثة فى صدور بنى إسرائيل ، فملأها حقدا وكرها لعيسى بن مريم - عليه السلام - فقرروا ضرورة التخلص من هذا الذى جاء ينغص عليهم حياتهم - فى زعمهم - فكان أن اجتمع كهنة إسرائيل وشيوخها لتدبير مؤامرة دنيئة ، يتخلصون بها من يسوع عيسى بن مريم ، بعد أن هزت تعاليمه سلطانهم ، وكادت أن تقوض بنيانهم الذى بنوه على الغش والفسق والإثم والرياء .

فقد جاء بما يهدم هذه الموبقات ، ويدك حصون هذا الشرك المتأصل فى نفوسهم ، فهل يتركونه يمضى فى خطته ، وينشر تعاليمه ، ويطاردهم بعظاته ، إن هذا شئ فوق طاقتهم النفيسة ، لا يستطيعون له إحتمالا ، فكان لابد من وقوع الصدام بين القوتين : قوة الحق ، وقوة الباطل ، القوة الداعية إلى الخير والقوة الداعية إلى الشر .

كان لابد لشيوخ إسرائيل من العمل على القضاء على دعوة المسيح وهى فى المهد : وكان أمامهم طريق من إثنين : إما أن يقضوا على الدعوة فى نفوس المؤمنين بها ، وإما أن يقضوا عليها بالقضاء على صاحبها وحاملها ؟ كان عسيرا عليهم أن يسلكو الأمر الأول ، لانه يحتاج إلى جهد ووقت ومال، وفوق هذا : مقاومة الحجة بالحجة ، والحق بالباطل ، ولذلك تأكد لديهم بأن محاولة إقناع الشعب بالتخلى عن المسيح ودعوته ، أمر مصيره الفشل حتما .

إذا ليس أمامهم الا الطريق الثانى ، وهو محاولة القضاء على الرسالة ذاتها ، وذلك بالقضاء على صاحبها ، وظنوا أن هذا يبلغهم هدفهم ، ويحقق مطلبهم ، فأخذوا يعدون للأمر عدته ، فبثوا العيون والأرصاد من حول المسيح عليه السلام ، وراحوا يتسقطون أخباره ، ويجمعون أقواله ،

ويستخرجون منها معانى وأهدافا يتخذونها ذريعة لمؤامرتهم ، فكان أن ارسلوا أذنابهم ليوقعوا به ، ويدينونه ، فسألوه : إلى من ندفع الجزية ؟ لله أم لقيصر ؟ وبوحى من الله فقوت عليهم المسيح غرضهم الخبيث ، وقال : أعطوا مال قيصر لقيصر ومال الله لله » .

وشأن كل نبى فى بداية الدعوة أن يستعمل السرية ، ويدعو فى الخفاء ، إلى أن يأذن الله بالجهر ، وهذا ما فعله المسيح - عليه السلام - ولذلك لم يخش الكهنة والفريسيون منه شيئاً فى اول الأمر ، ولكن الدعوة ظهرت لها تباشير ، وأصبح لها أتباع ، وإزداد عدد المؤمنين بعيسى ، ورحلوا معه إلى بيت المقدس فى عيد الفصح ، تبعا لعادة قديمة عندهم ، فكان أن دخلوا بيت المقدس فى مظاهرة علنية ، أوغرت صدور الكهنة والفريسيين ، مع أن السيد المسيح - عليه السلام - كان قد أوصى أتباعه باحترام مشاعرهم ، وعدم الإساءة إليهم ، إذ قال لهم « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون مالا يفعلون » .

لقد سار فى بنى إسرائيل طبقا لتعاليمه ، والتزم بمبدأ السلام الذى جاء من أجله ، ويعمل له ، وإختطه طريقا أمثل لبلوغ دعوته ، ولم يشهر سيف المواجهة فى وجه بنى إسرائيل بالقول أو بالفعل ، ومع ذلك فإن المؤامرة ضده كانت تسير فى طريقها المرسوم ، محبوكة قوية ، إنها تدبير يهودى ، لقد بدأت المؤامرة بمحاولة احراجه بالاسئلة الحساسة ، التى من شأنها أن توغر صدر الملك ضده ، فيضطر الملك إلى إتهامه بتهمة العصيان والتمرد ، وتطورت الأسئلة إلى مناظرة حامية ، وصلت إلى معركة بالتشابك بالأيدى، والنظارة ما بين مؤيد ومعارض ، يقول الاستاذ العقاد - رحمه الله - «ثم حدث ما لابد أن يحدث ، بين أناس متنمرين وإناس متجردين لدعوة جديدة ، يتطوعون لنشرها ، ويتحمسون لصاحبها ، فأشتبك السيد المسيح وسماسرة الهيكل فى معركة أدبية ، لم تلبث أن إنقلبت إلى معركة يدوية بينهم وبين أنصاره ، وصاح السيد المسيح بسماسرة الهيكل ، يذكرهم بأنهم

فى بيت الله ، وأنهم نقلوه من معبد صلاة وطهاره إلى مغارة لصوص » .

ورفع المتآمرون أمر المسيح إلى الحاكم ، بتهمة الرغبة فى الاستيلاء على الحكم ، وسرعان ما أرسل الحاكم ، جندا للقبض على عيسى ، وكان الله قد أوحى إليه بما إئتمروا ودبروا ، وحين أحدق الجنود بالبيت الذى هو فيه تجلت عناية الله لانقاذه فى اللحظة المناسبة .

إنها عناية الله برسله ، وحد به عليهم ، ورعايته لهم ، لقد إصطفاهم وصنعهم على عينه ، إنهم صفوة الخالق إلى الخلق ، فهل يتركهم ليد آثمة وتدبير رخيص ، ووشاية دنيئة ؟ كلا والف كلا .

فقد ألقى الله شبهه على أحد الخونة الذين وشوا به إلى الحاكم بعد أن إندس بين تلاميذ المسيح كمحب له ، مصدق لدعوته ، مؤمن بها ، فكان أن القى الجنود القبض عليه ، وحوكم وصلب ، أما نبى الله عيسى فقد رفعه الله إليه .

قيل إن هذا الخائن هو « يهوذا » الإسخر بوطى الذى تواطأ مع الكهنة ، ودل على السيد المسيح ، لقاء بضعة دنانير ، فوقع فى ذات الحفرة التى شارك فى حفرها ، وتجرع نفس الكأس التى أعدها لغيره :

إنها إرادة الله ، وتدبيره ، وأمرة ، ومشيئته « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

جاء فى إنجيل لوقا : « وقرب عيد الفطير الذى يقال له الفصح وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه لأنهم خافوا الشعب فدخل الشيطان فى يهوذا الأسخربوطى فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم خلوا من جمع » (انجيل لوقا الإصحاح ٢٣) .

جاء في تفسير القرطبي عن قصة الرفع ما يلي :

قال الضحاك : لما أرادوا قتل المسيح ، إجتمع الحواريون فى غرفة ، وهم إثنا عشر رجلا ، فدخل عليهم المسيح من مشكاة الطرفة ، فأخبر إبليس

جمع اليهود ، فركب منهم عدد كبير حتى وصلوا إلى مكانه ، فقال المسيح للحواريين : أياكم يخربع ويقتل ويكون معى فى الجنة ؟ فقال رجل : أنا يانبى الله ، فألقى إليه مدرعة « ثوب من كتان » وعمامة من صوف ، وناوله عكازه ، وألقى عليه شبه عيسى ، فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه » .

وقال إبن جرير الطبرى فى قصة الرفع هذه :

« بعد أن ذكر الحوار الذى دار بين عيسى وأصحابه من الحواريين ليلة الحادث ، فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال : ما تجعلون لى إن دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما ، فأخذها ، ودلهم عليه فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق ، فقتلوه وصلبوه ، وهم يظنون أنه عيسى، ثم إختلفوا ، فقال بعضهم ، إنه إله فلا يصح قتله ، وقال بعضهم : إنه قتل وصلب ، وقال بعضهم : إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا ؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ؟ وقال بعضهم : رفع إلى السماء ، وقال بعضهم : الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا » الكشاف جـ١ص٥٨٠

رأى خيانة يهوذا ، فأنبأ تلاميذه ، وهو منهم قائلا :

« إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذى يسلم به ابن الإنسان،كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد، فأجاب يهوذا : سلمه ، وقال : هو أنا هو يا سيدى ، قال له : أنت قلت »

كان الشاهد الاول على يهوذا هو الله والشاهد الثانى : هو المسيح عليه السلام - ومن ثم فإن الله منتقم جبار ، إذ يرفع السيد المسيح إليه ، ويضع الخائن يهوذا على الصليب .

* * *

تدوين الأناجيل وسماتها

إن الدين المسيحى ، والدين الإسلامى - بوجه عام - يقران بأنهما دينان منزلان من عند الله ، وأن يسوع المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام يكرر بأن رسالته ليست من ذات نفسه ، ولكن بوحى من الله ، « لأنى لم أكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى ، هو الذى أعطانى وصية ماذا أقول وماذا أتكلم » يوحنا ١٢:٤٩

« أجابهم يسوع وقال : تعليمى ليس لى . بل للذى أرسلنى ، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى، من يتكلم من نفسه يطلب مجداً لنفسه وأما من يطلب مجداً الذى أرسله ، فهو صادق وليس فيه ظلم » يوحنا ٧:١٦، ١٧

وأعلن عن نفسه أنه أنسان قائلا : « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » يوحنا ٨:٤٠

فمن أراد أن يتتبع الحق لكل ديانة فإنما عليه أن يعتمد على صحة ودقة الكلمات الموحى بها إلى أصحاب هذه الرسالات ، وأنها قد دونت فى أمانة ونقاء وصفاء ، خالية من أية شائبة لفعل الإنسان لانها مقدسة . وإذا كانت الرسالة الموحى بها من الله إلى المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - لم تصلنا بالضبط بالصورة التى أوحى بها إليه ، ولكن قد إعتراها التحريف والتبديل والحذف والإضافة ، وبناء عليه فإن هذا الدين قد إنحرف به أهله عن الحق .

وفى هذا الفصل سندرك إلى حد ما أنه قد تم تدوين الكلمات المقدسة الموحى بها إلى عيسى - عليه السلام بأمانة فى الإنجيل الأصل المنزل من عند الله ، وأنه ظل لفترة طويلة متحرراً من التغيير والتبديل ، ومن الزيادة أو النقصان . قال تعالى :

﴿ **وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فؤلئك هم الفاسقون** ﴾ (المائدة : ٤٦، ٤٧) .

غير أن الكتاب المقدس الذى بيد القوم ، يتضمن أربعة اناجيل ، هى الإنجيل حسب رواية متى ، والأنجيل حسب رواية مرقس ، والإنجيل حسب رواية لوقا ، والإنجيل حسب رواية يوحنا .

وسوف نتناول بإذن الله - كلا من هذه الاناجيل الاربعة ، بشئ من التفصيل ، للتعرف على مدى صحتها ، ومطابقتها لما جاء فى الانجيل الأصل ، أو عدم مطابقتها بالمرة ، وليس لنا من غرض سوى إظهار الحقيقة او القاء الضوء على هذه الديانة التى اختلفت الأراء بشأنها كثيرا ، صحيح أننا نجد الكثير من كلمات السيد المسيح - عليه السلام - فى بعض هذه الأناجيل ، ولكنها جاءت كومضة خاطفة ، أى بقدر ضئيل جداً خصوصاً إذا عرفنا أن تصنيف هذه الأناجيل ، قد تم فى الفترة الزمنية ما بين أربعين إلى ثمانين سنة ، بعد رفع السيد المسيح - عليه السلام - وصحيح أيضا أن بعض هذه الأناجيل ، قد إعتمد على بعض الوثائق القديمة التى أصبحت الآن مفقودة ، بقصد أو بدون قصد ، الله أعلم ، على كل حال : جاء « لوقا » وأشار إلى ذلك بقوله :

« إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينيين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق ، ان اكتب على التوالى إليك أيها العزيز «تاوفليس» لتعرف صحة الكلام الذى أتكلم وعُلمت به » إنجيل لوقا ١:١-٤ .

ولقد طابق علماء الكتاب المقدس بعض هذه الوثائق القديمة ، لمعرفة مدى صحتها وتأثيرها فيما لو أضيفت إلى (أصول) الكتاب المقدس .

وفى الحقيقة فإن بعض هذه الوثائق كانت باللغة الآرامية المترجمة الى اللغة اليونانية ، وهناك وثيقة أخرى ، عبارة عن إنجيل بدائى لمرقس فى سورة مسودة قديمة مكتوبة على أساس أحاديث بطرس ، عن يسوع المسيح - عليه السلام - ، ثم وثيقة ثالثة ، عبارة عن مجموعة من التقارير حول يسوع المسيح - عليه السلام - إستعملها « لوقا » وحده .

وفى مقارنة ، ومقابلة للأناجيل الأربعة ، نجد أن مصنفيها قد إستخدموا هذه الوثائق بطريقة مباحة - بمعنى أن كل واحد من المصنفين تناولها على طريقته ، بحيث تظهر فى إنجيله بصورة منفردة ، حتى أنهم لم يترددوا فى تغيير أو تحوير بعض العبارات التى وردت فى هذه الوثائق ، لتتلائم مع أهدافهم الشخصية .

ومن بين هذه الأناجيل الأربعة نجد إنجيل « يوحنا » يكاد ينفرد بخاصية لا يشاركه فيها غيره من الاناجيل ، وهى خاصية الأخذ والرد والتشكيك فى صحته ، بل وفى مدلوله الدينى على وجه الخصوص ، إذ جاء فى صدر اصحاحه الاول :

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكانت الكلمة الله . هذا كان فى البدء عند الله » .

فعند التمعن ، والتدقيق فى هذه الفقرات نجد عدم الإتساق فى معانيها أو مدلولها اللفظى على الأقل ، فإن قوله (والكلمة كان عند الله) لايتلاءم مع قوله : « وكان الكلمة الله » ، وهذا واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار ، لأنه إذا كان الله هو عين الكلمة فلا يصح أن تكون الكلمة عنده ، إذ كيف تكون الكلمة عنده وفى نفس الوقت عين ذاته ، ثم تتجسد بعد ذلك وتكون إبنه ، والإبن عين أبيه والأب عين إبنه ، ولم نقرأ أو نسمع فى شرائع الأنبياء وفى كتبهم ، إطلاق الكلمة على ذات الله ، إذ القول بهذا مخالف لشرائع الأنبياء والمرسلين ، هذه واحدة .

قال الأستاذ إستادلن - فى العصور المتأخرة - ونقله عنه صاحب كاتلك

ص٢٠٥ من المجلد السابع سنة ١٨٤٤ : إن كافة إنجيل يوحنا ، تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية ، باللغة اليونانية (تلك المدرسة التى إعتنقت مبادئ الثالوث وألوهية المسيح ، والروح القدس ، وبشرت بها ، ولقد كانت فرقة الوجين فى القرن الثانى تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا من تصانيف .

جاء فى دائرة المعارف البريطانية ، التى إشترك فيها أكثر من خمسمائة من علماء النصرانية ، ما نصه : « أما إنجيل يوحنا فإنه لامرية ولا شك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة إثنين من الحواريين بعضهما ببعض وهما القديسان : يوحنا ومتى ، وقد إدعى هذا الكاتب المزور أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، ومن عجب أن الكنيسة أخذت هذه الكلمة على علاتها ، ولم تحاول أن تمحصها أو تدقق فى حقيقتها ، بلى وقفت بقوة مؤيدة لهذه المقولة ، وجزمت بأن الكاتب هو نفسه يوحنا الحوارى .

إذا بحثنا فى تاريخ تدوين هذا الإنجيل ، وجدنا من يقول : إنه الف فى سنة ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٨٩ أو ٩٨ ، بما يقطع بالشك فى هذه التواريخ وقد قال بهذا « هورن» ويكاد يجزم بأنه لا يوجد تاريخ محدد لتدوين إنجيل يوحنا ، وهذا بالضبط ما يقول به صاحب مرشد الطالبين أنه لا يوجد إتفاق بين العلماء بضبط السنة التى كتب فيها يوحنا إنجيله ، بل إنه يلقى مزيداً من الضوء على هذه المسألة إذ يقول إن بعضهم يزعم أنه كتبه فى سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم ، وآخرون يرون أنه كتبه فى سنة ٩٨ وذلك بعد رجوعه من النفى، وكان المقصود تسجيل بعض مسامرات السيد المسيح الضرورية ، وخاصة الاعتقاد فى حقيقة اللاهوت والناسوت اللتين تعبران عن حقيقة ربهم وفاديهم ، ومخلصهم .

وقد علق استاذنا المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة على هذه المقولة بقوله إستنباطا مما سبق فى الأمور الآتية :

« أمر صريح . وهو أن الاناجيل الثلاثة الأولى ، ليس فيها ما يدل على

الوهيـة المسيح - عليـه السـلام - أو هى كانت مـوجودة ، فى الزمان الأول للمسيـحية ، قبل تدوين الإنجيل الرابع - إنجيل يوحنا - وهذه حقيقة يجب تسجيلها ، وهى أن النصارى ، مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ، ليس فـيها نص على الوهيـة المسيح ، وهذا يعطينا فكرة هامة وهى : ان الطبقة الأولى من معتنقى النصرانية ، إلى نهاية القرن الأول ، كانت تنكر الوهية المسيح - عليه السلام -.

ثانياً :

أن الاساقفة إعتنقوا فكرة الوهيـة المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليـها - صراحـة - ، فلما أرادوا أن يحتـجوا على خصومهم ، ويدفعوا هرطقتهم ، لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا ، يثبت ذلك . فاتجهوا إلى يوحنا ، فكتب - كما يقولون - إنجيله ، الذى يشتمل على الحجة وبرهان القضية ، على زعمهم ، فخالف به الطبقة الأولى ، الذين هم أعلم بحقيقة المسيح ، وأدرى بأخباره ، وبذلك خالفت الطبقة الثانية الطبقة الأولى وابتدعت هذا الضلال .

ثالثاً :

بالاطلاع على رسـائل الرسل ، التى كـتـبت - فى قـولهم - قـبل هذا الإنجيـل ، يتبين أن فيها ما ينبئ عن الوهيـة المسيـح - عليه السلام - وإذا كـان ذلـك كذلك ، الـم تكـن فـيهـا حجـة كافيـة تغنيهم عن انجيل جديد يدعم فكرتهم تلك ، وتغنيهم - أيضا - عما سواه ؟ ، أم لعل تلك الرسائـل المشتملـة علـى هذه الألوهية قد كتبت بعد هذا الإنجيل ، ليؤيدوه بها .. » [1] .

ولعل من المفيد فى هذه النقطة ، أن نذكر محاورة بين نصرانى ومسلم ، تصادقا وتصافيا ، وكانت بينهما مودة والفة ، كما جاء فى كتاب « الفاصل

(١) إنظر النصرانية والإسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي ، بتصرف ، وانظر أيضا : محاضرات في النصرانية لفضيلة المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة .

بين الحق والباطل » وهى محاورة تبين وتوضح ما ينبئ عن الوهية المسيح - عليه السلام - إذ كتب النصرانى إلى صديقه المسلم « إن عقيدتنا أن نؤمن بالله وأن المسيح ابن الله الذى هو الله والروح القدس ، ثلاثة أقانيم ، أقنوم واحد أحيا الموتى وأيد بعض الحواريين ، فأحيوا الموتى ، كمثل ما فعل أرسلهم المسيح إلى جميع الأجناس ، وأمرهم بإفشاء أمره ، بعد أن كان هو يدل لهم شرائعه بنفسه ، ورآه الناس بأعينهم وهو يتواضع ، فيجب عليهم أن يفعلوا كما رأوا خالقهم يفعل ، لأنه عز وجل - لما كلم العالم على السنة أنبيائه الذين جعلهم رسله ووسائطه إلى خلقه ، ليعلموهم الإقرار بربوبيته ، وشرعوا لهم ترك أوثانهم وأصنامهم ، الفاشية ضلالاتها فى جميع الأرض ، فنزل هو سبحانه وتعالى بعد ذلك من السماء ، ليكلم الخلق بذاته ، حتى لاتكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حجتهم بعد أن كلمهم بذاته ، لا بواسطه بينه وبينهم ، فترتفع المعاذير عمن ضيع عهده بعد ما كلمه بذاته، اتماما لرحمته على الناس ، فهبط بذاته من السماء والتحم فى بطن مريم العذراء البتول أم النور ، فأخذ منها حجابا كما قد سبق فى حكمته الأزلية ، لأنه فى البدء كانت الكلمة ، والكلمة هو الله وهو مخلوق عن طريق الجسم وخالق عن طريق النفس ، وهو خلق جسمه ، وخلق أمه ، وأمه كانت من قبله بالناسوت وهو كان من قبلها باللاهوت ، وهو الإله التام وهو الإنسان الكامل ، ومن تمام رحمته على الناس أنه رضى بإهراق دمه عنهم فى خشبة الصليب ، فمكن اليهود أعداءه منه ، ليتم سخطه عليهم فأخذوه وصلبوه ، وغار دمه ، لأنه لو وقع منه شئ فى الأرض ليبست ، الا شئ وقع فيها ، فنبت فى موضعه النوار ، لأنه لما لم يكن فى الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العاصى آدم - عليه السلام - الذى إستهان بقدرته ، فلم يرد الله الإنتقام منه ، لإعتلاء منزلة السيد وسقوط منزلة العبد ، أراد أن ينتصف من الإنسان ، الذى هو إله مثله فأنتصف من خطئية آدم بصلب عيسى المسيح ، الذى هو متساو معه فصلب ابن الله عز وجل ، الذى هو الله ، فى الساعة التاسعة من يوم الجمعة ، صلبته اليهود ، واليهود تقر أنها صلبته ، وإنكار الصلوبية كفر .... إلى أن قال : « وأركان ديننا خمسة :

التغطيس والإيمان بالتثليث ، والاعتقاد بأن أقنوم الإبن قد التحم بعيسى فى بطن مريم والإيمان بالقربان ، والإقرار للقسيس .

وعقيدة التثليث هذه ، يؤكدها إيمانهم المخلص من الإنجيل ، والذى يمثل الدستور بالنسبة إليهم ، إذ جاء فيه :

نؤمن بإله واحد ، أب واحد ، ضابط الكل ، خالق السماء والأرض كل مايرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابنه الوحيد المولود من الأب قبل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر ، الذى به كان كل شئ ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنس وصلب عنا ، على عهد بيلاطس ، وتألم وقبر ، وقام من الأموات فى اليوم الثالث ، على ما فى الكتب ، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب ، وأيضا يأتى بمجد ليدين الأحياء والأموات ، الذى لا فناء لملكه وبالروح القدس الرب المحيى ، المنبثق من الأب ، الذى هو مع الأب والإبن ، يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء ، وبكنيسة واحدة ، جامعة مقدمة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، ونترجى قيامة الموتى والحياة فى الدهر العتيد آمين » [1] .

أما الصلاة عند النصارى فهى هذه : (أبانا الذى فى السماوات ، ليتقدس إسمك ، ليأت ملكوتك ، ولتكن إرادتك فى السماء مثلها فى الأرض أعطنا خيرنا ، وأغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن لمن أذنب إلينا ، ولاتوقعنا فى المحنة ، وسلمنا من الشرير ، آمين ، السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة أنت فى السماء ، ومبارك ثمرة بطنك يسوع ، يا قديسة ، يا مريم يا والدة الله . صلى لأجلنا نحن الخطاة الآن فى ساعة موتنا ، آمين .

---

(١) عن كتاب « سوسنة سليمان » لنوفل بن نعمة الله بن جرجيس النصراني المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٢

أولاً : إنجيل مرقس :

إن أول ما دون من الأناجيل هو إنجيل مرقس ، وقد كتب هذا الانجيل فى مدينة روما بعد مارفع السيد المسيح - عليه السلام - بأربعين سنة ، وهذا الإنجيل يعتبر نسخه منقحة ومزيدة عن الوثيقة التى يتحدث عنها « بابياس » وهو من قدامى الكتاب المسيحيين قائلا : « إعتاد يوحنا الشيخ أن يقول : أصبح مرقس ترجمانا لبطرس ودون بكل دقة كل ما تذكره عن تلك الفترة ، ولكنه لم يكن بنفس الترتيب المضبوط الذى ورد عن أقوال وأفعال السيد المسيح عليه السلام - ذلك لأنه لم يسمع من السيد المسيح ، فضلا عن أنه لم يرافقه ، ولكن أورد ذلك إستنادا إلى الأتباع الذين التصقوا ببطرس ، الذى أخذ يصوغ تعاليم المسيح - عليه السلام - لتوائم حاجة المستمعين الذين كانوا يلتفون حوله ، وليس بعمل وثيق الصلة بيسوع أوعين أحاديثه .

ويستنتج دكتور « ڤادوكس» وهو متخصص فى تاريخ الكنيسة فى أكسفورد ، إستنادا إلى علماء الكتاب المقدس البارزين فى طبيعة وتصنيف هذا الإنجيل قائلا :

« كتب - إنجيل مرقس بعد إستشهاد بطرس عام /٦٥م ، وفى فترة من الزمان ، كان مرقس الذى لم يكن شخصيا تلميذا ليسوع المسيح ، وفى وضوح لم يكن متاحا له أن يلتصق بتلاميذ المسيح الذين يمكن بمعلوماتهم يستطيع مراجعة روايته ، هذه الأحوال فى تصنيف هذا الإنجيل ، ووجوده جنبا إلى جنب العديد من العلامات الدقيقة ، وأعداد معينة من علامات الجهل وعدم الدقة ، وعن مرقس نفسه : يقول بطرس قرماج فى كتابه (مروج الأخبار فى تراجم الأبرار :

« إن مرقس هذا كان يهوديا لاويا ، وهو تلميذ لبطرس ، ولد بأقليم الخمس مدن، وصنف إنجيله بطلب من أهل روميه ، كان هو واستاذه بطرس، ينكران ألوهية المسيح - عليه السلام - ولم يذكر فى إنجيله مدح المسيح

لبطرس ، ومات مقتولاً فى سجن الاسكندرية سنة ٦٨ميلادية ، غير أن المطالع لإنجيل مرقس هذا يجد فيه ذكراً أن المسيح ابن الله ، إذا جاء فى بداية الإصحاح الأول من هذا الإنجيل «بدأ إنجيل يسوع المسيح ابن الله » « ...وكان صوت من السماوات أنت ابنى الحبيب الذى به سررت » فهل تعتبر هذه الجمل من أصل الإنجيل ، أم أنها أضيفت إليه بقصد تعميم هذه الفكرة فى الأناجيل كلها ؟ ومع ذلك فإن دكتور ويلز يذكر فى كتابه « معالم تاريخ الإنسانية » أن النقاد يميلون إلى اعتبار إنجيل مرقس أصح ما كتب عن شخص المسيح وأعماله وأجدرها بالثقة » .

غير أن أستاذنا المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة يقول : « إن ابن البطريق وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين ، يقرر أن الذى كتب إنجيل مرقس، هو بطرس الحوارى نقلاً عن مرقس ونسبه إليه » .

والشك فى كاتب هذا الإنجيل يورث الشك فى هذا الإنجيل نفسه من حيث المادة الموجودة به ، أو على الأقل فى بعضها ، وهذا ما حدا بأحد أباء النصرانية وهو « جيروم» وهو أحد علمائهم ، يصرح بأن بعض المتقدمين من العلماء كانوا يشكون فى الباب الأخير جميعه من هذا الإنجيل ، أى فى الإصحاح السادس عشر ، الذى يتناول موضوع دحرجة الحجر ، إذا جاء فيه: وبعدما مضى السبت أشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، وسالومة ، حنوطا ، ليأتين ويدهنه ، وباكراً جداً فى أول الأسبوع أتين إلى القبر ، إذا طلعت الشمس ، وكن يقلن فيما بينهن « من يدحرج لنا الحجر عند باب القبر ، فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً ، ولما دخلن القبر ، رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حُلة بيضاء، فاندهشن ، فقال لهن: لا تندهشن ، أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب ، قد قام ليس هو هاهنا ، هوذا الموضع الذى وضعوه فيه ، لكن إذهبن وقلن لتلاميذه ، ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل ، هناك ترونه كما قال لكم ، فخرجن سريعا وهربن من القبر ، لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ، ولم يقلن لاحد شيئا لأنهن كن خائفات .. » .

وموضوع « من الذى دحرج الحجر عن القبر » مذكور فى إنجيلى متى ولوقا ، إذا يعتبر إنجيل مرقس مصدر رئيسى لهذين الإنجيليين ، ولذلك أوردا قصة دحرجة الحجر أخذا عن إنجيل مرقس ، وإن كان ذلك مع إختلافات لفظية ، ولكن الأساس واحد ، نجد ذلك واضحا فى مفتتح إنجيل «لوقا» إذ يقول : « إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينيين ، وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق ، أن اكتب على التوالى اليك أيها اللعزيز تاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى عُلمت به » لوقا ١:١-٤ .

وبشئ من التمحيص نجد أن إنجيل مرقس كثير الإضطراب من عدة وجوه وهذا يورث الشك فى جدية هذا الإنجيل .

إذ أن هناك كتاب يرون أنه أول إنجيل كتب - كما سبق أن قلنا ، وهناك من يرى أن إنجيل « متى » كتب قبله ، ويستدلون بأن هذا الإنجيل أغفل ذكر ميلاد المسيح - عليه السلام - وبدأ مباشرة بالحديث عن تعميده من يوحنا المعمدان ، كما أن الاحداث التى زوردها عن ذكر المسيح - عليه السلام - غير مرتبة حسب الترتيب الزمنى ، وكان سبقه لإنجيل متى يقتضى أن يكون أو فى منه وأكثر ترتيبا ، كذلك نجد أن كل ما جاء فى هذا الإنجيل مذكور ضمنا فى إنجيلى ، متى ولوقا .

ومن معالم الإضطراب فى هذا الإنجيل - أيضا - تاريخ تدوينه بين سنتى ٦٠ ، وسنة ٨٠ ، مع أنه يقال إن بطرس نفسه مات سنة ٦٣ وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، قرر النقاد اللاهوتيون أن قصة هذا الإنجيل من عمل جماعة لم ير واحد منهم الآخر ، وأنها روايات جمعت بدون ترتيب ، وبناء على ذلك لا يمكن النظر إلى هذا الإنجيل على أنه مصدر حقيقى لحياة المسيح - عليه السلام - .

ونجد إضطرابا آخر ، وإختلافا جوهريا بين هذا الإنجيل وإنجيل «متى» فى مسألة قيامة المسيح .

فمرقس ، يذكر أن ملاك الرب كان جالسا داخل القبر ، وانه ظهر أولا لمريم المجدلية ، ثم ظهر بهيئة أخرى لإثنين من تلاميذه ثم ظهر للأحد عشر ، ووبخهم لعدم إيمانهم بظهوره ، ثم إرتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله :-

وقد يعترض معترض ممن يرجحون نسبة هذا الإنجيل إلى « مرقس » أن متى ولوقا ، لم يكونا ليعتمدا عليه فيما كتبا فيما بعد ، لو أنهما لم يعلما أنه ذو ثقة ، وأن هذا الإنجيل من عمل شخص ينتمى إلى جماعة الحواريين ، أو من السبعين ، وأن هناك إشارات كثيرة فى العهد الجديد تتحدث عن شخص إسمه « يوحنا ويلقب بمرقس » ولكن هذين الدليلين لا ينهضان ولا يقويان على نسبة هذا الإنجيل لمرقس ، ويظل الشك فيه قائما ، إذ أن الدليل الأول هو مجرد إستنتاج واعتماد على آراء الآخرين ، والثانى ، يضعفه إن إشارات العهد الجديد لم تذكر أنه صاحب إنجيل [1] .

وإضافة إلى ما سبق من تضارب بين هذا الإنجيل وغيره من الأناجيل الأخرى ، فقد جاء فى الإصحاح ٨/ ١١،١٢، أن المسيح قال لجماعة من الفريسيين : « لن يعطى هذا الجيل آية » بينما جاء عن لوقا : أنه لن يعطى الا آية واحدة ، وفى إنجيل لوقا ص ٧ ، ٢٠ » الكثير والكثير من المعجزات التى وردت عن المسيح - عليه السلام - وهذا التضارب يقضى أما بكذب هذا الإنجيل ، واما بنفى هذه المعجزات . وملاك القول فى هذه المسألة ،أن هناك تناقضاً كثيراً ، بين بعض الأناجيل ، والبعض الآخر ، وأن فيها نقاطاً تاريخية مشكوكا فيها ، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة والشبهة ، بما يروى عن الحوادث التى يبدو أنها وضعت عن قصد ، لإثبات وقوع الكثير من النبوءات الواردة فى العهد القديم ، وفقرات كثيرة ، ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخى لعقيدة ما ، متأخرة ، من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها الكثيرة التى ملأت نفوس وعقول الشعب النصرانى حتى التخمة جعلت الفرد النصرانى بات يلهث وراء هذه

(١) موريس بوكاي ص ٨٤ مصدر سابق .

الطقوس حتى لا يرمى « بالكفر » أو الهرطقة . قد يقال إن ما فى الأناجيل من تناقض ، منصب على التفاصيل الجزئية لا يتعداها إلى الحقائق العامة ، التى تتناول صلب الديانة إذ أن الأناجيل الثلاثة الأول ، تتفق إتفاقاً عجيباً ، وتعرض فى صورة منسقة للمسيح - عليه السلام - وقد غالى كبار الناقدين فى صحة أقوال العهد الجديد ، وقاسوها بمقاييس ، لو طبقت على مئات من العظماء الأقدمين ، أمثال حمورابى ، وداود ، وسقراط لزالوا كلهم من عالم الحقائق وهووا إلى عالم الخرافات .

على كل حال هذا رأى مبالغ فيه جداً ، لأن رائحة التحيز تفوح منه والتحيز والحقيقة ضدان « أحياناً » .

إتصال « مرقس » بالمسيح - عليه السلام -

من المقطوع به أن مرقس لم يكن من الحواريين الإثنى عشر الذين تتلمذوا على يد المسيح - عليه السلام - وأصله من اليهود ، وكانت أسرته تعيش فى أورشليم ، فى وقت ظهور المسيح ، وهو من أوائل الذين اجابوا دعوته ، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس - بعد رفعه عليه السلام .

ويقول صاحب كتاب « الأمة القبطية » : وقد أجمعت تقاليد الطوائف المسيحية على أن الرب يسوع كان يتردد على بيت مرقس ، وأنه فى هذا البيت ، أكل الفصح مع التلاميذ ، وفى احدى غرفه حل روح القدس على التلاميذ [1] .

وقيل إن مرقس ذهب إلى مصر مرتين : الأولى حولى سنة ٣٧ ميلادية حيث أرسله بطرس الرسول ، فدخل الاسكندرية سنة ٤٠م ومكث هناك إلى سنة ٤٤م ، ثم ذهب مع بطرس إلى روما وهناك كتب إنجيله ، وفى حوالى سنة ٤٩ رجع إلى مصر ، وهناك بقى إلى نهاية حياته ، يبشر فى مصر بكل همة ونشاط .

(١) إنظر محاضرات في النصرانية مصدر سابق ص ٥٣ .

شكوك حول نسبة إنجيل مرقس إليه :

معظم الكتب التى تتحدث عن الأناجيل ، تذكر أن مرقس هو الذى كتب الإنجيل المنسوب إليه ، وفى ذلك يقول فهيم عزيز : « إن يوسا بيوس ، فى تاريخه الكنسى يقتبس ما قاله « بابياس » ان مرقس - الذى صار مفسراً لبطرس - قد كتب بكل دقة كل ما تذكره (لاحظ كلمة ما تذكرة)من أقوال وأعمال الرب ، ولكن ليس بالترتيب لأنه لم يسمع الرب (لاحظ كلمة لم يسمع الرب) ولم يتبعه ، ولكن كما قلت قبلا عن بطرس الذى ذكر من تعاليم السيد ما يوافق حاجة السامعين ، بدون أن يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله ، وهكذا قصد مرقس ، أنه لم يعمل خطأ واحداً فى كل ما ذكره وكتبه » .

وهذا النص يجرنا إلي التساؤلات الآتية :

أ- يذكر بابياس فى هذا النص أن مرقس قد كتب بكل دقة كل ما تذكره من أقوال وأعمال الرب . فهذا تصريح لا يقبل الجدال بأن مرقس كتب الإنجيل من ذاكرته ، وهذا ينفى أن يكون ما كتبه وحيا أو الهاما » فإذا أضفنا إلى ذلك بأن مرقس ليس من التلاميذ الإثنى عشر ، فهل من الممكن أن نعتبر كتابة ما جاءت به الذاكرة وحيا مقدسا يتعبدونه ؟ .

ب- يذكر بابياس أيضا أن مرقس لم يسمع الرب ولم يتبعه ، فهو على ذلك لم تكن له أدنى صلة زمنية بالسيد المسيح،أى أنه لم يقابله ولم يكلمه لأنه لم يعاصره ، ولهذا جاء كلامه فى إنجيله غير مرتب» .

جـ- جاءت كتابته عن بطرس : « الذى ذكر من تعاليم السيد ما يوافق حاجة السامعين، دون أن يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله .

وهذا يعطينا فكرة أن بطرس كان يتحكم فيما عنده من وحى أو الإلهام فهو يختار ما يشاء أن يقوله ، ويكتم ما يريد كتمانه ، وهذا معناه أن بطرس لم يكن أمينا ، لأن من شأن الوحى أو الإهام أن يُبلغ إلى الناس كما

جاء ، لأن فى كتمانه خيانة للرسالة ، وهذا قدر مشترك عند الرسل جميعا ، لا يختلف أحدهم عن الآخر . لأنه أمانة .

ثم جاء صاحب « مرشد الطالبين » فذكر « أن انجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته لهم » .

وقال الكاتب القديم « أرينيوس » إن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس (١) .

وابن البطريق، قال:« إن الذى كتب إنجيل مرقس هو بطرس عن مرقس .

هذه ثلاثة أقوال فى كاتب إنجيل مرقس ، فبأيهم نأخذ ؟ وبمعنى أوضح ، من الكاتب على وجه الدقة ؟ مرقس وحده ، أن مرقس بتدبير بطرس ، أم بطرس هو الذى كتب عن مرقس ؟؟ وهذا ما أدى - بالطبع - إلى إختلاف النسخ على مر السنين ، وأدى أيضا إلى قول علماء المسيحية إنه قد « زحفت تغييرات تعذر إجتنابها ، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ومن بين مئات المخطوطات - أى النسخ التى عملت باليد - لانجيل مرقس والتى عاشت إلى الآن ، فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماماً » .

بل هناك ما هو أكبر من ذلك ؛ وهو أنه « لم يوجد احد بهذا الاسم « مرقس » عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة (بيسوع) أو كانت له شهرة خاصة فى الكنيسة الأولى ، ومن غير المؤكد صحة القول المأثور الذى يجزم بأن مرقس كاتب الانجيل ، أو بأنه « يوحنا مرقس ، المذكور فى أعمال الرسل ١٢:١٢، ٢٥ ، أو أنه مرقس المذكور فى رسالة بطرس الأولى ٥:١٣ ، أو أنه مرقس المذكور فى رسالة بولس .

فهل يا ترى نأخذ بقول ابن البطريق ، من أن الذى كتب الانجيل هو بطرس عن مرقس ، ونسبه إليه ، فكأن بطرس أصبح راويا لمرقس مع أن الأول رئيس الحواريين - كما يقول ابن البطريق - والثانى من تلاميذه ، كما جاء فى كتاب « مدرج الأخبار ، فى تراجم الأبرار » الذى يقول : « إن

(١) محاضرات في النصرانية مصدر سابق / بتصرف .

مـرقـس كـان ينكـر ألوهيـة المسيح هو واستـاذه بطرس الحـوارى » والسئـوال الملـح هـو : من الكـاتب إذن ؟ ومـن هـو مـرقس ، ومن أين جاء بالضبط هذا الإنجيل ؟ .

وإذا كـان هناك رأى شـائع أن مـرقس كـاتب الإنجـيـل ، كـان هو مـبـشـر الإسكندرية ، وأول اسقف لكنيستها ، فإن بعض العلماء ، يعتبر هذا الرأى من المأثورات التى تدعو إلى العجب ، مثله مثل القول بأن مرقس واحد من الذين تبعوا امتى واختصروا انجيله [1] .

ونظراً للعلاقـة الوثيـقـة التى تربط بين بولس وبين مُرقس ، والتـأثيـر الملحوظ الذى يظهر فى إنجيل مرقس ، فإنه يجمل بنا أن نلقى نظرة عـامـة على شـخـصـيـة بولس تعطى فكرة لكل دارس للأناجيل بوجه عام وإنجيل مرقس بوجه خاص .

* * *

(١) الاناجيل أصلها وتطورها .

لمحة عن بولس وتعاليمه

لنا أن نعتبر أن سفر أعمال الرسل ، ورسائل بولس ، هما المصدران الأساسيان للتعرف على هذه الشخصية ، التى أثرت بطريق مباشر أو غير مباشر فى فهم الأناجيل ، وخاصة إنجيل مرقس ، وفى نفس الوقت القاء الضوء على تعاليم الكتاب المقدس . أى العهد الجديد ، وفى ذلك يقول الفيلسوف الروسى تولستوى :

« إن بولس لم يفهم تعاليم السيد المسيح ، ولم يره قط فى حياته ، ومن ثم فلم يكن من حوارييه ، وبالتالى لم يتلق تعاليمه مباشرة منه ، الأمر الذى جعله يطمس هذه التعاليم بتفسيراته التعسفية .

إن الأقوال القديمة الواردة فى كتب العهد القديم ، لا تدل على أن يسوع المسيح هو الله ولا هو ابن الله .

ويعلن تولستوى فى جرأة متناهية إنكاره تأليه يسوع المسيح ، كما يعلن أن كتاب العهد الجديد - فضلا عن أن مصنفيه بشر - الا أنه قد حُرف وعراه التغيير والتبديل .

وندع بولس يتحدث عن نفسه فيقول : « تجمع اليهود يطالبون قتل بولس لأنه يُعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلا : الا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد » أعمال الرسل ٢١ :٢١ .

ولما رأوه فى أورشليم « أهاجوا كل الجمع ، والقوا عليه الأيادى قائلين ياأيها الرجال الإسرائيليون أعينوا هذا الرجل الذى يعلم الجميع فى كل مكان ضداً للشعب والناموس ، وهذا الموضع ، حتى ، ادخل يونانيين أيضا إلى الهيكل ودنس هذا الموضع المقدس » أعمال الرسل ٢١:٢٨ .

« حينئذ إقترب الأمير وأمسكه وأمر أن يقيد بسلسلتين وطفق ، ترى من يكون وماذا أفعل ؟ » أعمال الرسل ٢١ : ٣٣ .

« فقال بولس : أنا رجل يهودى طرسوسى من أهل مدينة غير دنّية من كيليكية ، والتمس منك أن تأذن لى أن أكلم الشعب ، فلما أذن له وقف بولس على الدرج ، وأشار بيده إلى الشعب ، فصار سكوت عظيم ، فنادى باللغة العبرانية قائلا : » أعمال الرسل ٢١:٣٩،٤٠ .

وفى دراسة لسيبينوذا فى العهد الجديد ، ينتهى بعد تركيز شديد على موضوع واحد جوهرى ، وهو الفرق بين النبى عيسى والحوارى بولس ، ان بين الانجيل وبين أعمال الرسل والرسائل .

فمن ناحية الأسلوب ، يختلف اسلوب النبى فى الانجيل عن أسلوب الحوارى فى الرسائل ، يؤكد النبى فى الإنجيل أنه يتحدث بناء على تفويض من الله ، أما الحوارى ، فإنه يتحدث باسمه ، ويعبر عن آرائه الشخصية والنبى لايخطئ أما الحوارى فيخطئ ويصيب .

* والنبوة من عند الله ، أما رسالة الحوارى فمن عنده .

* النبوة يقينية ودعوة الحوارى ظنية يمكن الشك فيها باعتراف الحوارى نفسه .

* ومن حيث الطريقة فى التعبير فإن النبى لا يستدل بل ، يتحدث معتمدا على السلطة الإلهية ، أما الحوارى فيستدل ويناقش ويجادل ويحاجج .

وهذا كله واضح فيما جاء بسفر أعمال الرسل ، فى الفصلين : الثانى والعشرين والثالث والعشرين ، حيث يبدأ قائلاً : « إسمعوا إحتجاجى ، إن التحول الفجائى فى حياة شاول الذى كان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم » أعمال الرسل ٩:١،٢ .

وفجأة أعلن بولس أنه قد أصبح رسولا للمسيح . إثر حادثة قال إنها وقعت له فى طريق الذهاب إلى دمشق ، ولما كانت هذه الحادثة تعتبر

الأساس الوحيد الذى بنى عليه بولس إعلانه قبوله المسيحية ، ثم إختياره رسولا من المسيح للتبشير بالمسيحية ، أصبح من اللازم تمحيصها إذا أردنا الوقوف على حقيقة هذا الأمر الهام والحيوى .

لقد ذكر « لوقا » - كاتب الانجيل وسفر أعمال الرسل - قصة تحول بولس إلى المسيحية ، واختياره رسولا لها فى ثلاثة مواضع .

الاول على لسان « لوقا » فى الإصحاح التاسع ١-٩ ، وأما الثانى والثالث فقد أوردهما على لسان بولس فى الاصحاحين الثانى والعشرين ١-١١ ، والسادس والعشرين ١٢ - ١٨ على الترتيب .

يقول الاصحاح التاسع : « وفى ذهابه حدث أنه إقترب إلى دمشق ، فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له شاول شاول . لماذا تضطهدنى . فقال : من أنت يا سيد فقال الرب : قائلا له : أنا يسوع الذى أنت تضهده صعب عليك أن ترفس مناخس ، فقال وهو مرتعد ومتحير : يا رب . ماذا تريد أن أفعل . فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل ، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً فاقتادوه بيده وادخلوه إلى دمشق ، وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب » اعمال الرسل ٩:٣-٩ من ذلك النص يتبين أن المسافرين مع بولس سمعوا الصوت ، لم ينظروا النور ، وقفوا صامتين ، لم يعموا مثله ، ولذلك إقتادوه إلى دمشق وهناك سيتلقى الرسالة ويعرف المهمة .

وجاء فى الإصحاح الثانى والعشرين - على لسان بولس نفسه - قال :

« فحدث لى وأنا ذاهب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لى : شاول شاول . لماذا تضطهدنى ، فأجبت . من أنت يا سيد . فقال لى أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده ، والذين كانوا معه نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى . فقلت : ماذا أفعل يارب . فقال لى الرب .

قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل وإن كنت لا أبصر من أجل بها ذلك النور فقادنى بيدى الذين كانوا معى فجئت إلى دمشق » أعمال الرسل ٢٢ : ٦-١١ .

فمن ذلك النص أيضا يتبين :

أن المسافرين مع بولس لم يسمعوا الصوت ، نظروا النور وإرتعبوا . لم يعموا مثله ، ولذلك إقتادوه إلى دمشق ، وهناك سيتلقى الرسالة .

وجاء فى الإصحاح السادس والعشرين - على لسان بولس أيضا -

رأيت فى نصف النهار وفى الطريق أيها الملك نورا من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولى ، وحول الذاهبين معى ، فلما سقطنا جميعا على الارض سمعت صوتا يكلمنى ويقول باللغة العبرانية : شاول شاول لماذا تضطهدنى ، صعب عليك أن ترفس مناخس ، فقلت أنا من أنت ياسيد فقال : أنا يسوع الذى أنت تضطهده ، ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادما وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به ، منقذا إياك من الشعب ، ومن الأمم الذين أنا أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلي نور » ١.ع ٢٦:١٣-١٨ .

أي أن المسافرين مع بولس إلي دمشق سقطوا علي الأرض معه عندما فوجئوا بالنور ، أما بولس فقد تلقي الرسالة فوراً بقوله : «(أنا الآن ارسلك إليهم) مع وعد بإنقاذه من الشعب اليهودي والأمم الذين أرسل إليهم فلا يقضوا عليه ، كما سبق انقاذ كثيرين من أيدي أعدا ئهم مثل داود الذي قال: (هذا النشيد في اليوم الذي انقذه فيه الرب من أيدي كل اعدائه ، ومن يد شاول ، فقال الرب صخرتي وحصني ومنقذي ، الله صخرتي به أحتمي ، ترسي وقرن خلاصي ملجأي ومناصي ، مخلصي من الظلم تخلصني ، ادعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائي ، لأن أمواج الموت إكتنفتني ، سيول الهلاك أفزعتني . أنقذني من عدوي القوي ، من مبغضي لأنهم أقوي مني صموئيل الثاني ٢:١-٢٤ .

لـم يبق لنا بعد هذا الذي رأيناه في النصـوص الثلاثة من تعليق سوي أن نذكر قاعدة أصولية مشهورة ، تحكم الناس في حكمهم في مختلف القضايا الفكرية خصوصاً التي تتعلق بمسائل مصيرية في حياة الفرد - أيا كان هذا الفرد - فهل هناك أمور مصيرية أهم من الأمور الدينية ؟ هذه القاعدة تقول : كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الإستدلال ونحن هنا في موقف يهون معه تسرب الاحتمال ، فلقد وضح جليا عظم التناقض والاختلاف في هذه الأصول الثلاثة المتقدمة ، خاصة إذا علمنا أن بولس إنتهت حياته بالقتل في روما علي يد الأمميين ، فلم ينقذ كما سبق وعده بالإنقاذ (٢٦:١٧) كما سبق إنقاذ داود من أعدائه حتي مات ميتة طبيعية « وإضطجع داود مع آبائه ودفن في مدينة داود » الملوك الأول ١٢:١٠ .

لقد رفض تلاميذ المسيح قبول بولس بينهم ، لولا شفاعة « برنابا » ذلك الرجل الصالح الذي قدمه إليهم ، وبناء علي ثقتهم في « برنابا » فقد تركوه « يدخل ويخرج في أورشليم » معهم ، لكن بولس لم يلبث أن إنقلب علي « برنابا » وأذاقه الأمرين ، وأوغر صدور القوم عليه حتي صار منبوذا مطارداً منهم ومن غيرهم . وتاريخ الرسالات السماوية من لدن آدم - عليه السلام - إلي خاتم المرسلين - صلي الله عليه وسلم - حافل بالكثير ممن كانوا اشد الناس عداوة لها ، فلما ان شرح الله صدرهم ، تحولوا إلي أخلص دعاتها ، وصار منهم الزعماء والمصلحون ، ومن يدعون لله علي هدي وبصيرة بصدق وأمانة .

ولكن مشكلة بطرس ، فريدة في نوعها ، فمع أنه لم يكن أصلا من تلاميذ المسيح - عليه السلام - وبالتالي لم يحظ برؤيته أو الحديث إليه ولو مرة واحدة في حياته ، إذ به بعد أن أعلن نفسه رسولا للمسيح يقرر أن مفهومه للمسيحية إنما هو شئ يختص به وحده ، وإنه تلقاه من المسيح مباشرة في تلك الرؤيا التي قال إنه رآها في الطريق إلي دمشق ، وكذلك في تلك الغيبة التي حصلت له في أورشليم ، ومن ثم فلا حاجة له

في إستشارة تلاميذ المسيح وحواريه ، وفي هذا يقول : « وأعرفكم أيها الأخوة الانجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ، لأني لم أقبله من عند إنسان ، ولاعُلمته ، بل بإعلان يسوع المسيح ، ثم يستطرد قائلا : ولكن لما سرَّ الله ، الذي أفرزني من بطن أمي ، ودعاني بنعمته ، أن يُعلن إبنه فيَّ لأبشر به بين الأمم ، للوقت لم أستشر لحما ودما ، ولا صعدت إلي أورشليم إلي الرسل الذين قبلي ، بل إنطلقت إلي العربية ، ثم رجعت إلي دمشق ثم بعد ثلاث سنين ، صعدت إلي أورشليم لأتعرف ببطرس ، فمكثت عنده خمسة عشر يوما ، ولكنني لم أر من الرسل الا يعقوب أخا الرب » أي أن بولس ظل يبشر بالمسيحية ، وفق مفهومه الخاص ، طيلة سنوات ثلاث ، وهي أطول فترة يظن علماء المسيحية أن المسيح نفسه إستغرقها في دعوته بين الناس ، ثم ذهب بولس إلي أورشليم ليتعرف علي بطرس في دعوته بين الناس، ثم ذهب بولس إلي أورشليم ليتعرف علي بطرس ، رئيس التلاميذ ، فمكث عنده خمسة عشر يوما ، قابل خلالها يعقوب أخا المسيح - ثم كانت عودته إلي أورشليم بعد أربعة عشر سنة كي يتأكد من أن تعاليمه التي بشر بها بين الناس ، ليس فيها مايرفضه التلاميذ المعتبرون .

لقد كان التنافس بينه وبين بطرس علي أشده ، فإذا كان بطرس مؤيداً بالروح القدس ، فيشفي المرضي ، فهو يزيد عنه في ذلك « وكان الله يصنع علي يدي بولس قوات غير المعتادة ، حتي كان يؤتي علي جسده بمنديل أو مأزر إلي المرضي فتزول عنهم الأمراض ، وتخرج الأرواح الشريرة منهم » أعمال الرسل ١٩ : ١١، ١٢ .

إنه شئ يدعو إلي الحيرة والبلبلة في حقيقة هذا الرجل وعلاقته بالمسيحية أصلا ، وهذا يقودنا إلي النتائج الآتية :

أ- إن دخول بولس هذا في المسيحية مشكوك فيه ، ولا يمكن الاعتماد علي قصة دخوله فيها لما فيها من تناقضات صارخة .

ب- لقد كانت طبيعة الرجل دموية ، وليس فيها ادني ذرة من تعاليم المسيحية التي تتسم بالسماحة والعفو والمحبة التي نادي بها المسيح عليه السلام - - فبولس هذا لم يعرف عنه سوي الصلب وسفك الدماء ، وأما غير ذلك من تعاليم المسيح - عليه السلام - فقد أهملها تماما ، وهذا واضح من النص الذي جاء عن لسانه وفيه يقول كما سبق أن ذكرنا : « أعرفكم أيها الأخوة الانجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ، لأني لم أقبله من عند إنسان ، ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح » غلاطية ١:١١،١٢ .

وقوله : « لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا » كورنثوس ٢:٢ .

ونعتقد أن بولس كان يخطط لانشاء مسيحية خاصة به ، يعارض بها مسيحية - عيسي عليه السلام - مسيحية تقوم علي سمة واحدة واسم واحد هما الصلب وسفك الدماء ، ولا مانع من الاستشهاد بأفكار وديانات مختلفة حتي لو تعارضت مع المسيحية الأم وليكن ما يكن ، وليس ذلك بغريب منه وهو الذي يقول :

« إذا كنت حراً من الجميع إستعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس .. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شئ لأخلص علي كل حال قوما . وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل لأكون شريكا فيه » كورنثوس ، وقد سبق أن عرفنا أن « برنابا » هو الذي قدم بولس إلي التلاميذ ، لكن الذي حدث بعد ذلك أن أزاح بولس « برنابا » من تصدر الدعوة إلي المسيحية ، جاء في سفر أعمال الرسل : « فحصل بينهما مشاجرة حتي فارق أحدهما الآخر ولم يلبث بولس أن تشاجر أيضا مع بطرس - رئيس التلاميذ - ونحاه هو أيضا وفي ذلك يقول بولس : « لما أتي بطرس إلي انطاكية قاومته مواجهة » غلاطية ٢:١١ .

اما القول عن رسائل بولس فهي عبارة عن رسائل شخصية بحته لا تعطي قيمة دينية أو تاريخية ، يقول هو نفسه عن قيمة هذه الرسائل : « ليس عندي أمر من الرب ولكني اعطي رأيا » و« لست أقول علي سبيل الأمر بل أعطي رأيا » اكو ٧:٦ .

فميسيحية بولس تقوم أساسا علي فكرة الإله المخلص المقتول ، ونعتقد أن الرجل كان عنده شئ من حب الذات أو جنون العظمة فسعي بشتي الطرق، وعمل ما في وسعه كي يكون نداً للمسيح - عليه السلام - ان تكون له رسالة واتباع ومريدون ، ولكن أني يستجيب إلله للدجاجلة والمارقين والادعياء !!! .

ثانياً إنجيل متى :

« متي » اسم إتخذ لعشار كان يضع مكتبه أمام بحر الجليلي بكفر باحوم ليجمع الضريبة للدولة الرومانية ، وإسمه الأصلي هو : ليفي ، وكلمة «متي» تعني هبة الله ، وقد مر المسيح بهذا العشار ، فوقف أمامه ثم قال : إتبعني ، فترك مكتبه وتبعه ، ولم يعد إليه بعد .

كان « متي » آثما فيما وصفه الذين كتبوا عنه ، ولكن لا يعرف من آثامه الا أنه كعشار كان يجمع الأموال الكثيرة من الناس ، فيعطي الحاكم الضريبة المقررة ، ويستبقي ما يزيد لنفسه ، كان يجمع الضرائب من الصيادين ، ومن التجارات التي ترد أو تصدر بالسفن ، ومن القوافل التي تأتي بالبر ، ولم يكن يعني الحاكم الروماني الا أخذ المبالغ التي يقررها ، ولا يهتم بعد ذلك بما يزيدجامعو الضرائب ، لهذا كان الثراء من الحرام باديا عليه .

وقد إقترح عليه بعض رفاقه أن يكتب لهم حياة المسيح ، أي ميلاده وأعماله وموته ، فكتب إنجيله .

وقد إختلف الدارسون في تعيين التاريخ الذي كتب فيه إنجيله ، فقيل بين سنتي ٩٠، ١٠٠ ، وقيل ٨٠ ، ورأي آخرون من باب الحيطة أنه كتب سنة ٦٥ م .

واختلف أيضا في اللغة التي كتب بها ، فقيل إنه كتب باللغة العبرية ليقرأه اليهود المؤمنون به ، وقيل : بل كتب بالآرامية للسبب نفسه ، لأن الآرامية كانت هي الشائعة وليست العبرية ، وقيل كتب باللغة السريانية ، ولكن اللغة التي كتب بها أصلا قد فقدت وظهرت بدلا منها نسخة يونانية ، وهذه أيضا لا يعرف من ترجمها ولا متي كانت هذه الترجمة .

هذه الاختلافات ، والمسائل الغامضة حول هذا الإنجيل تجعله ضئيل القيمة ، لأننا لا نعرف مدي دقة المترجم ولامدي أمانته و«متي» نفسه ، كان يبشر بالمسيحية في الحبشة ، ويقال إنه ذهب ايضا إلي فارس ، وربما ابعد منها شرقا ، ثم عاد إلي الحبشة .

فناقشه الناس في سلسلة النسب التي ذكرها في أول إنجيله لمريم فلما لم يرضوا عن كتابته قتلوه ، ولكن يبقي السؤال هل « متي » هو مؤلف الإنجيل ؟

في العهد الجديد ، جاء ذكر « متي » مرتين ، وذلك في إنجيل « متي » مرة في الإصحاح العاشر الفقرة الثالثة منه ، حيث ذكر اسم « متي » العشار في قائمة التلاميذ الإثني عشر ، ومرة في الإصحاح التاسع ، الفقرة التاسعة التي تقول : وفيما يسوع مجتاز هناك رأي إنسانا جالسا عند مكان الجباية إسمه « متي » فقال له : اتبعني وتبعه » .

ويقول « جون فنتون» مؤكداً أن مؤلف إنجيل متي شخص مجهول نسب علمه إلي « متي » .

وقد ذكر مرقس في إنجيله : « وفيما هو مجتاز رأي لاوي بن حلقي جالسا عند مكان الجباية فقال له إتبعني فقام وتبعه » مرقس ٢:١٢فبدلا من قول «مرقس» رأي لاوي ، نجد متي قد غيره إلي : « رأي إنسانا جالسا عند مكان الجباية إسمه «متي » .

فالذي يقرأ القصة بين متي ومرقس ، يجدها قصة واحدة لا تغيير فيها الا في اسم لاوي حيث تحول إلي «متي» .

ويبدو أن الشك في مؤلفي الأناجيل قدر مشترك ، وهذا إن دل علي شئ فإنما يدل علي عدم تحديد شخصية المؤلف علي وجه الدقة ، فالذي يطالع كتب المسيحية يتبين له إختلاف الدارسين إلي ثلاث فرق تجاه هذه القضية :

فريق يتبني وجهة نظر الكنيسة ويقول : إن متي العشار ، تلميذ المسيح ، هو كاتب الأنجيل ، وسند هذا الفريق أمران :

أ- هو أن العنوان « الانجيل بحسب متي » عنوان قديم ، حيث ظهر في نهاية القرن الثاني الميلادي حوالي سنة ١٢٥م [١] .

ب- قول : « بابياس » أن « متي كتب الأقوال باللغة العبرانية ، وكل واحد يفسرها علي قدر معرفته ، وعلي هذا الأساس يقولون : إن كاتب هذا الانجيل في شكله الحالي هو « متي أو لاوي العشار »[٢] .

يقول القس فهيم عزيز : « وأما الفريق الثاني فينكر أن متي، رسول المسيح كانت له صلة بهذا الانجيل ، وينكرون قول «بابياس» بأن هذا ينطبق علي الانجيل الحالي ولهم في ذلك عدة أسباب :

١- أن بابياس يذكر أن إنجيل متي كتب باللغة العبرية ، ولكن العارفين باللغات يقولون إن إنجيل متي الحالي ، كتب أصلا باللغة اليونانية .

٢- أن «متي » اعتمد كثيرا علي إنجيل «مرقس» وفي ذلك يقول فهيم عزيز : « يكفي هنا أن نقول : إن «متي» إحتوي علي الغالبية العظمي من المادة التي يتكون منها إنجيل «مرقس» .

كذلك نجد أن علماء المسيحية متفقون علي أن « متي ولوقا » إعتمدا كثيرا علي إنجيل مرقس ، وإستخدماه أساسا لكتابيهما .

ولكن هذا مدفوع بأن من يقرأ الإنجيلين «متي ولوقا » يجد اختلافا جوهريا في روح الكتابة نفسها ، فإنجيل مرقس يؤكد أن المادة التي فيه قد خرجت من شاهد عيان ، أما إنجيل «متي» فإنه يختلف عنه ولكنه إختلاف

(١) إنظر المدخل إلي العهد الجديد للقس فهيم عزيز ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) -إنظر المدخل إلي العهد الجديد للقس فهيم عزيز ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

في الشخص الذي أخذ المادة منه ، وهذا يدل علي أن مرقس كتب أولا ، مستوحيا مادته من شخص قريب من يسوع المسيح عليه السلام بخلاف «متي» الذي أخذ من مصدر وسيط ولم يكن شاهد عيان .

فهذه اسباب ثلاثة تؤكد على أن متى ليس هو كاتب الإنجيل .

علي كل حال ، ليس فيما ذكرنا جديد فهذا شأن الأناجيل مع كاتبيها ، وهذا ما يجعلها تفقد مصداقيتها وتصبح مبعث شك علي الدوام . خصوصا وأن النسخة الأصلية التي كتبت بالآرامية فقدت ثم ظهرت ترجمتها اليونانية، وهذه ترجمت إلي اللاتينية ومنها الي اللغات الأخري المتداولة الآن[1] ولكن لم يعلم حتي الآن كيف ترجم هذا الانجيل ، ولامن ترجمه ، وما هو حال هذا المترجم في القوة أو الضعف في المسيحية وهل هو من المسيحيين أو من اليهود ، والأغرب من ذلك أن الأخوة النصاري يجزمون بأنه إنجيل معتمد لديهم ترجع إليه في عقائد دينها وأصوله .

وقد أكثر الاب «كانينجر » الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس، من ايراد الأدلة علي أن نسبة هذا الانجيل «لمتي الحواري غير صحيحة، ثم أبدى نقداً آخر للانجيل نفسه ، وهو إيراده روايات ، يصعب تصديقها خصوصا عن قيامة المسيح من قبره ، إذ يذكر إنشقاق حجاب الهيكل وتزلزل الارض وتشقق الصخور ، وتفتح القبور ، وخروج الكثير من القديسيين الراقدين الذين خرجوا بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة أمام الكثيرين »[2] .

وعند فجر الاحد نزل ملاك الرب ، وفتح قبر المسيح ، فخافه الحراس ولكنه آمن مريم المجدلية ، ومريم الأخري اللتين كانتا جالستين تجاه قبره ، وقال لهما : إنه المسيح قد قام من قبل إذهبا إليه في الجليل وها هو ذا القبر خال ، ولما ركضتا بخوف وفزع إلي الجليل قابلهما يسوع نفسه في الطريق ، وأمرهما أن يخبرا تلاميذه ليقابلوه هناك .

أما الحراس فذهبوا إلي رؤساء الكهنة ليخبروهم بما حدث فقدم لهم الكهنة رشوة سخية ، ليقولوا إن تلاميذه سرقوه في غفلة منهم .

(١) إنظر في ذلك محاضرات في النصرانية - مصدر سابق وكذا كتاب الفارق بين المخلوق والخالق .

(٢) إنظر إصحاح ٢٧ (٥١-٦٦) واصحاح ٢٨ .

وأما التلاميذ الأحد عشر ، فذهبوا إلي الجليل ، ورأوه ، ولكن بعضهم شكوا ، فقال لهم : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وهأنا معكم كل الأيام إلي انقضاء الدهر » .

فهذه القصة لم تثبت علي وجه اليقين ، بل إن الشك يحوطها من كل الجوانب ، لأن الأمر كان يقتضي أن يذهب الحراس إلي رؤسائهم لا إلي الكهنة ، هذا هو منطق الأحداث، لأنه الشئ الطبيعي وكان ظهوره ، وحدوث كل هذه الظواهر (الشاذه) يحتم أن يؤمن به كل الناس،أو علي وجه الدقة ، كل من شاهده – حتي اليهود اعداءه ، رهبة من هذه الخوارق [1] .

ويروي الرواة ، أن المسيح – عليه السلام – ظهر في ذلك اليوم نفسه الي تلميذين من تلاميذه ، في الطريق الموصل الي عمواس ، وتحدث إليهم ، وأكل معهم ولكن « أمسكت أعينهما عن معرفته » ثم « أخذ خبزا وبارك وكسر فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم إختفي عنهما » ورجع التلاميذ إلي الجليل فلما «رأوه» بعد قليل « سجدوا ولكن بعضهم شكوا » وبينما كانوا يصطادون السمك ، رأوا المسيح ينضم إليهم ، فألقوا شباكهم ولم يستطيعوا أن يجذبوها من كثرة السمك .

وجاء في سفر أعمال الرسل ، أن المسيح صعد بجسمه إلي السماء بعد أربعين يوما من ظهوره إلي مريم المجدلية ، إذ كانت فكرة إنتقال القديس بجسمه وحياته إلي السماء من الأفكار الشائعة المألوفة بين اليهود ، فقد رووها عن موسي وأخنوخ واليسع واشعيا ، وهكذا إختفي السيد المسيح بنفس الطريقة الخفية التي ظهر بها ، ولكن يبدو أن معظم تلاميذه كانوا يعتقدون مخلصين أنه قد وجد معهم بجسمه بعد صلبه ، وفي ذلك يقول لوقا : « ورجعوا إلي أورشليم بفرح عظيم ، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله » [1] .

---

(١) موريس بوكاي . الانجيل والتوراة والقرآن والعلم الحديث .

(٢) قصة الحضارة – قيصر والمسيح ج٣ المجلد ١١ ورغم اختلافنا مع المؤلف الا أننا لا نستطيع أن نعلق أو نبدل فيما كتب .

من دحرج الحجر عن قبر المسيح - عليه السلام - [1]

إن قصة دُحرجة الحجر عن قبر السيد المسيح - عليه السلام - مذكورة في الأناجيل كلها ، ولكن بروايات مختلفة .

في إنجيل «متي» الإصحاح ٢٨ :١-١٠ .

« وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ، ومريم الأخري لتنظرا القبر وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج ، فمن خوفه إرتعد الحراس وصاروا كأموات ، فأجاب الملاك وقال للمرأتين : لا تخافا أنتما فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو هاهنا لأنه قام كما قال هلما أنظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعا فيه وإذهبا سريعا قولا لتلاميذه أنه قد قام من الأموات هاهو يسبقكم إلي الجليل هناك ترونه ها أنا قد قلت لكما فخرجنا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له فقال لهما يسوع : لا تخافا ! إذهبا قولا لاخواني أن يذهبوا إلي الجليل وهناك يرونني » .

من إنجيل لوقا ٢٤: ١-١٢ .

« ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلي القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهن أناس فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع وفيما هن محتارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلي الأرض قالا لهن لماذا تطلبن

(١) مع ايماننا الكامل بكل ما جاء في القرآن الكريم بشأن رفع المسيح - عليه السلام الا أننا نتناول الموضوع من زاوية نصرانية بحتة تحقيقا للامانة العلمية .

الحي بين الأموات ليس هو هاهنا لكنه قام إذكرن كيف كلمكن وهو بعد في الجليل قائلا إنه ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي اناس خطاة ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم فتذكرن كلامه ورجعن من القبر وأخبرن الاحد عشر وجميع الباقين بهذا كله وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسول فترا ءي كلامهن كالهذيان ولم يصدقوهن فقام بطرس وركض إلي القبر فانحني ونظر الاكفاف موضوعة وحدها فمضي متعجبا في نفسه مما كان . » .

وحتي نتجنب الاطالة في هذا الموضوع ، نقول : إن هذه القصة مذكورة في باقي الأناجيل ولكن بإضافات وزيادات ولكنها تلح أن الحجر دحرج عن القبر ، وأن السيد المسيح . قام منه .

ويلاحظ الأب «روجي» ان قيام المسيح من قبره فجر السبت ، وكان دفن قبله يجعل مدة دفنه ليلتين ويوما ، مع أنه وعد تلاميذه أن يمكث في القبر ثلاثة أيام ، وهي مدة مكث يونس - عليه السلام - في بطن الحوت ، وهي القصة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم .

ولكن « كولمان» يصرح في وضوح أن كاتب إنجيل «متي» شخص بعيد الخيال ، أباح لنفسه التصرف في النصوص بحرية ، وأضاف إلي تاريخ المسيح شيئا لم يقله غيره .

وهذا يؤكد مرة أخري ان إنجيل متي ، ليس من عمل متي تلميذ المسيح وهو إنجيل لعب فيه خيال كاتبه ، واحتوي احداثا غير منطقية . غير أن هناك تساؤلات باتت تلح في مسألة « دحرجة الحجر » لعل في الاجابة عليها ما يلقي الضوء علي حقيقة هذه القصة :

إذ جاء في إنجيل «يوحنا» ٢٠:١ ، « وفي اول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلي القبر باكراً والظلام بان فنظرت الحجر مرفوعا ... » هنا يثور سؤال بدهي هو : لماذا ذهبت مريم المجدلية إلي القبر أصلا ؟ يقول مدونو الأناجيل إنها ذهبت لتدهن بالاطياب جسد يسوع .

لم يرد عن أهل الملل الأخري ومنها ملة الإسلام ، أن الميت يدلك جسده بالأطياب بعد موته ، أو يدهن أو يدلك ، أو أي شئ من هذا القبيل ، حتي أن بعض الملل تعد ذلك شيئا مكروها .

إذا لم يبق الا الخبرة والمعرفة العامة ، لأن جسد الميت يشرع في التيبس في خلال الثلاثة أيام الأولي وتحديدا بداية من مضي ثلاث ساعات من الدفن ، نتيجة لتوقف خلايا الجسم ، ثم يشرع الجسم كله بعد ذلك في التحلل والتعفن من الداخل ، فإذا ما قمنا في تدليك الجثة وهي متعفنة فإنها تتفتت ويصبح التدليك غير ذي فائدة ، فإذا أضفنا إلي ذلك قول المسيح نفسه : « قال لها يسوع : لاتلمسيني لأني لم أصعد بعد إلي أبي » يوحنا ٢٠:١٧ .

وخروجا من هذا المأزق فإننا نلتمس العذر لمريم المجدلية ونقول إنها أبصرت ملامح الحياة في الجسد الرخو عندما أنزلوه من علي الصليب ، انها أوشكت أن تكون المرأة الوحيدة التي كانت جنبا إلي جنب يوسف الذي من الرامة « فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتا في صخرة ودحرج حجرا علي باب القبر وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع وجاء أيضا نيتود يموس الذي أتي أولا إلي يسوع ليلا وهو حامل مزيج مر ، وعود مئة مناً ، وأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا » يوحنا ٣٩:١٩ يقول إبراهيم خليل أحمد في تفسيره لهذه الواقعة : « هذا الإنسان نيتود يموس ، وبكيفية ما ، عن قصد وتعمد ، مُحي ذكره من الأناجيل الثلاثة التوفيقية ، فإن مدوني هذه الأناجيل : متي ومرقس ولوقا ، يتجاهلونه علي الإطلاق ، مع أنه كان التلميذ الخفي بحكم مركزه الديني المرموق « وكان انسان من الفريسيين إسمه نيتوديموس رئيس لليهود » يوحنا ١:٣ كان تلميذا غيورا للمسيح ، منكرا لذاته ، ومع ذلك لم يذكر إسمه في أي من الأناجيل الثلاثة ، أليس ذلك شيئا غريبا ؟ .

وفي النهاية يبقي السئوال ، من الذي دحرج الحجر ؟

إن الإجابة تكمن في إنجيل مرقس « جاء يوسف الذي من الرامة ...

ووضعه في قبر كان منحوتا في صخرة ودحرج حجرا علي باب القبر ومضي ..» والحجر كان كبيرا يتناسب مع فتحة القبر ، ويتعذر علي رجل بمفرده أن يقوم بدحرجته ، إذا لابد أن يكون له شريكا أو شركاء يساعدونه علي هذا العمل ، وهنا يظهر دور نيتوديموس ذلك الرجل المخلص الذي غفلت الأناجيل بقصد أو بدون قصد عن ذكر إسمه أبداً ، هذا إذا أضفنا أن الإثنين : يوسف ونيتوديموس - كانا يتمتعان بالشجاعة والقوة ، والعافية والبر بالمعلم ، فلم يتركا المعلم في هذا المأزق الحرج دون تكريمه ودفنه ، وقد قاما بالشعائر الموسوية من الغسل والتحنيط بالمر والعود ثم تكفينه بأربطة ثم دفنه .

- حسب روايات الأناجيل - ومع ذلك تبقي الحقائق الأتية واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار ، تعلن عن نفسها في كل وقت وحين إلي أن تقوم الساعة فيرث الله الارض ومن عليها .

١- الخطيئة لن تورث ، قال تعالي : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخري ﴾ .

٢- التثليث إدعاء وتلفيق ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ (المائدة ٧٣) .

٣- المسيح عيسي بن مريم ليس إلها ولا ابن إله : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾

٤- المسيح لم يقتل ولم يصلب « بل رفعه الله إليه » ولكن للأسف فإن النصراني منذ الطفولة يتشرب تلك التعاليم الكنيسة التي تبعد به عن دنيا الواقع وعالم الحقيقة ، بل إن رجال الكنيسة لا يقبلون أدني مناقشة في هذه الأمور من أبنائهم وفي ذلك حجب لنور الحقيقة ، وصدق واحد منهم إذ يقول : من أغمض عينيه دون النور يضير عينيه ولا يضير النور .

ثالثا : إنجيل لوقا :

يقول عنه مؤرخو النصرانية : إنه كان تلميذ لبولس .، أي أنه لم ير السيد المسيح - عليه السلام وكان طبيبا من أهل أنطاكية ، وقيل كان مصوراً ، وقال عنه صاحب كتاب « مرشد الطالبين » إنه كتب إنجيله بإيعاز من شخص إسمه « ناوفليوس » المزعوم أنه مصري ، وإن كان البعض يقول إنه يوناني ، وكان ذلك ٥٨-٦٠ ميلادية .

* وعن حقيقة إنجيل «لوقا » يقول العالم « رميس» إن انجيل لوقا ليس الهاميا ، وهذا علي ما حققه «مستركول» في رسالة الإلهام .

قال «إكهادن» إنه اختلط الكذب للراوين في بيان المعجزات التي نقلها «لوقا .....وأن تمييز الصدق من الكذب في هذا الزمان عسير ويقول مارا غوسضيوس « إني لم أكن أو من بإنجيل لوقا ، لو لم تسلمني إياه الكنيسة المقدسة ، أي أن الكنيسة هي التي تضفي القانونية علي إنجيل « لوقا » .

وقد فصل القس إبراهيم سعد ، من كتبت لهم الأناجيل ، فذكر أن إنجيل «لوقا » كتب لليونان ، وإنجيل «متي » كتب لليهود ، وإنجيل مرقس كتب للرومان ، وإنجيل يوحنا ، كتب للكنيسة العامة ، ولكن الملاحظ من بعض فقرات إنجيل « لوقا » أنه كتب للناس عامة .

كذلك فإن « لوقا » كتب أيضا « أعمال الرسل » ووجه بها وبأنجيله إلي صديق له يسمي « ثاوفيلس » وليس لدينا معلومات كافية عن هذا الصديق اللهم الا بعض إشارات تفيد إنه رجل شريف .

وإنجيل « لوقا » كتب قبل « أعمال الرسل ولكن إختلف أيضا في تاريخ كتابته ، فمن قائل بأنه كتب بين سنتي ٨٠، ٨٥ ، ولو أن بعض الكتاب وضعه في تاريخ متأخر جداً عن هذا التاريخ .

ولكن الملاحظ عن هذا الإنجيل أنه معني بالحديث عن العلاقات الاجتماعية ، خصوصا بين الأغنياء والفقراء ، ولكن المقطوع به ان هذا

الانجيل الف بعد موت بولس ، وربما كان هذا التأخير سببا في أن يأخذ لوقا من الأناجيل الأخري ويختلف معها ، من ذلك .

ما جاء في «لوقا» « ورفع عينيه إلي تلاميذه وقال :«طوبي لكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله ، طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون .. » لوقا ٦/ ٢٠

فقد نقل «لوقا» الفقرة الموجودة في إنجيل «متي» والتي تقول «طوبي للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات، طوبي للحزاني لأنهم يتعذون ، طوبي للودعاء ... » متي ٥/ ٣

وحولها إلي جماعة خاصة هم تلاميذ المسيح ، كما إستبدل ملكوت بملكوت السماوات ، إلي عبارات أخري مخالفة كما كتب « متي » بل إنه زاد في فقرات ٢٤ -٢٦ عدداً من الويلات للأغنياء .

والدراسات التي أجريت علي هذا الانجيل ، تخرج بخلافات واسعة أيضا إذ أن هناك خلاف في شخصية الكاتب ، وفي الذين كتب لهم هذا الانجيل وفي تاريخ تأليفه ، ثم هناك موازنات بين اسلوبه ، واسلوب أعمال الرسل ، وهذا يعطي نتيجة وهي أن إنجيل «لوقا» لايوثق به ، وعلي الأقل فإن صاحبه لم ير المسيح - عليه السلام - ، ولم يكن أيضا تلميذا لواحد من حوارييه ، وتعاليمه كلها مستمدة إن لم تكن مأخوذة من بولس ، وبولس أيضا غير موثوق به ، كما سبق أن ذكرنا . بل إن « أرجن» كان من الذين أفتوا بجواز تأليف الكتب الكاذبة ونسبتها إلي الحواريين أو التابعين ، أو إلي قسيس من القسيسين المشهورين ، وذلك مصرح به في الحصة الثانية من الباب الثالث من تاريخ كاسيا المطبوع سنة ١٨٤٨ لوليم سيور باللغة الأوردية ... [١] ولكن جمهرة المؤلفين المسيحيين يتفقون علي أن هذا الانجيل كتب باللغة اليونانية ، وهذه نقطة خلافية كبيرة تضع كثيرا من علامات الاستفهام علي هذا الانجيل مثل : من هو الكاتب الحقيقي لهذا

(١) إنظر الاسلام والنصرانية للمستشار محمد عزت الطهطاري .

الانجيل ، وما هي جنسيته ، ومن هم القوم الذين كتب لهم هذا الإنجيل ؟ وما هو الزمن الذي وقع فيه تدوين هذا الانجيل ؟ .

عدة تساؤلات لا تغيب عن كل فاحص أو مدقق ، أو باعث عن الحقيقة وسط هذا الكم الهائل من التناقضات والاختلافات .

إنها منهجية العناد ، والتعامي عن الحقيقة ، والبعد كل البعد عن إصطلاحات علماء الاديان ، وهل يمكن لهذا الشئ أن يطلق عليه لفظ إنجيل ؟

إن ما جاء في مفتتح إنجيل «لوقا» عبارة عن رسالة شخصية ، كتبها - تجوزا إلي صديق له يدعي ثاوفيلس ، كما سبق أن ذكرنا ، ولكن هذه الرسالة تحولت بقدرة عجيبة إلي «إنجيل» كيف بالله ؟ ومع ذلك يطلب منا أن نصدق أنه كتاب مقدس ؟ كتاب فاقد السند والصاحب والاصل أي فاقد لمقومات الحياة ، هل يقال عنه أنه إنجيل ؟ بأي منطق ؟ وحتي سفر أعمال الرسل الذي جاء ذكره منسوبا إلي «لوقا» لا يعرف بالضبط من كتبها ، بل هل كتبها واحد أم جماعة من الناس فبعضهم يزعم أن سفر أعمال الرسل الفه عدة أشخاص ، كل منهم كتب جزءا بطريقته واسلوبه ، ثم جاء شخص وجمع هذه الكتابات في كتاب واحد ، ويستدل علي ذلك بالتكرار في نوعيات الكتابة ؟

وهذه الرسالة أيضا تعطي مؤشرات غاية في الأهمية بل أنها تهدم الاساس الذي بني عليه هذا الانجيل وتزيل من النفوس أي أثر علي انه مقدس :

إن كاتب هذه الرسالة - سواء كان «لوقا» أو فرد أو جماعة ، لم يدع .

* ان هذه المعلومات أتته عن طريق الالهام ، أو كان مسوقا في كتابتها من الروح القدس أو مؤيداً بتوجيهاته ، أو أنه كتبها من الذاكرة حفظا عن المسيح - عليه السلام - وأيضا - والحق يقال فإنه لم يقل إن ما كتبه يعد من فرائض الدين ومعتقداته التي يعمل بمقتضاها .

** يقرر الكاتب صراحة أن معلوماته جاءته نتيجة لإجتهاده الشخصي لأنه تتبع كل شئ من الأول بتدقيق (إنظر نص الرسالة فيما سبق) .

* يعترف الكاتب إنه لم ير المسيح ، ولم يكن من تلاميذه لكنه كتب الرسالة الي صديقه بناء علي المعلومات التي تسلمها من الذين عاينوا المسيح وكانوا في خدمته .

* يقرر - وهذا هو المهم - أن كثيرين قد أخذوا في تأليف أناجيل فقد خاطب صديقه بأن كثيرين - أي أن مهنة تأليف الأناجيل كانت منتشرة جداً في ذاك الزمان ، وهذا يدل دلالة واضحة علي أن الذين الفوا وكتبوا كانوا كثيرين ، كم عددهم وكم عدد الأناجيل الذين الفوها لم نجد إجابة عنها حتي الآن .

* ومن المعلوم أن سفر أعمال الرسل الذي يعد أطول أسفار العهد الجديد هو الجزء الثاني من رسالة « لوقا » إلي صديقه « ثاوفيلس » وذلك لأن سفر اعمال الرسل ينص علي أنه بقية الرسالة الموجهة إلي « ثاوفيلس » ومع ذلك فإن أغلب النصاري يزعمون أن سفر أعمال الرسل هو من تدوين « لوقا » وأن « لوقا » نفسه من الرسل الملهمين وأن كلامه جاء من الروح القدس الذي ملأ إخوانه الرسل ولكن هذا الزعم يمكن الرد عليه بعدة إعتراضات :

١- انه لا يوجد « للوقا » معجزة واحدة تثبت الهامه حتي يكون كل ما جاء منه جاء من الروح القدس .

٢- لم يرد في الكتب المسيحية أن « لوقا » كان من السبعين الذين أرسلهم المسيح ، وأخبرهم أن اسماءهم كتبت في السماء أو أنه كان من اولئك الذين القي فيهم بطرس خطبته وإمتلأوا بالروح القدس - علي حد زعمهم - .

٣- أن التناقضات التي وردت في هذا الانجيل تنفي تماما أن يكون جاء الهامه من الروح القدس .

وعلى ذلك سيظل هذا الانجيل محل شك من أصحاب العقول الرشيدة . يؤيد ذلك ، أن الكاتب وقد كان كان صديقا لبولس ، المدعو رسول المسيح ومرافقا له فى رحلاته «لوقا وحده معى » تيموثاوس الثانية « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب » كورنوس ٤:١٤ .

إن هذا الكاتب استخدم على الأقل ثلاث وثائق مفقوده ، إثنتان منها مطابقة لما استخدمه «متى » فى تدوين إنجيله والثالثة ، وثيقة من خصوصياته ، ولعلها تلك التى أشار إليها فى مفتتح إنجيله قائلا : « كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء ومعاينيين وخداما للكلمة » لوقا ١:٢ .

لقد أراد « لوقا » أن يقدم إنجيله موافقا لوجهة نظر تعاليم «بولس» مما جعله يتصرف بحرية مطلقة مع مصادره بأكثر مما تصرف كاتب إنجيل « متى » .

ومع ذلك فإننا نجد تطابقاً بين أناجيل متى ومرقس ولوقا وهو ما يطلق عليه اسم الاناجيل المتطابقة وذلك لأنها دونت تدريجيا من مصادر واحدة ، من وثائق كانت مفقودة ، وتشتمل على الكثير من المسائل المشتركة .

رابعاً : إنجيل يوحنا

يختلف هذا الانجيل عن تلك الاناجيل المتطابقة ، مرقص ، متى ، لوقا فى مسائل تعتبر جوهرية فى العقيدة النصرانية وهى :

لاهوت يسوع المسيح أزلية ، إذ هى مؤكده فى هذا الإنجيل وحده ، بالرغم من أن لاهوت يسوع المسيح ، نفسه لم يدع ذلك شخصيا ولا قال به فى أى من عظاته ، لان هذه الفرية وحدها كافية لنسف رسالته من أساسها .

جاء فى مفتتح هذا الانجيل ، وفى الأعداد الأولى من الاصحاح الأول بأن الكلمة أو العقل الإلهى الذى خلق العالم قد تجسد فى يسوع المسيح .

من هو يوحنا ؟

يوحنا هذا أحد حوارى المسيح - عليه السلام - وهو ابن صياد يدعى

زبيدى ، وامرأة تدعى سالوم أو سالومى،وكان له أخ ترب له يدعى جيمس ، مرّ بهما المسيح وهما صبيان فتعلقا به وتبعاه ، وكان من أترابهما سيمون وأندرية ، وهما صبيان أيضا ، ولكنهما يكبران يوحنا وأخاه ، وعمدوا جميعا من يوحنا المعمدان من قبل فلما ، طلع عليهما المسيح تبعه يوحنا وأخوه ، ثم كان يوحنا أحد تلاميذه الإثنى عشر ، وظل يبشر بالمسيحية حتى مات شيخا طاعنا فى السن [1]

متي وأين دون إنجيله :

دون إنجيل يوحنا فى إفسس ، أو قريب من أفسس ما بين عامى ١١٠ ، ١١٥ من العصر المسيحى .

وهذا الانجيل كتبه مجهول ، وقد كان ضد الساميين ، ويميل إلى إظهار الشعب اليهودى بأنهم أعداء يسوع المسيح ولا يوجد عالم من العلماء المتحرزين يعتبر هذا الانجيل من أعمال يوحنا بن زبدى ، فضلا عن ذلك فإن علماء الكتاب المقدس العصريين ، يرتابون فى حقيقة هذا الإنجيل ، ليس فقط فى وجهات النظر التى يوردها ، بل أيضا فى الكلمات التى وضعها على لسان السيد المسيح - عليه السلام .

فضلا عن ذلك فإنه وفقا لكتابات وأقوال : و.هـ تشارلز وروبرت ايزلر وآخرين ، فإن « يوحنا » مات شنقا بواسطة أغر يباس الأول ٤٤ ميلادية بمدة سابقة عن تاريخ تدويين الانجيل الرابع المسمى إنجيل « يوحنا » .

إن المطالع على الأناجيل الثلاثة مرقس ، متى ، لوقا ، يجد أنها لاتحتوى على أية إشارة عن التثليث أو الوهية المسيح أو الوهية روح القدس ، أو عقيدة الفداء ، وهو تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيرا لخطئة آدم التى أخرجته من الجنة .

أما ما جاء فى إنجيل « يوحنا » من ذكر صريح لهذه الإفتراءات وخصوصا الوهية المسيح التى تعتبر الركن الأساسى من أركان التثليث ، فإن هذا

(١) موريس بوكاى مصدر سابق .

الانجيل لا يسلم به محققو المسيحية - كما سبق أن قلنا - إذ أن علماء المسيحية فى أواخر القرن الثاني الميلادى ، أنكروا نسبة هذا الانجيل إلى يوحنا الحوارى ، خصوصا وأن أرينيوس تلميذ بوليكارب ، تلميذ يوحنا الحوارى ، كان موجوداً بين ظهرانيهم ، ولم يرو أو يرد بأنه سمع من استاذه ما يشير إلى ذلك ، ولو كانت صحيحة لكان أول من علم بها تلميذه بوليكارب ، ولأعلم هذا تلميذه أرينيوس ، ولأعلن هذا الأخير تلك الآراء عندما ذاع إنكارها وإشتهر رفضها .

وقيل إن إنجيل «يوحنا» كتب لغرض خاص ، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة ، فطلب إلى يوحنا أن يكتب انجيلا يتضمن بيانات هذه الألوهية فكتب هذا الانجيل .

وقال جرجس زوين فى ترجمة له : « إن شير بنطوس وأبيسون ، وجماعتهما ، لما كانوا يعلمون بأن المسيح ليس الا انسانا ، وأنه لم يكن قبل امه مريم ، فلذلك اجتمع عموم اساقفه آسيا سنة ٩٦ ، وغيرهم عند يوحنا ، والتمسوا منه ان يكتب عن المسيح ، ينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خاص عن لاهوت المسيح ..

وقال صاحب « مرشد الطالبين » إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التى كتب فيها يوحنا إنجيله ، فإن بعضهم يزعم أنه كتبه سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم ، وآخرون يرون أنه كتب سنة ٩٨ وذلك بعد رجوعه من المنفى (١) .

فالمقصد بكتابته إيفاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ، ذات التروى ، مما لم يذكره باقى الانجليين ، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة ، أشهرها معلمون كذبة ، فى شأن ناسوت المسيح وموته ، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل فى الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم .

---

(١) إنظر الاسلام والنصرانية للمستشار محمد عزت الطهطاوى - مصدر سابق .

ملاحظات علي إنجيل يوحنا :

إذا كانت هناك شواهد ، يفهم منها أن الذى كتب إنجيل « يوحنا » كان مشاهد عيان ، وحاضرا مع السيد نفسه ، وأنه يضع نفسه بين الشهود مثل : « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً » يوحنا ١ :١٤ ثم يقول : « والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم » يوحنا ١٩ :٣٥ .

ويقول : « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق » يوحنا ٢١ :٢٤ .

يقول القس : فهيم عزيز ، فى كتابه « المدخل إلى العهد الجديد » ص٥٤٧ .

* هذه الشواهد وغيرها قد تؤخذ على أن يوحنا هو الذى كتب الانجيل ، وقد تؤخذ على العكس ، خصوصا إذا وضعنا فى الاعتبار ان يوحنا بن زبدى لم يذكر أبداً فى الانجيل ، مع أن يوحنا المعمدان نفسه قد ذكره ، ولم يذكر الكاتب لقبه .. وكان يجب أن يذكر اللقب مضافا إلى الاسم لو أراد الكاتب أن يميزه عن نفسه » .

* الصفة التى ذكرت ليوحنا فى الانجيل تقول : « التلميذ الذى كان يسوع يحبه » ولكن البعض إعترض على أن يوحنا كان لابد أن يذكر نفسه بلقب الرسول ، مثل كل الرسل ، وليس : « التلميذ الذى كان يسوع يحبه » لأن هذا اللقب كان المفروض أن ينسب إلى اليعاذر ، ويستدلون على ذلك بشواهد تكاد تكون منطقية : مثل :

« وكانت مريم التى كان اليعاذر أخوها مريضا ، هى التى دهنت الرب بطيب ، ومسحت رجليه بشعرها ، فأرسلت الأختان إليه قائلتين : يا سيد هو ذا الذى تحبه مريض » يوحنا ١١ :٢،٣ .

« قال هذا وبعد ذلك قال لهم - أى يسوع - اليعاذر حبيبنا قد نام لكننى أذهب لأوقظه » يوحنا ١١ :١١ .

وفى الاصحاح الحادى عشر من إنجيل «يوحنا» حديث عن اليعاذر وعن قصة موته ، وبكاء يسوع عليه ، ولما بكى يسوع عليه قال اليهود إنه كان يحبه : « وقال أين وضعتموه ؟ قالوا : يا سيد فقال وأنظر بكى يسوع فقال اليهود إنظروا كان يحبه » يوحنا ١١ :٣٤،٣٥،٣٦ .

ويتساءل القس فهيم عزيز :

هل هذا هو اليعاذر الذى كتب الإنجيل؟ ولكن تساؤله يظل بدون إجابة ، ونحن بدورنا نشاركه فى تساؤله لعل فى الإجابة ما يلقى الضوء على حقيقة كاتب هذا الإنجيل .

* وهناك برهان آخر ضد نسبة هذا الإنجيل إلى « يوحنا » تلميذ المسيح وهو برهان أقوى » وهو أن «يوحنا » لا يستطيع أن يكتب هذا الانجيل لأنه مملوء بالإصطلاحات الهيلينية ، تجعل هناك تشابها كبيرا بينه وبين الإصطلاحات الفلسفية مثل الحق ، النور الحياة الأبدية وغيرها .

* وفى كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » يقول مؤلفه عبد الرحمن الباجه جى زاده : « على أن كثيرا من علمائهم أنكروا كون هذا الانجيل تأليف يوحنا التلميذ » .

« إن كافة إنجيل «يوحنا» ليست من تصنيفه ، بل صنفها طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية » .

« إن هذا الانجيل كان عشرين بابا ، فألحقت كنيسة آفاس الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا ... » .

وهذا - وغيره كثير - يعنى أن كل ما سبق يؤكد على أن نسبة الأنجيل الى «يوحنا» نسبة غير مؤكدة ، وليست لها أدلة قوية تعضدها .

ومع ذلك - يظل السئوال قائما : من الذى كتب إنجيل يوحنا ؟ يقول القس فهيم عزيز : هذا السئوال صعب ، والجواب عنه يتطلب دراسة واسعة ، هذه الدراسة ، تنتهى دائما بالعبارة : لايعلم الا الله وحده من الذى كتب هذا الانجيل » المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٤٦ .

تاريخ تدوين هذا الإنجيل :

كالعادة ، إختلف المفسرون المسيحيون فى تاريخ تدوين هذا الإنجيل فالدكتور «بوست» يرجع أنه كتب إما سنة ٩٥ أو٩٦ أو٩٨ ميلادية ، ويقول «هورن» فى « تاريخ تدوين الأناجيل » ألف الانجيل الرابع سنة ٦٨أو٦٩أو٧٠أو٨٩ أو ٩٠ » محاضرات فى النصرانية/سابق ، ويقول صاحب مرشد الطالبين : إنه لا يوجد إتفاق بين العلماء بالضبط للسنة التى كتب فيها يوحنا إنجيله .

وهكذا يختلف المسيحيون حول تاريخ تأليف هذا الانجيل ، وبهذا يصبح تاريخ تدوين هذا الانجيل مجهولا ، وتحديده بالضبط أو على الأقل ، تقريبا ضرب من المستحيلات .

مكان تدويين هذا الانجيل :

يرى بعض العلماء المسيحيين أن أفسس هى المكان الملائم لتدوين هذا الانجيل ، ذلك لأن «يوحنا» عاش فى إفسس ، ولكن هناك من يرى غير ذلك ويفترضون أمكنة أخرى .

فبعضهم يرى أنه كتب فى الاسكندرية نظرا لوجود أوراق البردى فى مصر ، وهذا يساعد على التأليف .

وبعضهم يرى أنه كتب فى جنوب اليهودية فى فلسطين ، نظرا لما فى الإنجيل من عناصر يهودية بارزة وخصوصا لمجابهة الإنجيل معهم .

ويقول د.جرانت : « من المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب فى انطاكية أو افسس أو الإسكندرية أو حتى روما »[1] .

فهذه بعض الأراء التى تناولت مكان تدوين إنجيل يوحنا ، وكلها أراء إجتهادية ، ليس فيها نص صريح يدعمها ، وبالتالى لا يمكن لأى شخص أن يعطى رأيا قاطعا فيها ، وتظل علامات الاستفهام حول هذه النقطة قائمة مثل غيرها من العلامات السابقة التى ما زالت تبحث عن إجابة .

(١) الأناجيل اصلها وتطورها ص ١٧٨/١٧٤ .

كيف تم تصنيف الأناجيل

تم تصنيف الأناجيل بعد إنقسامات مبكرة للمسيحيين إلى عدة طوائف مختلفة ، وصنفت هذه الاناجيل لتثبت تعاليم خاصة لعدد من المدارس المتنوعة ، وحتى مؤلفو هذه الأناجيل ، أظهروا عدم التردد فى التلاعب بالوثائق القديمة ، والأعراف والتقاليد الأخرى فيما يتعلق بحياة يسوع المسيح وتعاليمه وأعماله ، لتوائم وجهات نظر مدارسهم ، وفى هذا الخصوص يكتب « تاكبر » .

« وهكذا ، فإنتاج الأناجيل . إنما لتعكس بكل وضوح آراء الكتاب لسد حاجات المجتمع الفعلية الذين كتب من أجلهم ، ومن أجلهم استخدمت العبارات التقليدية والطقوس ، ولكن لم يكن هناك أى تردد فى التغيير أو الاضافة أو إسقاط ما لا يناسب هدف الكاتب ، إن الاناجيل الأربعة التى يتضمنها الكتاب المقدس لم تكن الأناجيل الوحيدة التى دونت فى القرون الأولى للعصر المسيحى ، فقد كان هناك الكثير ، ومن بينها ما يطلق عليه « الأناجيل وفقا للعبرانيين وهى أعمال دونت باللغة الآرامية ، وكان يستخدمها الناصريون ، سكان مدينة الناصرة موطن يسوع المسيح ، كما كان يدعى تلاميذ يسوع المسيح بالناصريين ، وهؤلاء إستنكروا أن يكون يسوع هو الإله المتجسد ، وايقنوا أنه مجرد نبى عظيم ظهر بينهم « فأخذ الجميع خوفٌ ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه » لوقا ٧:١٦ وفى نهاية القرن الثانى الميلادى ، فإن الإناجيل الأربعة : متى . مرقس ، لوقا ، يوحنا » إحتواها العهد الجديد ضمن الكتب القانونية أما باقى الأناجيل فقد أعلنوا عنها أنها هرطقة أو أسفار خفية ، والكنيسة وحدها هى التى تحدد الكتب القانونية التى يؤخذ بها .

وقبل إعتماد الأناجيل الأربعة واعتبارها قانونية ، فقد كانت هناك أسفار

قانونية ولكنها ثانوية لم ترق إلى مرتبة التقديس التى تحظى به الآن ، ولم يشعر أحد بوخز الضمير لاحداث التغير فيها ، إذ كانت تحتوى عبارات لا تتلاءم مع أغراضهم ، أو مع اهداف احزابهم ، وحتى بعد تصنيفها ضمن الإسفار القانونية والاعلان بأن كلام الله - تعالى الله عما يقولون - فما زالت تجرى فيها تغيرات ، كما يتضح ذلك من المخطوطات الموجودة والمتنوعة القديمة ، وفى ذلك يقول البروفيسور «دوملر» الاستاذ فى جامعة كمبردج فى موسوعته الشهيرة فى تفسير الكتاب المقدس :

« إن الناسخ فى بعض الأحيان قد يضع فى النص ما لم يكن فيه ، ولكن ما يظن أنه لابد أن يتضمنه ، فهو قد يثق بذاكرة مترددة أو يجعل النص يتطابق مع وجهات نظر المدرسة التى ينتمى إليها وفضلا عن ذلك فإن الإضافات إلى النص والاقتباسات عن الآباء المسيحيين تشمل حوالى أربعة آلاف نسخة من العهد الجديد باللغة اليونانية كانت معروفة وظلت باقية ، ونتيجة لذلك كله كان لابد من إختلاف القراءات . وهذا الإختلاف جدير بالاعتبار » .

والخلاصة : أنه نظرا إلى ما لمسناه وتأكدنا منه وأصبحنا منه على يقين بعد مطالعتنا للاناجيل الأربعة واراء وتعليقات الأخوة المسيحيين أنفسهم فإننا نخرج بالنتائج الآتية :

١- لا وجود للنسخة الأصلية الموحى بها إلى يسوع المسيح .

٢- إن المدونات القديمة المتضمنة لأقوال المسيح والتى صنفت على إثر رحيله - رفعه - عندما ظهر مجد يسوع المسيح » ، هذه المدونات التى لاتعوض ، قد فقدت .

٣- إن الاناجيل التى دونت ما بين عامى ٧٠ و١١٥ ميلادية - على أسس من بعض الوثائق المفقودة ، تحتوى على مادة ، قد حدث التصرف فيها بنوع ما ، بحرية ، وأن كتاب الأناجيل لم يترددوا فى إحداث وتغيير هذه الأناجيل لتوائم ما يرونه أكثر تمجيدا ليسوع المسيح - من وجهة نظرهم - أو لملاءمة وجهات نظر الاحزاب .

٤- لا أحد من الكتاب الذين دونوا الأناجيل رأى المسيح أو سمعه .

٥- كتبت الأناجيل باللغة اليونانية - على الأرجح - بينما كان يسوع المسيح يتكلم الآرامية .

٦- صنفت الأناجيل لتثبت وجهات نظر مختلفة لأحزاب مختلفة مختارة من بين أناجيل متعددة أخرى .

٧- أنه على الأقل - لقرن من الزمان - بعد تصنيفها ، لم تكن معتمدة مقننة ، وأصبح من الممكن التغيير والتبديل فيها بمعرفة النساخ الذين ينتمون إلى مختلف المذاهب .

٨- أن المخطوطات القديمة التى ما زالت موجودة بخصوص الأناجيل هى المخطوطة السينائية والمخطوطة الفاتيكانية والمخطوطة الاسكندرانية، وكلها تنتمى إلى القرنين : الرابع والخامس الميلادى، ولا يعلم أحد مدى ما حدث فيها من تغيير خلال القرون التى لم يكن هناك مخطوطات موجودة ومتاحة .

٩- أنه يوجد خلاف جسيم فى مواضع كثيرة بين مختلف المخطوطات الموجودة منذ القرنين الرابع والخامس الميلادى .

١٠- لا يمكن إستيعاب الأناجيل لما فيها من متناقضات تصيب الانسان أحيانا بالدهشة وتجعله غير مطمئن لما فيها .

فهذه الحقائق تظهر لنا أن إنجيل المسيح المعنى بأنه الرسالة الموحى بها اليه من الله ، لم تصلنا فى شكلها الأصلى ، وأن الأناجيل الأربعة المعروفة والمكونة للعهد الجديد لا يمكن بأى حال أن تكون مطابقة للانجيل الموحى به من الله إلى يسوع المسيح ، اللهم الا فى النذر اليسير جداً ، وما ذلك إلا لأن اسلوبها الذى صنفت به والظروف التى اجتازتها لا يمكن أن يعول عليها لتعطى معلومات دقيقة عما تحدث به يسوع المسيح - عليه السلام .

وهنا يثور سئوال : أين الانجيل الأصلى ؟

بدأ المسيح دعوته ، وكان له نحو ثلاثين عاما ، وحسب رواية لوقا ،

واستمر يدعو فترة إختلف فى تقديرها بين عام واحد ، وثلاثة أعوام ، فإذا أخذنا بالرأى الأخير وهو أن فترة دعوته ثلاثة أعوام ، معنى ذلك أنه ظل يبشر بالانجيل خلال هذه الفترة ، ويلقى مواعظه ويعلم تلاميذه ، ويحاور خصومه ويجادل معانديه ، وبما أن اللغة الآرامية كانت هى السائدة ، وهى التى نطق بها السيد المسيح بمعنى أوضح كانت الآرامية هى لغة الإنجيل ، ولغة الذين عاصروا المسيح من التلاميذ ، وبعد فترة تزيد على العشرين عاما ، سطرت أول رسالة وهى ما أطلق عليها فيما بعد برسائل بولس . الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح - كما سبق أن أوضحنا - ، ثم أعقب ذلك فترة تقدر بنحو خمسة عشر عاما ، ظهر بعدها أقدم إنجيل وهو إنجيل «مرقس» الذى لم يكن أيضا من تلاميذ المسيح ، وهنا تجدر الإشارة بأن اللغة الاغريقية هى اللغة التى عرف بها أقدم نسخ الأناجيل ، وبذلك تكون أقدم نسخة عرفت من الإنجيل ، إنما هى ترجمة إغريقية عن الآرامية » (إنظر: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية) فإذا علمنا أن العهد الجديد لم يكتسب قانونيته من الكنيسة الا فى نهاية القرن الرابع الميلادى - أى بعد مضى حوالى ثلاثمائة وخمسين عاما بعد ميلاد المسيح - عليه السلام ، وهنا يثور سؤال هام جداً هو أى اللغات نطق بها المسيح فى إنجيله وتحدث بها التلاميذ فى رسائلهم ؟ لقد أوشك الألف الثانى أو ينتهى ، ولم يمكن التوصل إلى إجابة ويبقى السؤال المهم : أين الإنجيل الخاص بالسيد المسيح ؟

الجواب المؤكد : لا يوجد له أثر ، وهذه النتيجة ليست من عندنا بل تأيدت بما ذكره القس المارونى فى كتابه « زخيرة الألباب» .

ونصه : إن أسفار العهد الجديد لا تستغرق كل أعمال المسيح ولاتتضمن كل أقواله ، كما شهد به القديس يوحنا » .

نقل الشيخ رشيد رضا - صاحب مجلة المنار - عن دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة ، المعتمدة لدى النصارى » ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح - عليه السلام - وهى متعارضة ، مجهولة

الأصل والتاريخ ، بل وقع الخلاف بينهم فى مؤلفيها - كما سبق أن أوضحنا - واللغة التى الفوا بها ، كما أن نسخها الأصلية فقدت .

ويقول فضيلة الاستاذ الشيخ محمد أبو زهره - رحمه الله - إن الأناجيل الأربعة ، لم يملها المسيح ، ولكنها كتبت بعده « وبالتالى فليست هى الوحى الذى أوحى إليه ، وهى كما تشتمل على أخبار المسيح من وقت ولادته حتى وقت الحكم عليه بالموت صلبا - وصلبه بالفعل على حد إعتقادهم - فإنها أيضا تشتمل على أخبار يوحنا المعمدان حتى قتله » .

واما رسل الرسائل فإن كتابها لم يدعوا لأنفسهم أنهم رسل من الله حتى يمكن القول بأن ما حرروه وحي من الله أو الهام منه . اللهم الا ما جاء عن بولس ، فهو يذكر فى رسائله أنه يتكلم عن الله وأحيانا يقول إنه يتكلم عن نفسه ، مع أنه لا يوجد فى كتب المسيحية ما يشهد له بالرسالة أو الالهام أو الايمان ، سفر أعمال الرسل .

ويمكن إجماع الملامح الرئيسية لتعاليم المسيح - عليه السلام- فيما ذكره الكاتب المسيحى الفريد أى

١- قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة .

٢- الله هو أبو البشر - مجازا - وهو الأمل الذى تهفو اليه أرواح العباد جميعا .

٣- الكمال التام لله والحب الشامل .

وهل جاءت رسالات الرسل جميعا بغير ذلك ؟ ولكن التعصب والكبر والعناد زين للقوم ما يعملون وبئس ما يعملون .

الأناجيل المخفية او المرفوضة

تناولنا بشئ من التفصيل الأناجيل الأربعة ، على أعتبار أنها الأناجيل المعتمدة ، والتى عليها الأخوة المسيحيون على إختلاف طوائفهم .

فهل يا ترى يوجد أناجيل غير هذه الأربعة ؟ إنه سؤال حيوى وهام جداً ،

والاجابة عنه ستعطى المزيد والمزيد على القصور الذى أصاب سند الاناجيل بوجه عام .

بداية ، إننا لا نذكر اسئلة وهمية ، أو نبغى إضاعة الوقت أو محاولة تكثير عدد صفحات هذا الكتاب ، ولكننا ننشر الحقيقة ، والحقيقة وحدها ولا نرمى إلى الطعن أو التجريح - حاشا لله - .

فهذا الموضوع تناوله كثير من علماء المسيحية ، وأعلنوها صراحة ، إذ يقررون ويعترفون أنه فى الأعصر الغابرة ، كانت توجد أناجيل أخرى ، لكنها أخفيت ولم يعرف عنها شئ ، ولكن ، لماذا أخفيت ؟ قد يقال لأنها لم تعتمد من الكنيسة ، فهل يصح أن يكون ذلك سببا فى إخفائها ، أم أن فيها أو فى بعضها شئ ليس فى صالح الكنيسة لا ينبغى لأحد أن يطلع عليه ؟

« ما من شك فى أنه كانت توجد كتب مسيحية أخرى ، أقدم من تلك التى تندرج فى العهد الجديد لم تعش ، وفى الواقع فإن العهد الجديد ذاته يحتوى على إشارات لمثل هذه الكتب ، كما فى الرسالة إلى أهل كولوس (١٦:٤) وإنجيل لوقا (١:١، ٢) وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك بعض الكتب التى استخدمت كمصادر إستقت منها الكتب الحالية ، وقامت على اكتافها وخاصة الأناجيل ، وبمجرد أن إستخدمت تلك المجموعات الأولى من الكتب فى تصانيف أكبر ، فقد بطل نسخها ثم ما لبثت أن اختفت » [(١)] .

ويقدس النصارى جميعا - على إختلاف طوائفهم - أسفارهم الخاصة بهم ويطلقون عليها « العهد الجديد » .

وهذه التسمية مبنية على عقيدة سفك دم يسوع المسيح - على الصليب « ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد .. » العبرانيون ١٤:٩ ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفراً ، أقرها علماء النصارى فى مجامعهم

(١) الموسوعة الامريكية جـ٣ ص ٦٥١، ٦٥٣ .

المسكونيـة من بين عشـرات الكتب الأخرى المماثلة لها ، فى القرن الخامس الميلادى وهو وقت متأخر جداً .

وتنقسم هذه الأسفار إلى أربعة مجموعات :

(١) الأناجيل الأربعة .

(٢) أعمال الرسل ، وهو يحكى تاريخ نشأة الكنيسة وظهور بولس .

(٣) الرسائل المقدسة ، وهى عبارة عن مواعظ وإرشادات للكنائس ويبلغ عددها إحدى وعشرين رسالة ، منها أربعة عشر رسالة كتبها بولس « إنظروا ما أكبر الأحرف التى كتبتها إليكم » غلاطية ٦:١١

والرسائل السبعة الباقية ، يطلق عليها الرسائل الكاثوليكية . وهى

(أ) رسالة يعقوب (ب) رسالتان لبطرس

(ج) ثلاث رسائل ليوحنا (د) رسالة ليهوذا .

(٤) سفر الرؤيا ، ويطلق عليه مشاهدات يوحنا .

والمحصلة النهائية لهذا الكم الهائل من الأناجيل ، يتضح لنا أن هناك :-

(١) كتب قبلت بوجه عام

(٢) كتب لا تزال موضع جدل

(٣) كتب مرفوضة ، وأشهر الكتب المرفوضة كما جاء فى دائرة المعارف الأمريكية :

(١) إنجيل لوقا (٢) إنجيل متى الكذوب

وهناك أناجيل تسمى الأناجيل اليهودية المسيحية ، وهى أيضا مرفوضة

(١) إنجيل العبريين (٢) انجيل الناصريين

(٣) إنجيل الإثنى عشر (٤) إنجيل الأبيونيين

(٥) إنجيل المصريين (٦) إنجيل بطرس

(٧) إنجيل باسيليوس (٨) انجيل مركيون

(٩) إنجيل أبللس (١٠) إنجيل فاسينس

(١١) انجيل فيلب (١٢) انجيل مانياس

(١٣) إنجيل مريم (١٤) انجيل برثولماوس

(١٥) انجيل نيوقو ديموس (١٦) انجيل غملائيل

(١٧) إنجيل الكمال

كما توجد بعض الوثائق عبارة عن بقايا نصوص ، ولكنها مطموسة المعالم ، ومن هذه الوثائق :

(١) رسالة أعمال أندراوس (٢) إنجيل اندراوس

(٣) إنجيل برنابا (٤) إنجيل لانكراتين

(٥) إنجيل تداوس (٦) إنجيل الحق .

يقول صاحب كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » « وانت ترى أن نيفاوسبعين كتابا من كتب العهد الجديد منسوبة إلى عيسى ومريم والحواريين وتابعيهم ، قد رفضتها كنيسة كريك وكاثوليك وبروتستنت ، وادعت أن هذه الكتب من الأكاذيب المصطنعة وأن هناك كتبا من كتب العهدين رفضتها بعض الفرق ، وسلمت بعضها ، وفرقة أخرى عكست فنفت ما أثبتت الفرقة الأولى وأثبتت ما نفته ، فلم تتفق كلمتكم على كتاب ، وهذا كله يعلمه المطلع المنصف منكم ، وأما المكابر المعاند ، فيكفيه جهله وعناده وعدم إذعانه للحق ، والحق أحق أن يتبع » ص ٩ .

وفى هذا يقول المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ، فى كتابه القيم «قصص الأنبياء» «وقد كثرت الاناجيل كثرة فاحشة، حتى أربت على المئة ، ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من أنقطاع السند وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق ، وعلى

ما بينهما من الاختلاف الحقيقى المفضى إلى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب » .

ويقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة : « التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور المغايرة أناجيل أخرى ، قد أخذت بها فرق قديمة ، وراجت عندها ، ولم تعتنق كل فرقة الا إنجيلها ، فعند كل من أصحاب مرقيون وديصان ، إنجيل يخالف بعض هذه الأناجيل ، ولأصحاب مانى ، إنجيل يخالف هذه الأربعة ، وهو الصحيح فى زعمهم ، وهناك إنجيل يقال له السبعين ينسب إلى تلامس ، والنصارى ينكرونه ، وهناك إنجيل إشتهر باسم التذكرة ، وانجيل سرف تهس ، وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة فى أواخر القرن الثالث الميلادى وأوائل القرن الرابع ، أن تحافظ على الأناجيل الصادقة فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك » .

فعلى أى أساس أختارت الكنيسة هذه الأناجيل الأربعة ، ورفضت الباقى ، فهل يا ترى إتضح لها إنقطاع سندها فرفضتها ؟ وثبت إتصال سند الأربعة فقبلتها ، خصوصا إذا عرفنا أن « السند » هو عصب الشئ ، والمعول عليه فى صدقه من كذبه ، وقد رأينا أن سند الأربعة مقطوع أو على الأقل مشكوك فيه .

إن المجامع الكنسية التى عقدت لتقييم هذه الأناجيل ، وتعطيها قانونيتها ، أعطت لنفسها الحق فى إخفاء بعض الأناجيل ، والعمل على تناسيها وأن تتوارى فلا تظهر للنور .

كنا نود أن تبرهن الكنيسة عن مصداقيتها ، وتعاملها مع الواقع المصدق فتطلعنا على ما إشتملت عليه هذه الأناجيل المخفية وما سبب إخفائها ، وحجة رفضها ، صحيح إن هذا من خصوصيات الكنيسة ، ولكن من حقنا ونحن نحاول أن نلقى الضوء على العقيدة المسيحية أن نعرف السبب الحقيقى المقنع الذى من أجله حكم على هذه الأناجيل بالموت وأداً ، ولكن التاريخ - وفى هذه المسألة الهامة - ضن علينا ، فلم يعطنا جوابا ، وطوى

تلك الأناجيل كما أرادت الكنيسة ، والويل لمن يخالفها ، أو يحاول ، إن هذه هى الحقيقة فا عرفوها ، يامن تنشدونها وتبحثون عنها .

المجامع المسكونية وأثرها فى أسفار العهد الجديد

جاءت قوائم أسفار الكتاب المقدس ، متباينة ومختلفة فى اشياء هى فى غاية الأهمية وخصوصا فى ترتيب هذه الأسفار ، فكان أن صدر قرارا مجمعى (روما) برعاية البابا ديماسوس سنة ٣٨٢م مجمع (ترنت) سنة ١٤٦م .

ثم كانت قائمة اثانيوس ، اسقف الاسكندرية ، التى قدمها بمناسبة عيد الفصح فى سنة ٣٦٧م ، وأصدرت هذه المجامع القرارات الآتية :-

أولا :

قرر مجمع روما المنعقد عام ٣٨٢ أن تكون اسفار العهد الجديد على الترتيب الآتى :-

(١) الأناجيل الأربعة : مرقس ، متى ، لوقا ، يوحنا .

(٢) رسائل بولس الأربعة عشر .

(٣) رؤيا يوحنا

(٤) أعمال الرسل - أى الحواريين .

(٥) الرسائل الكاثوليكة أو الجامعة .

ثانيا : قرر مجمع « ترنت» المنعقد سنة ٥٤٦ م ، أن يكون الترتيب كما يلى :

(١) الأناجيل الأربعة : مرقس ، متى ، لوقا ، يوحنا .

(٢) سفر أعمال الرسل - أى الحواريين .

(٣) رسائل بولس الأربعة عشر .

(٤) الرسائل الكاثوليكية .

(٥) سفر رؤيا يوحنا .

ثالثاً : ثم كانت أقدم قائمة لترتيب هذه الأسفار ، هي التي أوردها الاسقف اثناسيوس، أسقف الإسكندرية بمناسبة عيد الفصح: فى عام ٣٦٧م ، وهي كما يلي :

(١) الأناجيل الأربعة : متى . مرقس . لوقا . يوحنا .

(٢) سفر أعمال الرسل «الحواريين » .

(٣) الرسائل السبعة الكاثوليكية .

(٤) رسائل بولس الأربعة عشر . .

(٥) سفر رؤيا يوحنا .

هذه قوائم ثلاث لترتيب العهد الجديد ، ومنها يفهم أن هناك إختلاف فى ترتيب رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية ، وهو إختلاف عميق جداً ، إذ لاتتفق إثنتان منهما على قائمة واحد ، والمعمول عليه فى ترتيب هذه الأسفار عند رجال اللاهوت ومجامعهم المسكونية هو فى أهميتها وقيمتها ، وإذا كان الأمر كذلك فقد إتضح مدى إختلاف رجال اللاهوت ، حول قيمة هذه الأسفار ، واهمية كل سفر منها ، إذ أنهم لا يتفقون على رأى واحد يحدد قيمة كل سفر وأهميته .

وقد يتصور الإنسان أن هذه الكتب أو الأسفار قد أعتمدت أى أصبحت قانونية مقدسة دفعة واحدة ، وفى قائمة واحدة ، لكن الواقع غير ذلك .

فقد إنعقد مجمع نيقية المسكونى عام ٣٢٥م تحت رعاية الامبراطور الرومانى قسطنطين ، فى مدينة نيقية فى آسيا الصغرى التى توجد فى «تركيا» الآن ، للتحقيق فى الكتب المشكوك فى قدسيتها ، سواء تلك التى زادت بها الترجمة السبعينية ، على الأصل العبرى ، أو غيرها من أسفار العهد الجديد .

فقرر هذا المجمع وجوب تسليم سفر «يهوديت» فقط ، ويظهر هذا فى المقدمة التى كتبها «جيروم » على هذا السفر ، وللعلم فإن «جيروم» هذا هو الذى ترجم الكتاب المقدس من النسخة السبعينية اليونانية إلى الغة

اللاتينية القديمة سنة ٤٠٤م ، وكانت هذه النسخة هى التى يطلق عليها الكتاب المقدس» المعروف والمستخدم فى الكنائس الغربية فى العصور الوسطى .

والترجمة التى أقرها مجمع «ترنت» مأخوذة من الفولجاتا ، وهى التى صارت الكتاب المقدس الرسمى للكنيسة الكاثوليكية الرومانية . وظلت الأسفار أو الأناجيل ، الأخرى المشكوك فيها ، كما هى ، غير مسلم بها من علماء مجمع نيقية ٣٢٥م ، إلى أن إنعقد مجمع «لوديسيا» سنة ٣٦٤م ، فأقر ما إرتآه المجمع الأول ، وزاد عليه وجوب التسليم بأسفار سبعة أخرى هى :

(١) سفر أستير .

(٢) رسالة يعقوب .

(٣) رسالة بطرس الثانية

(٤) رسالتى يوحنا الثانية والثالثة .

(٥) رسالة يهوذا .

(٦) الرسالة إلى العبرانيين .

وقررعلماء هذا المجمع إبقاء سفر رؤيا يوحنا ، مشكوكا فيه وغير مسلم به من الكنيسة .

ثم انعقد مجمع قرطاج سنة ٣٩٧م ، وقد حضره مائة وستة وعشرون من جهابذة رجال اللاهوت .

وقد أقر هذا المجمع جميع قرارات المجامع السابقة ، بشأن الأسفار المقدسة المعتمدة والمشكوك فيها ، وزاد عليها عندما عاد مجمع قرطاج إلى الانعقاد مرة أخرى سنة ٤١٩م بزعامة القديس أو غسطين وزاد عليها وجوب التسليم بسبعة أسفار أخرى ، هى :

(١) الحكمة (٢) طوبيا (٣) باروخ (٤) الجامعة

(٥) المكابين الأول (٦) المكابين الثانى (٧) رؤيا يوحنا

وقد أقر هذا المجمع سفر باروخ جزءا من سفر أرميا ،لأن باروخ قد كان بمنزلة نائب أرميا وخليفته/أرميا ٣٦/٤ ولذلك لم يكتبوا إسم سفر باروخ على حدة فى فهرست الأسفار وبعد انعقاد هذه المجامع المتعددة الاسماء والأمكنة، صارت هذه الكتب المشكوك فيها مسلما بها ، بين جمهور المسيحيين .

وبقيت هكذا إلى أن ظهرت فرقة البروتستانت بعد الف ومأتين سنة من وقت إعتمادها ، وبعد أن ظهرت فرقة البروتستانت على المسرح سنة ١٥٢١ فقرروا حكم هؤلاء الأسلاف (فى باب كتاب باروخ وطوبيا ويهوديت والحكمة ، وقالوا : إن هذه الكتب واجبة الرد بالإضافية إلى « الجامعة والمكابين الأول والثانى وقالوا أيضا إن هذه الكتب غير مسلم بها ، كذلك ردوا حكم الأسلاف فى بعض أبواب كتاب أستير ، وسلموا بالبعض ، لأن هذا الكتاب كان مكونا من ستة عشر إصحاحا ، فقالوا إن الإصحاحات التسعة أى من الاصحاح الأول إلى الإصحاح التاسع ، مع ثلاثة أعداد من الإصحاح العاشر ، واجبة التسليم ، والستة الباقية واجبة الرد ، فكانت لهم وجهة نظر لاداعى لذكرها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تقسيم نص الكتاب المقدس إلى إصحاحات (فصول) الذى يبدو شائعا - قد ظهر لأول مرة ١٢٠٠ ميلادية وهو يرجع إلى أسقف كانتربرى سنة ١٢٢٨ .

أما تقسيم الاصحاحات إلى أعداد (آيات) مرقمة ، فإنما يرجع إلى الناشر الباريسى «روبرت ستيفنون ، وقد ظهر لأول مرة سنة ١٥٥١م .

هذا وقد القت لفائف البحر الميت (المخطوطات) التى إكتشفت فى كهوف جبال البحر الميت بالأردن عام ١٩٤٨ ميلادية بالصدفة البحتة - القت الضوء على أن هناك مجموعة من الكتب كانت قد جمعت وضمت معا فى القرن الرابع قبل الميلاد ، بينما وضعت الصورة النهائية لهذه القائمة بواسطة لجنة الفت لهذا الغرض .

مخطوطات البحر الميت
وأهميتها بالنسبة للكتاب المقدس

إكتشفت حديثا مخطوطات قديمة ، أكانت محفوظة فى أحد الكهوف يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد ، ووجد أنها تحوى معلومات تصحح الفكر السائدعن المسيح عيسى بن مريم- عليه السلام- وهل هو إله، أم ابن إله ، أم إنسان ؟ .

وتقول الباحثة الدكتورة « ايدا سميث » : كان صبى من البدو من سكان الأردن ، يرعى معيزه بجوار نهر الأردن ، فشردت عنزة وصعد فوق هضبة بجوار البحر الميت جريا وراء العنزة الشاردة وإذ به يرى مغارة غير مطروقة ، فقذف بحجر داخل المغارة وفى الحال سمع فرقعة شئ ينكسر » وقد أدت هذه الصدفة إلى اكتشاف مخطوطات قديمة مخبأة فى أوانى فخارية طويلة ، هذه المخطوطات النادرة ، هى جزء من مكتوبات الآسينيين القدماء العظام .

هؤلاء الأخوة الآسيون هم طائفة من طوائف اليهود وكانوا يدعون إلى إستتباب المحبة والسلام والتعاون والطهاره ونقاء اليد والقلب بين الناس ، وقد سبقوا المسيح عيسى بن مريم بمئات السنين .

وقد كتب الباحثون الأثريون تقارير عديدة حول القيمة العلمية العظمى لهذه الاكتشافات ، فلقد أرسل الدكتور تريفور نسخة من هذه المخطوطات - التى سميت مخطوطات اليسع- إلى الدكتور و.ف البرث - وهو حجة فى علم الآثار الإنجيلية فرد عليه قائلا : « تهانى على إكتشاف أعظم مخطوط وجد فى العصر الحديث » وحدد تاريخ كتابته بمائة سنة قبل الميلاد وقال : «إنه لا يوجد أدنى شك فى العالم بأسره حول صحة هذا المخطوط الذى سوف يعمل ثورة تصحيح فى العقيدة المسيحية » وقد شهد بذلك الاستاذ الأثرى

اليهودى الشهير أندريية دومونت سومر ، استاذ اللغات القديمة فى جامعة السوربون قائلا : « هذه الأوراق التى تجعل السيد المسيح يظهر وكأنه صوره مشابهة تماما (لمعلم الحق) الآسينى ، الذى عاش قبل ميلاد المسيح بمئة عام، قد أحدثت ضجة فى فرنسا » .

ويرى كثير من الأثريين ورجال اللاهون الانجيليين ، فضلا عن المهتمين بالدراسات الدينية،أن هذه المخطوطات القديمة التى كانت قد كذبتها الكنيسة، سوف تعمل ثورة فى الفكر الإنسانى ، لكل من يبحث عن الحق ، فسيجد فيها الحق حقا واجب اتباعه ، والباطل باطلا واجب إجتنابه .

وبناء على تلك الرؤية البصرية ، فإنه يجب إعادة النظر فى بعض أصول العقيدة المسيحية ، التى صاغتها المجامع المسكونية المقدسة ، التى عقدت فى أرجاء الإمبراطورية البيزنطية ، منذ عصر الامبراطور قسطنطين ، بداية من مجمع نيقية عام ٣٢٥م ، إلى مجمع القسطنطينية. وأفسس وخلقدونية، ولقد تمخض مجمع نيقية عن قرارت شديدة الكفر ، إذ أصدر قرارت ضمنها أربعين كتابا ، فيها السنن والشرائع ، وإلى جانب ذلك اصدر قرارت غاية فى القسوة .

١- قرار خاص بإثبات الوهية المسيح ، وتقرير عقيدة التثليث .

٢- تكفير من يقول بأن المسيح إنسان .

٣- تكفير آديوس ، وحرمانه ، وطرده ، لأنه كان ينادى ويعتقد بأن المسيح مجرد بشر مخلوق ، وليس إلها أو ابن إله .

٤- إحراق جميع الكتب التى لا تقول بألوهية المسيح ، ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التى تقرر بشرية المسيح وأنه رسول فقط ، ومنها إنجيل برنابا .

وقد صدر عن هذا المجمع بيان ، جاء فيه : « إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية ، تجرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شئ ، أو من يقول إن الإبن

وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الأب ، وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول إنه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران » .

ولا شك أن هذه العقائد مأخوذة من ديانات الخلاص المنتشرة فى أرجاء الإمبراطورية البيزنطية من ديانات هندية وفارسية ، ومأخوذة أيضا من الأساطير اليونانية والرومانية .

لقد تمخض هذا المجمع عن دين يبرأ منه المسيح نفسه ، وهو دين وضعه الإمبراطور قسطنطين ، الكاهن الأعظم للإمبراطورية .

وتقول الدكتورة « إيدا سميث » أيضا :

« إن الأوراق التى وجدت سوف تعيد ديانة السيد المسيح إلى صورتها الأصلية ، التى إفتقدها العالم بصفة مؤقتة » .

وهذه صيحة حق ، تطلقها واحدة منهم هى : مسز هلورث مرجريت فى موضوع نشر فى إحدى المجلات بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٩ تحت عنوان «مخطوطات البحر الميت» .

« لا يوجد سوى إله واحد ، ولا يوجد سوى يسوع واحد كان وسيكون دائما مسيا العقيدة المسيحية .. »

وماذا يقول العلماء المسلمون فى هذه المخطوطات ؟

يقول الاستاذ الدكتور على عبد الجليل راضى ، استاذ الفيزياء بجامعة عين شمس فى كتابه : « المسيح قادم » ص ٢٤٥ :

« إن هذه المخطوطات تقول : إن عيسى كان مسيا المسيحيين وأن هناك مسيا آخر ، وقد يكون المقصود بالمسى الثانى ، هو نفسه مجيئه الثانى بالروح فى العصر المتأخر ، أو قد يكون المقصود به ظهور النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - الذى يتكلم بالحق للحق منصفا روح عيسى ، ومدافعا عن العقيدة الأصلية التى جاء بها وواضح ذلك فى كلام مسز هلودث مرجريت « ليقوم بالخدمة مثلما قام بها وهذا هو الحق » .

* وقد جاء ذلك على لسان عيسى - عليه السلام - : « إن لى أمور كثيرة أيضا لأقوال لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدنى » يوحنا ١٦ : ١٢ .

* ويقول القس أن باول ديفز ، رئيس كنيسة جميع القديسيين فى مدينة واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، فى كتابه (مخطوطات البحر الميت) : « من العسير أن نكتب تاريخا مؤكدا لعيسى ، وإن المادة التى لدينا مشكوك فيها جداً ، وليست كافية على أية حال ... »

إن الباحثين سدنة الكنيسة حرفيٌ الدين ، كانوا يأملون أن الاناجيل بالرغم مما تعرض من حلول لمشاكل الحياة ، فإنها قد تعطى ليسوع المسيح صورة على أنه مخلص ، أو رب ، لهذا العالم ، ولكن من الجانب العملى لو كان ايمانهم أكثر تجدداً أو أكثر تحرراً لكانوا يأملون فى أن يكون يسوع المسيح نبيا ومعلما له ذاتيته الفزة المتحررة من الزمان والمكان » .

« ولكن لعل هذا هو الحافز للبدء فوراً فى عملية إعادة بناء آرائنا فى أصوله العقيدة المسيحية ، وذاك أفضل جداً من تأجيلها » « إن مخطوطات البحر الميت - وهى أعظم الاكتشافات - أهمية - منذ قرون عديدة قد تغير الفهم التقليدى للأنجيل » .

« وهكذا نرى أن الشخصية الجديدة ليسوع المسيح التى لم يفهمها المسيحيون آخذة فى الظهور ، وكلها جمال وكلها إخلاص وكلها تواضع ، وكلها محبة ، محبة فى خدمة رب الوجود ، وخدمة إخوانه البشر الذين ما زالوا يرزحون فى القيود والأغلال » .

ويقول القس الدكتور تشارلز فرنسيس فى كتابه « السنون المفقودة من يسوع تكشف » .

« لدينا الآن وثائق كافية تدل على أن المخطوطات هى حقيقة هبة الله إلى البشر ، تدل على أن المخطوطات . فى كل ورقة تفتح منها ، تأتى

ببراهين جديدة على أن يسوع المسيح - كما قال عن نفسه إنه ابن الإنسان»
أكثر منه ، كما إدعى تلاميذه إنه ابن الله .. »

لقد أطلق يسوع على نفسه ابن الإنسان ، لكنهم أطلقوا عليه ابن الله ، الأقنوم الثانى فى الثالوث : الرب ابن الرب ، ولكن المشكوك فيه أن يكون الآسيون أو يسوع المسيح نفسه قد وافق على هذا ، نعم لقد جاءت مخطوطات البحر الميت بالجديد المفيد فى التفكير المسيحى ، إذ جاءت بعدة حقائق تصحح مفاهيم كثيرة كانت- وما زالت - سائدة فى الوسط المسيحى، ومع أن هذه الحقائق واضحة جلية ، لاخفاء فيها ولا لبس ولا غموض ، الا أن الاخوة المسيحيين لم يحاولوا أن يستفيدوا منها في تصحيح مسار العقيدة المسيحية فليتهم يبادرون ، فقد تكسبهم هذه المبادرة شيئا من تصديقهم فى بعض ما يدعون ، وفى النهاية سيظل القرآن الكريم حكما بيننا وبينهم : ﴿ **لكم دينكم ولى دين** ﴾ .

* * *

(أين مخطوطات البحر الميت الآن ؟)

لقد أجمع أكثر الأثريين ، والمؤرخين على أن هذه الكميات ، أى « مخطوطات البحر الميت » تعود إلى الأرثينين المتقشفين الذين جمعوا هذه الكنوز ، وأودعوها فى أماكن مهينة ، إزدراءً بالمال والثروة ، ولقد أعلن العالم « ميليك » أن هذه الملفات تعود إلى العصر الرومانى ، وقد رافقت مجموعة من الفضائح هذه الملفات منذ إكتشافها وحتى اليوم ، ولقد أثارت مجلة « الملفات الأثارية » التى تصدر فى باريس هذه الفضائح ، مع ذكريات الكشف عن الملفات ومراحلها ، وأولى هذه الفضائح هى الشك والإتهام الموجه إلى الإسرائيليين ، فى محاولة العثور على كنوز الذهب » وثانية هذه الفضائح هى عمليات التهريب التى إشترك فيها عدد من المسئولين والتجار ، ورجال الدين ، والتى ادت إلى خروج هذه الملفات «المخطوطات » الى امريكا ، ومنها إلى إسرائيل ، ولقد تم الكشف عن ذلك مصادفة عندما قامت إدارة الخزانة المالية فى الولايات المتحدة بمطالبة المطران إثناسيوس بمبلغ سبعين ألف دولار كضريبة أرباح مقابل بيعه مخطوطات إلى إسرائيل .

ومن الواضح أن هذه العملية لم تكن الوحيدة فى عمليات التهريب والفضيحة الثالثة هى محاولة إسرائيل جمع أكبر قدر ممكن من هذه اللفائف، عن طريق المؤسسات الأخرى وحجبها ، وذلك للتعتيم على مضمونها خشية إفتضاح النقص ، والتناقض الوارد فى التوراة المتبادلة [1] .

أهمية هذه الملفات :

تبدو أهمية هذه الملفات ، فيما أعلنه العالم « دوبون سومير فى جريدة الفيجارو الأدبية سنة ١٩٥٠ ، من أن السيد المسيح - عليه السلام - ليس

(١) لقد أوضحنا هذا النقص والتناقض في التوراة التى بيد القوم الأن وذلك في كتاب لنا عن اليهودية .

الا « معلم العدالة » رئيس طائفة الآسيليين ، ولقد تابع هذا الرأى العالم « للغرو » وهو اللغوى الذى فك رموز اللفائف وقراءاتها ، وقال : إن التقارب شديد جداً بين ادبيات مخطوطات « قمران » [1] وبين المسيحيين فى بداية تكوينها .

إن استرداد هذه الوثائق هو جزء من الحق الشرعى الفلسطينى الذى أقرته الشرعية الدولية ، ولابد من التذكير أن السلطة الأردنية التى كانت مسئولة عن الضفة والقطاع ومدينة القدس ، كانت قد أصدرت منذ عام ١٩٥٣ قراراً بإقتناء وشراء وثائق « قمران » ثم صدر قرار بتأميمها وحفظها فى دائرة الآثار فى عمان سنة ١٩٥٧ .

ثم أعيدت إلى فلسطين لكى تحفظ فى متحف القدس ، الذى استولت عليه إسرائيل وعلى محتوياته بعد حرب ١٩٦٧ ، ثم نقلته إلى بيت الكتاب التابع لمتحف إسرائيل .....

« وحاليا تدعى إسرائيل ملكيتها لمخطوطات البحر الميت ، ففى متحف بيت الكتاب ، التابع لمتحف إسرائيل فى القدس حفظت المخطوطات الكاملة المكتشفة فى « قمران » .

وبخاصة كتاب « أشعياء ومنذ عام ١٩٩٣ أعدت إسرائيل برنامجا للتنقيب فى مناطق الملفات ، وفى منطقة قمران ، وتشمل عمليات المسح الأثرى ، والتنقيب ، مساحات واسعة تمتد من سيناء إلى الجولان ، ولقد اعطت هذه الأكتشافات أهمية للتنقيب فى منطقة « أريحا » حيث يقوم المنقبون بالتنقيب التعسفى غير المشروع . بحثا عن الكنوز ... ومن المعتقد أن هذه الحفريات احرزت بعض الكسب الذى بقى سراً ... » [2] .

***

(١) البلدة التي وجدت فيها هذه اللفائف وعرفت باسمها .

(٢) عن مجلة العربي العدد ٤٧٥ صفر ١٤١٩ .

إعتقادات وطقوس نصرانية

أولا : إعتقادات النصاري : الثالوث الأقدس :

قلنا إن مجمع نيقية قرر مبدأ التثليث ، وألوهية المسيح ، ولكنه فى ذات الوقت لم يتعرض لألوهية الروح القدس ، بل ترك الحرية للناس فى هذه النقطة فى الإختلاف على الروح القدس : وهو بالقطع جبريل - عليه السلام - وفى سنة ٣٨١م عقد مجمع القسطنطينية ، وفى هذا المجمع تقرر الوهية الروح القدس ، وبذلك إكتملت عناصر التثليث فصار الآب هو الله ، والابن ويعنون به المسيح ، والروح القدس ، وصار ما يعرف فى النصرانية بالأقانيم الثلاثة .

ومعنى كلمة أقنوم فى اللغة العربية: شخص اساسى، أو شخص رئيسى ، أو شخصية محورية بلغة العصر الحديث .

وفكرة التثليث أساسا مقتبسة من الديانات الوثنية البدائية القديمة .

وفكرة تأليه الروح القدس ، أخذت كثيرا من المجادلات والمعارضات بين علماء النصرانية ، بين مؤيد ومعارض ، ولكن بطريرك الاسكندرية إعتقد أنه حسم الخلاف عندما جاء بتفسير لهذا المبدأ إضطر المجمع فيما بعد إلى الموافقة على فكرة تأليه الروح القدس .

قال البطريرك : « ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئا غير حياته . فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق قلنا إن حياته مخلوقة ، فقد زعمنا إنه غير حى ، فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه « ٧١ متن » ولكن هذا التفسير أو التبرير مردود عليه من وجوه مذكورة فى الأناجيل المختلفة .

ومع ذلك ، فرض هذا القرار فرضا على المسيحيين ، وعذب ولعن من يخالفه ، وحرم من الوظائف ، وصودرت آراؤه وربما قتل .

قال الدكتور أحمد شلبى فى كتابه القيم : « مقارنة الأديان » المسيحية « وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة (يا للعجب العجاب) وقانون الإيمان الاثناسيوسى يقرر :

« يوجد شخص واحد للآب ، وآخر للإبن ، وثالث للروح القدس ، ولكن الثالوث الأقدس : الآب ، الابن ، الروح القدس هؤلاء واحد متساوون فى المجد ، متساوون فى الازلية : الآب هو الله الإبن هو الله ، الروح القدس هو الله .

ومع ذلك يقرر : « إن هؤلاء ليسوا بآلهة ثلاثة ، ولكن إله واحد ، ونظير ذلك فإننا ملزمون بحقيقة الدين المسيحى ، وأن نسلم بأن كل شخص (أقنوم) بذاته إله وسيد ، وعليه فإن الدين المسيحى الكاثوليكى يحرم علينا أن نقر بوجود ثلاثة ألهه أو ثلاثة أرباب » كيف بالله ، وأى عقل يستثيغ ذلك . ؟؟

إن التناقض هنا واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار ، وهو من السهولة بحيث لا يحتاج إلى كبير عناء ، ولنضرب لذلك مثلا .

عرفنا إن ١+١+١= ٣ ، فهل يمكن أن تصير الثلاثة واحداً ؟ فإذا كان هناك ثلاثة « أقانيم » - وقلنا فى تعريف الا قنوم إنه الشخص الاسَاسى أو الرئيسى أو المحورى - لاحظ كلمة شخص - : وكل شخص هو اله فى ذاته ، فإذا كان ذلك كذلك ؛ أصبح لدينا ثلاثة ألهة ، وهنا وجدت الكنيسة نفسها فى مأزق حرج ، وهو كيفية التوفيق بين هؤلاء الألهة الثلاثة ، لقد أدركت إستحالة هذا التوفيق ، أو على الاقل ، إيجاد المبرر المعقول للقبول به ، وللخروج من هذا المأزق ، أعلنت أن عقيدة التثليث سر غامض ، وعلى المسيحى أن يؤمن به ايمانا أعمى ولكن الكنيسة وجدت أن هذا حل ، فهل هو حل حقا ؟بمعنى أوضح هل حلت المعضلة ؟لا أظن وما زال الجدل حولها قائما ، وسيظل، لأنه عسير على العقل قبولها ، والقرآن الكريم حسم هذه المسألة -وغيرها- فى قوله تعالى:﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ﴾ .

إنه يخاطب العقل والوجدان ، فبأيهما أخذت أغناك عن الآخر ، ولكن القوم إستفشوا ثيابهم وأصروا وإستكبروا إستكبارا .

إن عيسى - عليه السلام - نفسه ، لا يقر ولا يعترف بهذه الآراء الفاسدة بل يؤمن بالإله الواحد كما جاء عنه :

« مكتوب . للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبده » (متى ٤:١)

وهذا يؤكد أن عقيدة التثليث لم تكن موجودة فى زمن المسيح - عليه السلام - ولكنها إخترعت بعد رحيله بنحو ثلاثمائة سنة أو اكثر .

وقد عرفنا أن الأناجيل الأربعة المعتمدة ، دونت ما بين عامى ٧٠ و ١٥٠ بعد ما رفع عيسى - عليه السلام - وانه لم يرد فى أى من هذه الاناجيل ذكر أو اشارة، للثالوث الأقدس هذا ، حتى ولا على لسان « بولس » صاحب الآراء الغريبة الدخيلة ، وعلى ذلك فإن هذه العقيدة لم تكن من تعاليم المسيح - عليه السلام - كذلك لم يرد ذكرها فى الكتاب المقدس ، بعهديه القديم والجديد .

إن العقل والنقل والمنطق ، والذوق العام . يرفضون فكرة التثليث هذه ، لأن الاعتقاد فى ثلاثة أشخاص (آلهة) يناقض عقيدة التوحيد التى نادى بها الأنبياء جميعا بأن الله واحد أحد ؛ فرد صمد ، ليس كمثله شئ ، التصور المكانى والزمانى ،

إن الإسلام يتناول هذه المسألة فى بساطة وسهولة ويسر ووضوح .

وما لنا نذهب بعيدا وهذا واحد منهم يقرر هذه الحقيقة .

يقول أشعيا : « بمن تشبهوننى وتسوونى وتمثلوننى لنتشابه » .

ويقول أيضا : أنا الله وليس آخر . الإله وليس مثلى » أشعياء ٤٦ :٩ .

إن رسالة الإسلام عامة وشاملة ومستمرة ، جاء ليدعو إلى وحدانية الله ، ويحرر الفرد من الأساطير والأوهام ، ويقول إن الله لا نظير له فرد صمد ليس كمثله شئ ، هو الخالق . المحسن . القادر ، رب السماوات والأرض ومن فيهن وهو على كل شئ قدير .

(١) لا هوت المسيح بن مريم

الركن الأول أو العقيدة الأولى فى الثالوث الأقدس ، هو تأليه المسيح عيسى بن مريم ، وقانون الإيمان الاثناسيوسى يقرر ذلك فى قوله : فضلا عن ذلك إن من الزم اللزوميات للحصول على الخلاص الأبدى ، أن الإنسان يؤمن أيضا بحقه فى تجسد ربنا يسوع المسيح » وقد إستطاع بولس أن يعمق هذه الفكرة بين أتباعه وأن يروج لها على هذا النحو :

« إذا كان فى صورة الله ، لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائر فى شبه الناس ، وإذا وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فيلبى ٢ : ٦-٨) .

وقال بولس أيضا : « ولكن لما جاء ملئ الزمان ، أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » غلاطية ٤ : ٤ ، ٥ .

إن الكنيسة البروتستانتية والروم الكاثوليك يؤمنون إيمانا جازما بأن يسوع المسيح هو الإله الخالد السرمدى الأبدى والأقنوم الثانى فى الثالوث الاقدس ، وأنه منذ الفى سنة إختار طواعية أن يظهر فى صورة جسد بشرى، وأنه ولد من العذراء مريم .

ويقول بولس أيضا : « لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له » (كورنثوس ٨ : ٦) .

وقانون الايمان جاء بنص صريح وهو : « نؤمن بإله واحد آب واحد ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يُرى وما لا يرى » [١]

والتناقض فى هذا النص واضح : (نؤمن بإله واحد .... » إذ يأتى نص آخر يصرح بأن المسيح هو الخالق ، وأنه أله حق ، وبذلك صرح القسيس إبراهيم لوقا : أن المسيح هو جوهر الديانة المسيحية ، ونقطة إرتكازها ، إذ يقول : « تعتقد المسيحية أن المسيح هو الله باعتباره الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس للذات الإلهية .

(١) قانون الايمان هو ترتيل يردده المسيحيون خلف القسيس داخل الكنيسة .

إن التلاعب بالألفاظ والتلاعب بالنصوص سمة اساسية فى الفكر المسيحى ، إذ يستطيع أى واحد من المفكرين المسيحيين أن يورد من الأفكار ما يحلو له ، وما يبنى عليه فكرة معينة فى ذهنه ، لا يهم إذا تقبلها العقل أو رفضها ، ولايهم أيضا أن يلوى النص ليتمشى مع أغراضه .

يقول القس إبراهيم لوقا : « والمنطق يقودنا إلى اثبات لاهوت المسيح لأنه من المسلم به أن الله أزلى ، والقدم صفة خاصة به وحده جل شأنه كبقية صفاته الحسنى ، .. المسيحية فى الاسلام ص ١٠٦ ، ولست ادرى أين وجه الشبه فى إثبات لاهوت المسيح ، وبين صفات الله الحسنى ، صحيح أن العلم والحياة والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث من صفات الله الحسنى ، والمسيح نفسه لا يخرج عن كونه من كلام الله « قال كذلك قال ربك .... » وهل الله ليس له الا كلمة واحدة أزلية ، وأين بقية كلماته : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » .

« ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ... » قدرة غير متناهية ولا محدودة .

« إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

فكيف نعطى المخلوق صفات الخالق يا أصحاب العقول الواعية ؟ !! اليس هذا ضلالا وتضليلا وجهلا وتجهيلا ؟ .

والمسيحيون يلحون فى استماتة ، على أن المسيح إله ، ولهم فى ذلك تأويلات عجيبة وغريبة التمسوها فى أناجيلهم العديدة :

جاء فى إنجيل « يوحنا » فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، وقد سبق أن فندنا هذا النص ، ولا بأس أن نزيد الأمر إيضاحا فنقول تقريبا للأذهان : إننا لو بدلنا كلمة (الكلمة) بلفظ الله على اعتبار أنهم يجعلون الكلمة التى هى المسيح « الله » فإذا كان الله عين الكلمة ، لا يصح أن تكون الكلمة عنده ، لأن العندية تقتضى

المغايرة، لأن قولك : زيد عند عمر ، يقتضى أن يكون زيد غير عمر ، إذ يستحيل أن يكون الإثنان شخصا واحداً ، اللهم الا عند الذين يلوون الحقائق ، ويطوعون النصوص بما يتمشى مع مفهومهم للدلالة اللفظية ، وهذا ظاهر لا جدال فيه ، فكيف تكون الكلمة عنده ، وفى ذات الوقت هى عين ذاته ثم تتجسد وتكون إبنه ، والابن عين أبيه والأب عين الابن ، وفوق هذا وذاك ، فإنه لم يرد فى أى من الشرائع إطلاق الكلمة على ذات الله تعالى : بل إن القول بذلك هو نفسه مخالفة لشرائع الأنبياء والمرسلين .

يقول بولس أيضا : « منهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركا إلى الأبد » (الرسالة إلى رومية ٩ : ٥) .

وهذه سقطة أخرى تجعلنا نسألهم : هل المسيح إله بحسب الجسد أم بحسب الروح ، أم بحسب البنوة ؟ !!

وفى إنجيل « يوحنا » « كل شئ به كائن وبغيره لم يكن شئ مما كان وكون العالم به ولم يعرفه العالم » ١ : ٣ ، ١٠ .

صحيح أنه جاء فى القرآن الكريم أن المسيح (كلمة) ولكن معناها الأمر المعبر عن حصول مراد الله ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم** ﴾

فكلمة الله هنا مراد بها الأمر الخلقى أو التكوينى ، وهذا التفسير هو الذى يتمشى مع المنطق والعقل ، ولكن الأخوة المسيحيين حوروا الأمر وجعلوه عين المأمور بها ، كيف ؟؟ .

إن النص القرآنى حسم هذه المسألة فى وضوح ، ولكن الأخوة أبدا لايريدون أن يعترفوا بالحقيقة .

ثم هناك أية أخرى فى القرآن الكريم ، وهى الآية رقم ٣٤ من سورة مريم والتى تقول : ﴿**ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ وكفى بالتعبير القرآنى من أن المسيح كان كائنا بكلمه الله تعالى:

﴿ كن ﴾ فلو تدبرها الأخوة المسيحيون لأراحونا وأراحوا أنفسهم من هذا الصخب المزعج .

فمن كتبهم : « وفى ساعة إحتضار المصلوب على الصليب صرخ قائلا : « الوى إلوى . لما شبقتنى » الذى تفسيره : الهى . الهى لماذا تركتنى ، مرقس ١٥ :٣٤ « وبعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل متفردا ليصلى » متى ١٤ : ٢٣ .

« وفى الصباح باكر جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك » . .

« وأما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى » لوقا ٥ : ١٦ .

(٣) القول بأن المسيح عيسى هو الإبن الإلهي .

هذه هى العقيدة الثانية فى الثالوث المقدس لدى المسيحيين : وهى أن يسوع المسيح إبن الله .

وفى الكتاب المقدس إستعمل هذا اللفظ (ابن الله) على الكثير من الأنبياء السابقين مثل : دُعى إسرائيل ابن الله ، وذلك فى كتاب من كتب موسى : « فتقول لفرعون هكذا يقول الرب : إسرائيل (إبنى البكر) سفر الخروج ٤ :٢٢ ، وفى كتاب المزامير لداود أعطى نفس اللقب (أنى أخبر من جهة قضاة الرب : قال لى أنت إبنى أنا اليوم ولدتك) مزمور ٢ :٧ ، وبعد فترة من الزمان أطلق هذا اللفظ على سليمان - عليه السلام - (هو ذا يولد لك إبن يكون صاحب واحة وأريحه من جميع أعدائه حواليه ، لأن إسمه يكون سليمان فأجعل سلاما وسكينة فى إسرائيل فى أيامه ، هو يبنى بيتا لأسمى وهو يكون لى إبنا وأنا له أبا وأثبت كرسى ملكه على إسرائيل إلى الأبد) أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٩، ١٠ .

هنا لبس : إن إختلط الأمر على المفسرين لكلمة (إبن) التى وردت فى هذه النصوص ، فقد فسروها تفسيرا شخصيا يتمشى مع مفهومهم

لعقيدة التثليث ، أو محاولة تثبيتها فى النفوس ، أو التمسك بها والدفاع عنها لغرض ، مما يعد لويا للمعانى ، وقسرا للألفاظ .

فكلمة « إبن الله » التى ورد ذكرها فى النصوص السابقة - مع فرض صحتها - ليس فيها دليل قط على الوهية المسيح المستمدة من كونه إبنا لله وبالتالى فليس فيها دليل على أن المسيح ابن الله ، بالمعنى الحر فى المشتهر وإنما البنوة هنا مجازية ، بمعنى التكريم والحب ، والطاعة ، نظير ذلك ، ما جاء فى الحديث القدسى : قال رب العزة : ﴿ **عبدى أطعنى تكن عبدا ربانيا تقول للشئ كن فيكون** ﴾ فمهما بلغ العبد من طاعة الله ، هل يصبح فى مقدوره أن يقول للشئ كن فيكون ؟ أبداً وحاشا لله ، وإنما المراد المبالغة والقرب من الله .

وأناجيل المسيحيين تطلق على العصاة أنهم أبناء الشياطين ، فهل هم حقا كذلك أبناء لهم بنوة جسدية ؟ أبداً . إنهم أبناء آدم وحواء ، وإنما المراد أنهم يطيعون الشيطان كطاعة الأبناء للآباء .

يقول مدير ديبون هول - اكسفورد : « ينبغى أن نلاحظ أن عيسى لم يدع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية ، ولا من الناحية الفكرية العقلية ، وإنما من الناحية العامة التى تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب فى التعلق به ،، والإعتماد عليه ، والحاجة إليه ، إذا هذه العبارة التى ورد ذكرها كثيرا فى الأناجيل ، لا تعنى شيئا سوى القرب من الله بالمودة والمحبة والطاعة ، وذلك ما يقرره المسيح نفسه فى قوله : « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يُدعون » وهو نفس المعنى الذى أطلق على آدم وسليمان وداود وإسرائيل ، كما ورد فى النصوص السابقة ولا شئ غير ذلك .

وفى إصرار عجيب يذكر القس إبراهيم لوقا ، أن المسيح ابن الله أخذ الألوهية من أبيه (بالميراث يعنى) ولكن القس إبراهيم سعيد ، فطن إلى ما فى هذه الدعوة من تهافت ، وعدم إستنادها إلى قاعدة صلبة ، إذ أن القول ببنوة عيسى لله ، يستلزم أن يكون للذات العلية صاحبة ، وعلى

ذلك فسر هذه النقطة بطريقة أخرى ، ولكنها متكلفة ، وفيها شئ من تمحل النصوص للوصول إلى غرضه ، إذ جاء فى شرحه لأنجيل « لوقا » لبيان معنى « إبن العلى يدعى » قال : « يليق بنا أن نوضح بكلمات موجزة ، المعنى المراد « بأبن العلى أو ابن الله » فقال : ليس القصد ولادة طبيعية ذاتية من الله ، وإلا لقيل : ولد الله ولم يقصد ما يقال عادة عن المؤمنين جميعا أنهم أبناء الله ، لأن نسبة المسيح لله ، هى غير نسبة المؤمنين عامة لله .

وفى محاولة منه لإضفاء شئ من الجدية والرصانة على شرحه هذا قال : إن هذا التعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التى بين المسيح والله . وهى محبة متبادلة ... ويراد بها إظهار المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذى حاز رضاء الله وأطاع وصاياه ، فقبل الموت موت الصليب ، لأنه تمم إرادة الله فى الفداء ، ويراد بها : إظهار التشابه والتماثل فى الذات وفى الصفات وفى الجوهر ، ويراد بها دوام شخصية المسيح بأعتباره الوارث لكل شئ منه وبه وله كل شئ ، وقد يراد بها معانى كثيرة غير معدودة يقصر دون إدراكها العقل » إبراهيم سعيد : تفسير بشارة لوقا ص ٦٩ ، ٧٠ ، غير أن القس إبراهيم سعيد أوقع نفسه فى حرج شديد عند محاولته الخروج من مأزق البنوة لله ، لأن القول بأن البنوة ، إظهار للتشابه والتماثل فى الذات والصفات والجوهر ، يقتضى مشبها ومشبها به ، ولا يمكن أن يكون المشبه هو عين المشبه به ، لان القول بذلك عبث وجهل لا يليق ، وإذا ثبت ذلك ، ثبت أيضا أنهما إثنان ، وليسا واحداً ، إنه تناقض معيب لا يخفى على كل ذى بصر وبصيرة ، ولكن ماذا نفعل ، وقد إرتضى القوم لأنفسهم هذا الوضع المؤسف ؟ !!

ثم جاء ثالث ، وهو بولس سباط ، فخرج برأى يستدرك به على القس إبراهيم سعيد ، ومفاده : أن القس إبراهيم سعيد إذا كان قد فسر البنوة بأنها المحبة السرية بين الآب والإبن ، الا أن بولس سباط يقول :

« يرى النصارى ، أن البارى - تعالى - جوهر واحد ، موصوف بصفات الكمال ، وله خواص ذاتية ، كشف المسيح عنها القناع وهى : الآب والإبن والروح القدس ، ويشيرون بالجوهر الذى يسمونه البارى ذا العقل المجرد : إلى الآب ، وبالجوهر نفسه الذى يسمونه : ذا العقل العاقل ذاته ، « أى الذى يعقل ذاته » إلى الإبن ، وبالجوهر عينه ، الذى يسمونه : ذا العقل المعقول من ذاته إلى روح القدس ، ويريدون بالجوهر :ما قام بنفسه مستغنيا عن الظرف[1]، نعم هى إجتهادات فى التفسير ، ولكنها تدخل فى دائرة التناقضات وهى تناقضات مغلفة بغلاف فلسفى ، لاينفع ولا يفيد .

وربما يكون الباعث على هذا التناقض ، والتضارب ، القلق العقدى الذى نشأ فى داخلهم ، وهو محاولة الدفع باسم الذات العلية إلى ساحتهم العقدية، ليبنوا عليه ما شاء من أوهام واساطير ودعاوى ما أنزل الله بها من سلطان ، وفى الحقيقة ، لقد أوقعوا أنفسهم فى ورطة ، وكأنى بهم وقد جاءوا فلفقوا ليوفقوا .

ولمزيد من إلقاء الضوء على هذه الفرية العجيبة ، نذكر .

أنه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ، جمع الإمبراطور قسطنطين ، إمبراطور الروم ، البطاركة والأساقفة ، فيما سمى مجمع نيقية ليضع حدا للخلاف حول ألوهية المسيح وتقرير حقيقته ، وكان عدد المجتمعين فى هذا المؤتمر ٢٠٤٨ فرداً ، وفى هذا الاجتماع أخذت الحمية والغيرة الدينية عالما مصريا إسمه « أريوس » فصاح برأيه الذى كان يردده دائما ، أن الآب وحده : الله ، والإبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الإبن .

غير أن كنيسة الإسكندرية ، قاومت دعوة أريوس هذا ، وإنضم إليها فى هذه المقاومة ، كنيسة روما ، ومع ذلك إختلف المجتمعون ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار ، وهنا لم يجد الإمبراطور بداً من ضرورة التدخل لحسم هذا الخلاف ، والفصل بين المختلفين ، بعد أن إقتنع وتبنى

---

(١) بولس سباط / المشرع ص ١٣،١٤ .

رأى صديقه الممثل الدينى للغرب ، وهو فى ذات الوقت كاهن روما ، فأصدر أمره بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ، ونفى الكثير منهم وقتل أريوس مع بعض من أيدوه ، واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث ، وبالوهية المسيح، وعددهم ٣١٨ ، وإتخذوا قراراً بذلك فى مجمع القسطنطية الذى عقد فى ٣٨١ وأضيفت إلى هذا القانون إضافات أخرى وهى : « نعم نؤمن بالروح القدس ، الرب المحى المنبثق من الآب ، نسجد له ونمجده مع الآب والإبن ، الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى..ثم أضيفت إضافة حول تطويب العذراء منبثقة عن مجامع « أفسس » سنة ٤٣١ تقول : « نعظمك يا أم النور الحقيقى ، ونمجدك أيتها العذراء القديسة،لأنك ولدت لنا مخلص العالم كله ، أتى وخلص نفوسنا » .

يقول ابن البطريق فى كتابه : « نظم الجوهر » إذ يروى مقالة آريوس » أو صيحته التى مات من أجلها :

« قال بطريرك الاسكندرية لتلاميذه : إن المسيح لعن آريوس فأحذروا أن تقبلوا قوله ، فإنى رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب ، فقلت له : يا سيدى . من شق ثوبك ؟ فقال لى : آريوس فأحذروا أن تقبلوه أو أن يدخل معكم الكنيسة ، فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان ، فجمع البطارقة والأساقفة فى مدينة نيقية - بعد سنة وشهرين - الفان وثمانية وأربعون أسقفا ، وكانوا مختلفى الآراء والأديان ، فمنهم من يقول : المسيح ومريم إلهان من دون الله ، وهؤلاء يطلق عليهم « المريمانية » ومنهم من يقول : إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار تخلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولى لايقاد الثانية منها شيئا .

ومنهم من يقول : لم تحمل مريم لتسعة أشهر ، وإنما مر نور فى بطن مريم كما يمر الماء فى الميزاب ، لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها .

ومنهم من يقول إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره وإن إبتداء الإبن من مريم ، وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الأنس صاحبته النعمه الإلهية ، فحلت فيه المحبة والمشيئة ، فلذلك يسمى ابن الله، ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك انطاكية وأشياعه ، وهم البولونيون .

ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة : صالح وطالح وعدل .

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح ، وتلك هى مقالة بولس الرسول ، وبناء على هذا الإختلاف البين أمرهم قسطنطين أن يتناظروا فيما بينهم ليظهر من معه الحق فيتبعه ، فأتفق ٣١٨ أسقفا على دين واحد ورأى واحد ، فناظروا بقية الاساقفة . فأفلجوا عليهم حججهم وأظهروا الدين المستقيم .

وخلاصة ما قرره هذا المجمع فهو : إن المسيح ابن الله وأنه مساو لله فى الجوهر كما سبق أن أوضحنا ، وقد إستندوا فى ذلك إلى ما جاء فى الأناجيل على اختلافها من نصوص تؤكد على هذه النقطة ، بقى أن نعرف عن « آريوس » صاحب الصيحة المشهورة بالاعلان عن عقيدته من أنه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور ، أنه ولد فى مدينة القيروان فى ليبيا سنة ٢٧٠ ميلادية ، ودخل فى شباب المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، ثم رسمه البابا بطرس بطريرك الاسكندرية شماسا سنة ٣٠٧ ، ثم قسا وواعظا ، وكان ذكيا فصيحا[١]. ذا رأى مستنير ، يتعامل بالعقل المجرد عن الهوى ، ولم ينزع كما فعل غيره من المبالغة والإفراط والخروج على الناموس الطبيعى للحياة ، وكان مما قاله فى تفسير نص يوحنا « إن الابن قال : « أبى أعظم منى » فالإبن أصغر من الأب ولا يساويه فى الجوهر » .

على كل حال لقد دفع آريوس حياته ثمنا لقولة الحق هذه ، فقد أعلنها بين قوم عموا وصموا ، واحاطهم الرعب والخوف من كل اتجاه ، وإحتكم

(١) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٥٠ .

صوت الباطل وسوط الحاكم ، فكانت النهاية ، وهى نهاية أعتقد أنها شريفة للمقتول، مؤسفة للقاتل .

وعند كتابة نص القرار إعترض بعضهم على عبارات المساواة بين الأب والإبن ، ولكنهم خافوا أن ينزل عليهم ما نزل بمعارضى التثليث ، فوضعوا إمضاءهم على هذه الوثيقة ، أو على هذا القرار الذى ينص على ما يعد دستوراً عاما عند غالبية المسيحيين .

« نؤمن بالله الواحد ، الأب ، مالك كل شئ ، وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبالإبن الواحد يسوع المسيح ، إبن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع إله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم ، وخلق كل شئ من أجلنا ، ومن أجل معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وحُبل به ، وولد من مريم البتول ، وصلب أيام بيلاطس ، ودفن ، ثم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه » الملل والنحل حـ١ ص٢٠٤ .

وزيادة فى الترويع والتخويف من مخالفة هذا القرار ، أضيف إليه «الجامعة المقدمة الكنيسة الرسولية ، تحرم على كل قائل بوجود زمن لم يكن إبن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شئ ، أو من يقول : إن الإبن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الآب ، وكل من يؤمن بأنه خلق بعد أبيه ، أو من يقول إنه قابل للتغيير ، ويعتريه ظل دوران » .

ومن قانون الإيمان النيقى « أومن برب واحد ، يسوع المسيح ، المولود الوحيد ابن الله ، مولود من الأب قبل الدهور ، إله من إله نور من نور إله حقيقى من إله حقيقى ، مولود غير مخلوق من جوهر واحد مع الآب » .

وكلما بحثنا ونقبنا وفتشنا ، سوف نجد الكثير والكثير من هذه الإدعاءات الباطلة ، التى ترفضها كل الأذواق ، لانها بعيدة تماما عن كل

معنى جميل ، وليس فيها حسنة واحدة تشفع لها ، ولست أدرى كيف أدار القوم ظهورهم لأقوال المسيح الواضحة وسبحوا ضد التيار .

« أجابهم يسوع : اليس مكتوبا فى ناموسكم : أنا قلت إنكم آلهة إن قال آلهة لأولئك الذين صارت لهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب فالذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم اتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إنى إبن الله » يوحنا ١٠ : ٣٤ - ٣٦

« أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة » غلاطية ٤ :٤ إن عظات المسيح الكثيرة تؤكد على وحدانية الله ، وأنه بشر وأن عبارة (ابن الله) لا تحمل مضمونا خاصا أكثر من الإصطلاح الذى أجازه الكتاب ، ولا يوجد أى سبب أو مسوغ أو دليل لإفراد يسوع المسيح بهذه العلاقة المجازية ، إلا المعنى الحر فى الذى يقصده الإخوة المسيحيون إنزلاقا وإنسياقا لتعاليم بولس وهذه كلمة القرآن الكريم فى هذه النقطة :

« .... قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ... » الآية

« إذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس إتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفس ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم .... ».

وقالوا إتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما فى السماوات والأرض »

« ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون »

إنه القرآن الكريم الذى يصحح المفاهيم ويرشد العقول ، ويضع الإنسان على الطريق السوى الذى يتمشى مع الناموس الطبيعى للحياة ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حدثا ؟!! .

(٣) ألوهية الروح القدس :

هذه هى العقيدة الثالثة من الثالوث المقدس لدى المسيحيين .

سبق أن قلنا : إن مجمع نيقية ، بعد ان إتفق على ألوهية المسيح ترك للناس الحرية فى وضع « الروح القدس » أو الأقنوم الثالث المكمل للثالوث الإلهى ، والجميع يعتقد أنه هو الذى ينطق به الأنبياء والرسل ، وبتعبير أوضح : هو الذى يتكلم به الأنبياء بإلهامه والوحى من لدنه ، وهو أيضا الرب المحى ، ومجدد الحياة للمؤمنين حين ينتقل المؤمن من عدم الإيمان إلى الإيمان ، فكأنه أحياه ، أو أنه سبب ولادته ثانية [1] بهذا الإيمان كما هو تعبيرهم .

والمسيحييون يعتقدون إعتقادا جازما أن الروح القدس ، هو الأقنوم الثالث فى الثالوث ، أخذا من نص إنجيل «متى » .

« فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بأسم الآب والإبن والروح القدس » « فلما إعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد إنفتحت فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه » متى ٣ : ٦

وهذان النصان فيهما من التهافت ما لا يحتاج إلى دليل ، ولكن هذا شأن الأخوة المسيحيين أن يطوعوا « النصوص » أو يخترعوها من عند أنفسهم لتسد عندهم الفراغ العقدى الذى هم فى أمس الحاجة إليه ، وقبل أن ندخل فى تفسير هذين النصين نسأل الأخوة المسيحيين هل أنتم تؤمنون بتشخيص الله؟ بمعنى أوضح : هل تؤمنون بأن لله حيز من الفراغ يشغله ؟ إذا كان الجواب بنعم ، فسلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ، وإذا كان الجواب بلا ، فقد حكمتم على نصوصكم بالكذب والإفتراء ، كيف ؟ هناك ما يسمى بقانون الجاذبية ، أى سقوط الشئ من أعلى إلى اسفل ، كما جاء فى نظرية « نيوتن » .

(١) الولادة الثانية هي الإيمان بأن المسيح ابن الله إيمانا يستحق به المؤمن كفارة المسيح لخطاياه كما هي العقيدة - إنظر عقيدة التثليث في المسيحية د. محمد ابو الفيط .

فالنص ينطق بأن الأب ذات مشخصة قائم بذاته فى السماء وبالتالى فإن الروح القدس ، قد إنفصل عنه ، ونزل من السماء إلى الأرض « مثل حمامة وآتيا عليه » فى الوقت الذى كان فيه يسوع المسيح « صعد للوقت من الماء » فهذه النصوص تنطق بالتعدد الثلاثى الذى يحاول القوم أن يتحاشوه ، ولكن أبداً ، وتصبح المسألة على هذه الصورة : الآب فى السماء قائم بذاته والروح القدس ، بين السماء والأرض نازلا ، والإبن صاعد من الماء ، والثلاثة كل منهم متشخص فى ذاته ، وليست هناك وحدة فى الجوهر ، التى يتشدق الأخوة المسيحيون بها وثبت بطلان القول بوحدة الثالوث .

وثمة نقطة هامة وهى : أن « الروح القدس » كان مع أنبياء بنى إسرائيل، وهو هنا مع المسيح عند المعمودية ، وهو معه فى التجربة ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الروح القدس ليس ثابتا زمانا أو مكانا ، بل أنه يدور مع الأنبياء كما أراد الأخوة المسيحيون ، يوضح ذلك ما جاء فى إنجيل « مرقس « الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تغفر لبنى البشر والتجاديف التى يجدفونها ، ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد ، بل هو مستوجب دينونة أبدية » ٣ : ٢٨ - ٢٩ .

وفى سفر الخروج « لا تتمردوا عليه لأن إسمى فيه » .

« لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس ، وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلم يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى » متى ١٢ : ٣١ - ٣٢ .

فماذا نأخذ من هذا ؟ نأخذ منه . أن ذات المسيح شئ وأن الروح القدس شئ أخر ، ومحال أن يكونا شخصا واحداً .

ولكن هل إكتفى مؤلفو المسيحية بهذه الدعاوى ؟ أبداً ، بل زادوا على ذلك بأن الروح القدس : إله خالق ، يحى ويميت مستقلا بذلك دون مشاركة فى ذلك من الآب أو الإبن . يقول : « صاحب رسالة الأصول والفروع » :

« وقيل من أعمال الله أنها أعمال الروح القدس ، فالروح هو الذى خلق ، ويجدد أجسادنا الميتة ، وهو على كل شئ قدير » تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً .

فهذا النص يوضح أن الروح القدس هو الذى به حياة كل الكائنات ، وأنه يقوم بذلك منفردا دون الاستعانة بالآب أو الإبن ، بل هناك ما هو أبلغ إذ يقولون : إن الروح القدس ليس مقوما للحياة كالماء والهواء فحسب ، بل هو سر الحياة ، غير أن ما ساقوه من أدلة على الوهية الروح القدس ، أفادهم حسب تصورهم ، ألوهية كل واحد من الثالوث المقدس وكونه ربا وخالقا وحده أو أن الواحد يصبح ثلاثة .

وفى كتابه « إظهار الحق » يقول الإمام : « رحمة الله » الهندى « يستحيل الجمع بين الوحدانية والتثليث ، ويبرهن على ذلك ، بمخالفة ذلك كله للعقل والمنطق بان التثليث لا يمكن أن يكون موحدا لله تعالى بذلك التوجيد الحقيقى ، لأن التوحيد والتثليث ، بالنظر إلى ذاتهما ضدان حقيقيان ، بل ونقيضان فى نفس الأمر ، فلا يمكن إجتماعهما فى أمر واحد ، ذلك أن الواحد الحقيقى ، ليس بمجموع آحاد ، والثلاثة هى مجموع آحاد ثلاثة ، لأن جزأها واحد ، والثلاثة « لها جزء صحيح وهو واحد وهو الثلث ، فلو إجتمع الواحد والثلاثة فى محل واحد ، يلزم كون الجزء كلا والكل جزء وهذا محال » .

كذلك يقول فضيلة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه «الدين» إنه لا يقول بالتعدد إلا العقل القانع المتعجل ، الذى يقف عند أدنى مبادئ الغيب وغاياته ، فيرى أن وراء كل فصيلة من الظواهر الكونية مبدأ يدفعها وينظمها ، فيقوده ذلك إلى الاعتقاد بوجود إله للريح وإله للشعر ، وآله للحرب ، وهكذا ، أما العقول الواعية الطليقة المتسامة ، فإنها ترى أن خلق هذا كله قوة واحدة أسمى وأعظم ، تصرف جميع الشئون ، فهى لا ترضى بآحاد القوانين ولكنها تسمو إلى قانون القوانين ، وتستشرف إلى اليد التى جمعت تلك القوانين ونسقتها » .

ويقول واحد منهم هو الأستاذ عوض سمعان (إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك ، ولقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس ، عن ذات الله ، أو بالحرى عن ثالوث وحدانيته ، فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا لأنهم إنحرفوا عن أقواله واعتمدوا على عقولهم وحدها [1] .

ويضيف إلى هذه الحيرة : أنه إذا كان أساقفة الثالوث ، وكبار الاحبار ، وفلاسفة المسيحيين وعلماؤها ، قد عجزوا عن فهم هذا الثالوث ، فمن ياترى يمكنه إدراك هذا الفهم ، وما هو موقف غيرهم من عامة المسيحيين من هذه العقيدة ؟ .

ومع هذه المسلمات - وغيرها كثيرة - يبدو أن الأخوة المسيحيين على إختلاف طوائفهم من ارثوذوكس وكاثوليك وبروتستانت ، يؤمنون بما هو خارج عن دائرة المعقول ، ولعلهم يقصدون من ذلك إضفاء شئ من الغيبيات على عقيدتهم كنوع من أنواع الترغيب إذ أنهم يعتقدون بأن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها ؟ !! يقول القس توفيق جيد ، « إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه وأن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك ، كمن يحاول وضع ماء المحيط كله فى كفة » سر الأزل للقس توفيق جيد ، ويقول القمص باسيليوس إسحاق : « أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ، ولكن عدم إدراكه لا يبطله » كتاب الحق للقمص باسيليوس ، وما زالت المشكلة باقية وستظل ما لم يتخل الأخوة المسيحيون عن التمسك بالغيبيات والجرى وراء السراب .

* * *

(١) كتاب « الله ذاته ونوع وحدانيته » إنظر النصرانية والإسلام ص ١٥٦ مصدر سابق .

هل أفادهم التثليث شيئا ؟

لا أعتقد أن فكرة التثليث أفادت الاخوة المسيحيين شيئا الا الشك وفتح باب الطعن فى العقيدة المسيحية على مصراعيه حتى باتت هدفا للغمز واللمز والنقض والتهافت ، وكان يمكن أن تظل عظات السيد المسيح - عليه السلام - على العين والرأس لدى الجميع بما فيهم المسلمون ، لو أنها ظلت على اصالتها ونقائها وقداستها ، ولم تعبث بها يد المزورين والمدلسين وأصحاب الآراء الشخصية والأمانى الدنيوية والزعامات الدينية فأطاحت بكل جميل جاء على لسان المسيح عليه السلام لتحل محلها دعاوى التهافت والتكالب والصراعات الدموية فى سبيل البقاء ولو إقتضى الأمر فناء نصف العالم ، إنه بريق الدنيا الذى إذا تحكم حكم فأصبح المحكوم مطية ذلولا .

وبما أن الثالوث الأقدس ، أو الأقانيم الثلاثة ، هو محور الارتكاز فى الديانة المسيحية ، وعليه قوامها ، ونقطة إنطلاقها ، والذى من خلاله تنشر وتذيع ما تراه مقوما من مقومات حياتها ، الا أن هذا الثالوث هو فى ذات الوقت من اكثر العوامل الذى أضر بالفكر المسيحى ضررا بليغا ، وقد شهد بذلك شهود من أهلها ، ولكنهم للأسف لم يستطيعوا أن يكونوا قوة مؤثرة فى محاولة تصحيح مساو العقيدة المسيحية لوجود عوامل كثيرة تدخل تحت الترغيب والترهيب أو الوعد والوعيد أو الطرد والحرمان ، والقتل أحيانا ، لأن المسألة فى نظرهم أصبحت مسألة حياة أو موت ، أكون أو لا أكون .

ولهذا لجأ كثير من المفكرين المسيحيين ، ومن بيدهم التوجهات الدينية إلى أن يسلكوا أى طريق يوصلهم إلى غايتهم ، أو أى باب يؤدى بهم إلى تطبيق أو تعميم ما يدعون ، وإشتطوا فى ذلك أبلغ الشطط ، ونحوا كل الفضائل جانبا ، وساروا فى طريقهم لا يلوون على شئ ، وكفروا بأنعم الله ، فكانوا من الكافرين ، وهذا حكم الله فيهم .

« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا الله » .

« ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه .... »

« بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ... »
ومع وضوح هذه الآيات البينات ، فإن أحداً من الأخوة المسيحيين لم يحاول أن يرد الأمر إلى نصابه ، فيعلن فساد هذه الدعاوى الباطلة ، وكان غاية الظن بالمستنيرين منهم أن يهبوا لتصحيح هذه المفاهيم الخاطئة ، ويصححوا مسار عقيدة المسيح ، ولكنهم أبداً لم يحاولوا ، وظنوا أن فى ذلك تنقصا من كرامتهم ، وحطا من كبريائهم ، وإهانة لعقيدتهم وتغليبا للإسلام على المسيحيه والإقرار بأن المسلمين على حق وأنهم على باطل .

وفاتهم أن المسألة ليست حربا بين الإسلام والمسيحية ، وليست فرض دين بالقوة ، وتغليبه على الدين الآخر ، أو من الرابح ومن الخاسر ، وإنما المسألة وضع الأمور فى نصابها الصحيح ، والنظر إلى رسالات السماء على أنها إلهية ، ويجب أن تظل فى هذا الإطار ، ولا ينبغى لأحد أن يتدخل فيها ، أو يعبث بها .

ولكن يبدو أن رجال الكنيسة - أو بعضهم على الأقل - لم يكتفوا بما دسوه على عقيدة المسيح ، بل أنهم زادوا وأفرطوا فى جنب الله ، فتصوروا منافسة بين الله - جل جلاله - وبين المسيح - عليه السلام - وأداهم هذا التصور إلى أن الروح القدس الأقنوم الثالث فى الثالوث الأقدس - منبثق من الإبن أيضا وهذا يدل على التخبط والبلبلة ، لأنهم سبق أن قالوا إن روح القدس هو الذى حل على العذراء لدى البشارة لها ، وحل على المسيح عند العماد - كما سبق أن قلنا أخذا من نصوصهم .

إن الغلو قرين العناد ، كلاهما لا يؤدى إلى خير ، وغالبا ما يخرج صاحبه عن دائرة المعقول والمقبول ، إلى الخيال المرذول ، وهذا ما حدث لدى الغالبية العظمى من المسيحيين ، إذ أنهم غالوا فى ذات المسيح حتى أخرجوه من دائرة الوجود المعلوم إلى دائرة الخيال الموهوم ، الذى يترا ءى لهم

فيحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والحق أنهم عن الصراط لناكبون ، وعن قوله الحق لصامطون .

لقد كان عام ٣٨١ بداية انحراف حقيقى فى الديانة المسيحية ، وبلغ الإنحراف مداه بتقرير الوهية الروح القدس ، وكان الإنقسام - كما سبق - ويستمر الحال هكذا قرابة خمسة قرون إلى منتصف القرن التاسع الميلادى تقريبا والخلاف على أشده حول أصل الروح القدس ، فمن قائل : هو من الآب وحده ومن قائل إنه من الآب والإبن ، إلى جانب فريق ثالث يرفض الفكرة من أساسها ، ولكنه يصمت خوف البطش والتنكيل ، وحدث شرخ فى جسم الكنيسة ، لم تستطع أن تخفيه ، فقد فعلها بولس الرسول وغرس هذه الأفكار ، وحمل راية الغلو المقيت ، ورفعها فى كل موطن يحل به ، وتسلمتها المجامع المقدسة قضية مسلمة ، ولم تحاول أن تخفف من غلواء هذه الدعاوى التى جلبت عليهم الكثير والكثير ، الذى كانوا فى غنى عنه لو كانوا يعقلون .

وبعد : فإن عقيدة التثليث يوجد عام ، وبعد ما بسطناه عنها ، وما كان من تأثير المجامع ، ومقاومة أتباعها لأرباب المذاهب الأخرى ، يثبت ويؤكد أن هذه العقيدة خليط من مبتدعات البشر ، وركام تكون من رواسب الديانات القديمة : يهودية أو زاردوشتية أو مانوية أو بوذية أو غير ذلك من أفكار بشرية سولت لأصحابها ان إبتداع ديانة أمر سهل ، وإنشاء عقيدة جد ميسور ، والترويج لفكر ما يمكن أن يصبح مذهبا ، ولكن بالقطع فإن ما جاء عن هذه المجامع ، بعيد كل البعد عما جاء به السيد المسيح - عليه السلام - خصوصا إذا عرفنا أن أنبياء الله أجمعين بعثوا لإرساء دعائم التوحيد الخالص ، وإخلاص العبودية لله رب العالمين ، ونبذ الشرك بشتى صوره ، وإعلاء كلمة الله فى الأرض من أقصاها إلى أقصاها ، إنها رسالة رسل الله اجمعين وما جاءت به الكتب السماوية ، حتى لا يكون لأحد حجة على الله : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

فإذا تقرر ذلك ثبت أنه ليس من المعقول ولا من المقبول أن يترك المسيح

عيسى بن مريم ، أمر العقيدة ليقررها أحد من بعده ، إنه أمر مستحيل ، خصوصا إذا عرفنا أن جميع الأناجيل على إختلاف أنواعها كتبها رجال مختلفون ، فى أزمنة مختلفة ، بلغات مختلفة فى أماكن مختلفة ، والتناقض بينها يفوق الوصف والحصر ، وأنها دونت بعد رفع السيد المسيح - عليه السلام - بثلاثمائة وخمس وعشرين عاما ، وما زال الخلاف فى أمرها قائما وسيظل قائما إلى أن تقوم الساعة ، لسبب بسيط ، وهو أنها كتبت بيد بشر ، وهذا ما يجعلها عرضة للأخذ والرد والقبول والرفض ، والصدق والكذب ، والاحترام والإحتقار ، إنه الأسلوب البشرى ، وهذه سنة الله فى الخلق ، أما الاسلوب الموحى به ، فهو غير ذلك تماما ، يسمو على العبث والمهاترات ويرتفع عن مستوى الادعاءات البشرية الزائفة أو المصطنعة. فهل إذا جاء موتور أو مهووس أو متهور ، ليحاول أن يقنعنا بأن عقيدة التثليث موحى بها من السماء هل نصدقه ؟ أبدا أبدا بل نقول له : إنها ليست عقيدة وليست جزءا من العقيدة ، إنها نزغات الشياطين فى نفوس قوم مساكين ، ولا يمكن أن يرضاها رب العباد لعباده .

إن تقوى الله عند المزالق واجبة ، فلماذا لا نتقى الله فيما نقول أو نفعل لعل الله يغفر لنا ما قدمت أيدينا .

* * *

(الصلب والفداء)

أولا : الصلب

الأساس التاريخى : سبق أن قلنا إن بولس إبتدع الكثير من المفاهيم وأدخلها فى التعاليم المسيحية ، بمعاونة تلميذه المخلص « لوقا » وقد أعلن ذلك الأب بولس الياس الخورى ، حيث قال : « مما لا ريب فيه أن الفكرة الآساسية ، التى ملكت على بولس مشاعره ، فعبر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة ، هى فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم ، هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم إبنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى ، إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على إنجيل لوقا »

وأخذا من الخلافات المشتهرة عند المسيحيين ، حيث أنهم لم يتفقوا على كل شئ مما جاء فى عقيدتهم ، فإنهم كذلك إختلفوا فى موضوع صلب المسيح ، حيث أنكره مسيحيون - ويهود أيضا - وإضطربت فى هذه المسألة الآراء والأقوال إضطرابا كبيراً :

فقيل إنه لم يصلب أصلا ، وأن الذى صلب هو يسوع باراباس ، وقد كان يسوع نفسه يحمل اسم بارباس ، ولم يقطع المسيحيون الباحثون بأنه صلب .

وقيل : إنه لم يقع فى أيدى الجنود الرومانيين ، ولم يقبض عليه ، وأن روايات الأناجيل أقوال أضيفت والفت .

وقيل : علق على الصليب ، ولكنه لم يمت عليه ، وإنما الذى مات هو شبيهه .

وسبق أن قلنا : إن إختلافات الأناجيل فيما بينها ، إختلافات بينة وعميقة ، ومن ذلك ما ورد فيها عن نهاية المسيح - عليه السلام - وفى

قيامته من قبره ، مما يجعل النفس لا تطمئن إلى أى شئ فيها ، وإليك ما جاء فى إنجيل « متى » عن عملية التنكيل والتعذيب التى مر بها عيسى - قبل صلبه (كما يزعمون) .

« فقال الوالى للشعب ، ماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ، قال له الجميع : ليصلب ، فقال الوالى : وأى شر عمل ؟

فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب ، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا ، بل بالحرى يحدث شغبا ، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا : إنى برئ من دم هذا البار ، أبصروا أنتم ، فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا ، حينئذ أطلق لهم باراباس ، وأما يسوع فجلده وأسلمه للصلب فأخذ عسكر الوالى ، يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه وألبسوه رداء قرمزيا ، وضفروا اكليلا من الشوك ، ووضعوه على رأسه ، وقصبة فى يمينه ، وكانوا يحثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام عليك يا ملك اليهود وبصقوا فى وجهه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه وبعد أن إستهزئوا به ، نزعوا عنه الرداء ، وألبسوه ثيابه ومضوا به إلى الصلب ، وأعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ولماذاق لم يرد أن يشرب » .

إن هذه القصة - على ما فيها من تهافت - تصلح لأن تكون ملهاة للتسلية لا واقعا عايشه نبى من أنبياء الله ، والدليل على ذلك أن الأناجيل كلها إختلفت بشأنها إختلافا كبيرا ، فليت شعرى كيف يصدق إنسان هذا التضارب بشأن مسألة غاية فى الأهمية بالنسبة لأسس العقيدة وعلى فرض صحتها - وأنها جاءت عن عيسى - عليه السلام - أما كان الأولى أن تدون بدقة وإهتمام أم أن التناقض جاء مقصوداً لحاجة فى نفس القوم ؟ لا أظن ، وإنما الشئ الأقرب إلى الواقع أن هذه النصوص جاءت وبها من التضاد والتناقض وعدم الإتساق ما يسقط قيمه الإستدلال بها ، الأمر الذى من شأنه إسقاط الفكرة كلها من أساسها ، ولندع نصوصهم تتحدث .

جاء فى إنجيل (مرقص) الاصحاح ١٠ العدد ٤٥ (لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليخدم ، بل ليخدم وليذل نفسه فدية عن كثيرين .

« لأنه لم يرسل الله إبنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم »

« متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال إلى الله » رسالة رومية إصحاح ٣ عدد ٢٤ ، ٢٥ : « لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت إبنه لأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته » رسالة رومية إصحاح ٥ عدد ١٠ ، على كل حال سنمضى مع القوم فى مزاعمهم حول صلب السيد المسيح عليه السلام - فنذكر أن الصلب كان من طرق العقاب الرومانية اليهودية ، وكان الجلد يسبقه أحيانا - فإذا ما جلد المذنب بقسوة أصبح جسمه كتلة من اللحم المتورم الدامى ، ووضع الجنود الرومان تاجا من الشوك على رأس المسيح - يسخرون منه - ومن تلقيبه « ملك اليهود » كما نقشوا على صليبه باللغات الآرامية واللاتينية : « عيسى الناصرى ، هو ملك اليهود » .

وقد أذن لكل من يريد أن يشهد هذا المنظر الرهيب أن يشهده ، إذ كانت يد المذنب وقدماه تدق ، أو تربط فى حالات نادرة إلى الخشبة ، وكانت فيها قطعة بارزة ، تسند العمود الفقرى أو القدمين ، وإذا لم يرحم المذنب ويقتل فإنه يبقى على هذا الحال يوما أو يومين أو ثلاثة يقاسى فيها الآم عدم الحركة ، وهو عاجز عن طرد الحشرات التى تتغذى من لحمه العادى ، فتخور قواه ببطء حتى يقف القلب عن الحركة ويضع حداً لهذا العذاب الأليم .

ولم يكن مع عيسى - عليه السلام - احد من الرسل الا يوحنا وحده وكان معه ثلاث نساء كل واحدة منهن تسمى مريم ، أم المسيح ومريم أختها ، ومريم المجدلية « وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد » وأشفق جندى على المسيح الظمآن فجاء بأسفنجة مغموسة فى الخل وقربها من فيه ، فشرب عيسى وقال : « قد أكمل » وفى الساعة التاسعة - الثالثة بعد الظهر -

« نادى يسوع بصوت عال عظيم ، وأسلم الروح » .

ولا يخفى ما فى هذا النص من إظهار عطف اليهود على المسيح - عليه السلام - يزيد هذا الايحاء ما جاء فى نص إنجيل لوقا « وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر .... رجعوا وهم يقرعون صدورهم » !!

وإستطاع إثنان من اليهود الرحماء ذوى النفوذ ، أن يحصلا على إذن من بيلاطس بإنزال جثة المسيح عن الصليب ، فأنزلاها وحفظاها بالند والمر ووارياها التراب » إنظر قصة الحضارة المجلد ٣ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، فإذا كان اليهود أو بعضهم على الأقل - فيهم الرقة والرحمة والعطف كما يؤخذ من النص ، فأين كان كل ذلك ، وكيف يستقيم هذا مع مالا قاه السيد المسيح - عليه السلام - من عنت وإضهاد وإيذاء وإستهزاء على أيدى اليهود أنفسهم ، لا شك أن ناقل النص يهودى ينضح بيهوديته فى كل ما يكتب ، والتعصب ملك عليه حسه ومشاعره فأخترع صفات لليهود هى بالقطع ليست فيهم ، لأنهم يحاربونها فى حياتهم العملية مع شعوب الأرض ، وقد أقروا هم بأنفسهم هذه الحقيقة فى التوراة المحرفة ، والتلمود المؤلف وملحقاته المتعددة . وفى ذلك نزل قرآن يتلى : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ....** ﴾ (البقرة : آية ٧٤).

ومع ذلك فإن من الكتاب والمفكرين من يخبط خبط عشواء ، لا يهمه على أى شئ يقع بقدر ما يهمه إعلان راية حتى ولو كان ضد الحقيقة ، وهذا صنف من الناس أعماهم الله وأضلهم على علم .

* * *

فكرة الصلب بين الحقيقة والخيال :

مرة أخرى نعيد بعض الأسس التى بنى عليها الأخوة المسيحيون فكرة الصلب هذه .

فهم يقولون إن أساس الصلب هو العدل ، ويستدلون على ذلك بأن الله إذا كان عليه أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى أرتكبها أبوهم - بالأكل من الشجرة طبعا - ولكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر .

وهذا صحيح من بعض الوجوه ، وهو أن الله سوف يحاسبنا بمقتضى الفضل لا بالعدل ، وإلا هلكنا ، وهذه رحمة من الله .

أما القول بأن الله إفتدى عقاب البشر بصلب عيسى -كما يقولون- تكفيرا عن خطيئة أبوهم، فنقول مردودها عليه بأن الله جلت قدرته وأقتضت رحمته أن لا تزر وازرة وزر أخرى و « كل نفس بما كسبت رهينة ... » هذا من حيث النقل .

أما من حيث العقل ، فإنه يعترض على قولهم بما يأتى :

١- معروف أن المدة الزمنية بين آدم وعيسى - عليهما السلام - تبلغ حوالى أربعة آلاف سنة تقريبا ، مع ملاحظة أن كتب التاريخ لم تعط تحديداً دقيقاً لتواريخ ما قبل الميلاد ، ولكنها غالبا ما تكون تقديرية ، وسواء زاد الرقم أو نقص ، الا أن ذلك يجعلنا نتساءل : أين كان عدل الله - الذى يستندون اليه - طوال هذه المدة ، أى من وقت طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح ، ولماذا ظهر فجأة عند مسألة الصلب هذه ؟ أم أن المسألة حجة والسلام ؟ .

فى البناء العقدى المسيحى أن المسيح ابن الله ، فإذا كان ذلك كذلك فهل ضاقت السبل وتملكت الحيرة فى نظرهم ورب البشر : ﴿ **تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا**

كذبا ﴾ أقول : هل إستحال على رب البشر أن يجد طريقا آخر يمكن بواسطته أن يغفر بها خطيئته البشر ، خصوصا إذا رجعنا بالذاكرة وتصورنا الحالة التى كان عليها المسيح وقت الصلب ولا شك أنها كانت قاسية وأليمة ومحزنة ، فهل يعقل أو يتصور أن يكون العلاج بهذا العقاب القاسى الأليم ؟ .

إن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الأباء [1] كل إنسان بخطيئته يقتل ، كما ورد فى سفر حزقيال : « النفس التى تخطئ هى تموت ، الابن لا يحمل من إثم الاب ، والأب لا يحمل من إثم الإبن ، بر البار عليه ، وشر الشرير عليه يكون » الإصحاح ١٨ عدد ٢٠ .

وحتى فى القوانين الوضعية ، فإن الجرائم لا تورث ، وإنما الذى يورث ماكان فى ملك المورث ، على خلاف فى التفاصيل ، وما جرى عليه العرف، أما الجرائم فلا تؤاخذ بها الذريات ، إنها العدالة الإلهية التى أقرتها كل الشرائع السماوية ، وهذا ما ينسف عقيدة الصلب أو الفداء عند النصارى من أساسها ، ونصوصهم تشهد بذلك كما سبق .

وإذا كان الصلب قد حدث تكفيرا عن خطيئة حدثت فى الزمن الماضى ، فما هو العمل فى الخطايا التى ترد بعد ذلك : « كل ابن آدم خطاء » إن تقدير خطيئة آدم لا يقدرها إلا الله ، ولكن بلا شك أنه فى الزمن اللاحق حدث ما هو أقسى وأمر - فى نظرنا على الاقل - مثل إنكار الألوهية والنبوءات ، بل والديانات كلها ، فإن هناك من عد ذلك نوعا من الاوهام والأساطير ..

يقول المسيحيون إن المسيح إبن الله ، ونحن نقول لهم أين هى عاطفة الأبوة التى فطر الله الناس عليها ، وأين كانت الرحمة حينما كان الإبن يشد على الصليب ، وتدق يديه بالمسامير ، وهو يصرخ « إيلى إيلى . لم

(١) سفر التثنية إصحاح ٢٤ العدد ١٦ .

شبقتنى » أى إلهى إلهى لم تركتنى إنجيل متى ، ولماذا لا تذكر ملابسات الواقعة حتى تكون أقرب إلى العقل ، إذا كان المطلوب أن يصدق الناس ، أو على الأقل لا يكذبون ؟ .

يقول عبد الأحد داود - وقد كان أسقفا مسيحيا قبل إسلام - منتقدا فكرة التكفير هذه ، ويؤكد على أنها من مبتدعات الكنيسة « إن من العجب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتى ، وهو خطئة آدم ، وغضب الله على الجنس البشرى بسببها ، ظل مكتوما عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه الا الكنيسة بعد حادثة الصلب » كتاب الأنجيل والصليب .

وثمة سؤال بدهى ، هل خلص الصلب المسيحيين من الذنوب والخطايا حقا ؟ الواقع يقول غير ذلك ، لأنهم يتلون فى عباداتهم وصلواتهم فى الصباح والمساء « وأغفر لنا ذنوبنا » شئ عجيب .

فإن قيل : إن المراد من الخلاص ، الخلاص من الدنيا ومشاغلها وأعبائها ، أى أنهم أصبحوا متطهرين أبرارا ، فبماذا نسمى ما يجرى عليهم كما يجرى على غيرهم من أمم الأرض ، من سعى ، وكد وتعب ونصب ، ولماذا لم يركنوا إلى الدعة والراحة والبلهنية ؟ .

وإن قيل : إن هذا الخلاص كان خلاصا لهم من حساب الآخرة ، فإن ذلك يدحضه ويكذبه ما جاء فى إنجيل : «متى » من أنهم سيحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب ، وهناك يفرز الله الناس ، ويفصل الأبرار عن الأشرار ، فيأمر بالأبرار إلى الجنة ، والأشرار إلى الهاوية » إنظر إنجيل متى الإصحاح ٢٥ عدد ٣١ وللخروج من هذا المأزق ، أتت الكنيسة بتفسير عجيب ، إذ قررت أن هذه المصالحة التى تمت بين الله - عز وجل - وبين البشر لا تعنى أنه لا تثريب على البشر فى الخطأ والعصيان ، لأن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة ، وهذه أيضا فرية عظيمة واضحة إذ من هو أسبق فى الوجود ، المسيح أم الكنيسة ؟ إن الكنيسة تعبير مستحدث بعد المسيح بزمن طويل ، فلماذا إقحامها على هذا الشكل المكشوف ، البين

كذبه، أم أن القوم إفترضوا أن الناس لا يقرأون واذا قرأوا لا يفهمون ؟!!

والنتيجة الطبيعية لما قدمناه ، أنه لا فداء ولا خلاص ، يؤيدنا في ذلك ما جاء على لسان بعض المسيحيين أنفسهم ممن يرفضون الفكرة من أساسها ، ويعدونها نوعا من الشرك ، في الوقت الذى يجب أن تتوحد فيه كلمة التوحيد ، وهو أن الله واحد لا شريك له ، وأن المسيح عبد الله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه « قال إنى عبد الله أتانى الكتاب. وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » سورة مريم ٣٠ ، ٣١

جاء في إنجيل يوحنا : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته ٢/١٧ .

إن الخلاص الحقيقى لا يتحقق الا بالايمان برسالة الإسلام التى جاء بها رسول الله محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - الذى بشر به المسيح نفسه : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

تنبيه لابد منها لهذه الحادثة :

إن شراح الكتاب المقدس يقررون أن المزمور ١٠٩ يحكى قصة يهوذا الأسخريوطى ، مع المسيح - عليه السلام - وقد أخذوا ذلك من سفر اعمال الرسل الذى ورد فيه - على لسان بطرس - إثر حادثة الصلب - المزعومة - وهو يخاطب زملاءه من تلاميذ المسيح « أيها الرجال الإخوة كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى صار دليلا للذين قبضوا على يسوع سبق الروح القدس فقال له بفم داود عن يهوذا لأنه مكتوب فى سفر المزامير لتصبر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن »[1] . لكن الحقيقة أن ما جاء فى مزامير داود ، المزمور ١٠٩ على لسان داود .

(يا إله تسبيحى لا تسكت لأنه قد إنفتح على فم الشرير وفم الغش) وفى عدد ٧ (إذاحوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية) وفى عدد ٩

(١) سفر أعمال الرسل إصحاح ١ عدد ١٦ ، ٢ .

(ليكن بنوه أيتاما وإمرأته أرملة) وفى عدد ٢١ (أما أنت يارب السيد فاصنع معى من أجل إسمك لأن رحمتك طيبة نجى) .فى عدد ٧ (إذاحوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية) وفى عدد ٩ (ليكن بنوه أيتاما وإمرأته أرملة) وفى عدد ٢١ (أما أنت يارب السيد فاصنع معى من أجل إسمك لأن رحمتك طيبة نجى) .

وعند تفنيد هذه النصوص يتضح لنا الآتى .

إن قول داود (إذا حوكم يخرج مذنبا) ينصب على من أمسكه اليهود - أيا كان-ولكن هل يليق أن ينطبق لفظ المذنب على يسوع عيسى بن مريم، الذى يعرف عنه الرقة والرحمة والحلم والعطف والمحبة والتسامح ، وبالتالى لم يكن مذنبا أبداً .

ولكن ما جاء فى هذا المذمور يؤكد على أن من حوكم ليس هو المسيح - ولكن شبه لهم - بل إن من حوكم فعلا شخص له إمرأة وبنون ، وهذا ما ينطبق على يهوذا ، تلميذ المسيح الخائن .

ويقول ول ديورانت فى كتابه ، قصة الحضارة .. دعا الحاخام الأكبر السنهدرين إلى الإجتماع ، وقال له : « إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشعب ولا تهلك الأمة كلها » ووافقته أغلبية الحاضرين على رأيه ، وأمر المجلس بإلقاء القبض على المسيح .

ويبدو أن نبأ هذا القرار وصل إلى مسامع يسوع ، ولعل الذى أوصله إليه بعض أعضاء فى السنهدرين نفسه ، ففى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبرى (وهو اليوم الثالث من شهر إبريل من العام الثلاثين) فى أرجح الأقوال ، أكل عيسى ورسله عشاء عيد الفصح فى دار صديق له فى أورشليم ، وكانوا ينتظرون أن ينجى المعلم نفسه بماله من معجزات ، لكنه لم يفعل شيئاً من هذا ورضى بما قدر له ، ولعله كان يأمل أن يتقبل الله موته على أنه تضحية يكفر بها عن ذنوب شعبه ، وقد قيل له : إن أحد الإثنى

عشر كان يأتمر به ليسلمه إلى أعدائه ، وفى هذا العشاء الأخير إتهم المسيح علنا يهوذا الإسخربوطى »[1] .

إن رسل الله صفوة الخالق إلى خلقه ، صنعهم الله على عينه ، وأحاطهم بعنايته ، وحفظهم برعايته ، وهو معهم أينما كانوا حتى يبلغوا الرسالة ، ويؤدوا الأمانة ، كما قدر الله وشاء وقد أداها رسل الله أجمعين - عليهم الصلاة وأزكى التسليم - وسيكونون شهوداً على أقوالهم أمام الله تعالى يوم القيامة .

ولست أدرى لماذا يتمسك الأخوة المسيحيون بفكرة الصلب والفداء هذه ، مع أن الواقع يؤكد على أنها فكرة غريبة وعجيبة ، ولا ندرى أيضا سرها والهدف منها ، مع أن الأديان لكى تؤدى رسالتها فى النفوس ، لابد أن تكون بعيدة عن الخرافات والأساطير والأوهام .

وعلى ذلك فإن فكرة الصلب والفدا أشبه بالمسرحية الغامضة التى تشاهدها فتصيبك بالملل ، لأنها تبدأ بالتآمر على المسيح - كما سبق أن قلنا - ثم بمحاكمته ، ثم بصلبه - كما يزعمون - ثم بدفنه ثم بنزوله إلى الجحيم ، ثم بخروجه فى قيامة الأموات ، تدرج فى ترتيب الأحداث يجعلك تضرب كفا بكف وتقول : لماذا هذا كله ؟ لندع القرآن الكريم يحسم هذه المسألة ويدحضها وينفيها من أساسها نفيا لا تقوم لها بعده قائمة : قال تعالى : ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها فلا يؤمنون الا قليلا، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسولا الله وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين إختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا إتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**﴾ (سورة النساء الآيات ١٥٥ - ١٥٩) وليس بعد كلام الله كلام ، ولا بعد بيان الله بيان .

(١) قصة الحضارة جـ٣ المجلد الثالث ص ٢٣٥ ٢٣٦ بتصرف .

(طقوس وعادات مسيحية)

خضعت المسيحية فى أطوارها المتعددة لطقوس وعادات إبتدعها إبناؤها كى يضفوا عليها شيئا من الجدية والتفرد ، والصرامة أحيانا ، وهى طقوس وعادات بعضها كان موجوداً والبعض الأخر مبتكر ، وسوف نذكر بإيجاز شديد بعض هذه الطقوس وتلك العادات إتماما للغرض الذى من أجله كان هذا الكتاب .

أولا : التعميد :

أخذ المسيحيون بعض الطقوس من اليهود - واليهود خير من يبتكر ويتفنن فى الطقوس أيا كان نوعها وهدفها - ولكنه كان يؤدى بطريقة غير التى تعرف عند المسيحيين ، إذ أن التعميد عند اليهود هو غسل الجسد كله ، وقد كان النبى يحى المسمى « يوحنا المعمدان » يعمد الناس فى نهر الأردن ، أى يغسل أجسادهم ، وقد أثبت التاريخ أن يوحنا المعمدان قام بتعميد المسيح عيسى بن مريم .

وقت التعميد :

كالعادة: لم يتفق المسيحيون على وقت محدد للتعميد .

فبعضهم يعمدا لشخص فى طفولته ، وهذا هو الغالب ، وبعضهم يعمده ، فى أى وقت من حياته ، المهم أنه لا يموت من غير أن يعمد وإلا كان عاصيا .

وبعضهم يجيز التعميد حتى لوكان الشخص على فراش الموت ، إذ أن التعميد - فى زعمهم - يذهب السيئات من النفوس .

كيفية التعميد :

هو رش الماء على الجبهة ، أو غمس أى جزء من الجسم فى الماء ،

والأفضل أن يغمس الشخص كله فى الماء ، ويشترط أن يقوم بذلك الكاهن نفسه ، لا أى شخص آخر ، إلا عند الضرورة ويسمى تعميد الضرورة .

الحكمة من التعميد :

مقصود التعميد عند المسيحين هو ختم عهد النعمة وسرها ، وأنه يمحو الخطيئة الأصلية فى النفس ، وتلدها ثانية ، وتعطى صاحبها حرية ومقدرة على فعل الخير ، وبمقارنة هذه الأسباب بأسباب الصلب والفداء نجد أنها متقاربة ، وقد سبق أن قلنا إن الاساس الذى قام عليه الصلب والفداء ، أساس واهن فاسد ، فالأمر هنا أيضا ينطق بفساد مقولة التعميد ، وأن القول بها تجديف بالباطل ، لأن خطيئة آدم قد غفرت بالتوبة « ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى » وهذا مبدأ مقرر فى جميع الشرائع السماوية .

الأساس التاريخي لفكرة المعمودية :

يقول الأستاذ « محمد مجدى مرجان » فى كتابه القيم : « المسيح إنسان أم إله » إن سر المعمودية أخذته الكنيسة من يوحنا المعمدان ، فكما كان يحى يعمد الناس فى نهر الأردن ليتطهروا من الدنس والإثم ، صار العماد بالماء أهم شعائر الكنيسة ، فبمجرد ولادة الطفل ، يحضره والده إلى الكنيسة لتعميده ، وإلا ظل كافراً ، فبالعماد فقط يصير الإنسان مسيحيا ، وطريقة العماد فى الكنائس ، هى نفس طريقة يوحنا ، صنعوا بئراً أو بركة صغيرة فى كل كنيسة ، على غرار نهر الأردن الذى كان يعمد يوحنا الناس فيه ، وملأوا البركة بالماء ، فإذا إحتاجوا لتعميد شخص لتنصيره ، سواء كان طفلا حديث الولادة ولد لآبوين مسيحيين ، أم كان رجلا أم إمرأة إعتنقت المسيحية حديثا ، فإنه يخلع ملابسه ، ويصير عاريا كما ولدته أمه، ثم يأتى الكاهن ومساعدوه ويحملونه ويضعونه داخل البئر ، ويقومون بتغطيسه بأكمله ثلاث مرات فى البحيرة حتى يتطهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ، ويصير مباركا » .

وثمة رأى يقول « إن فكرة المعمودية بمفهوم المسيحية ، وردت إليها من

أهل فارس الهنديين ، الذين قبل الرومانيون تعاليمهم قبل المسيح بمقدار ٦٨ سنة بواسطة بعض لصوص البحر من السلتنيين الذين أسرهم بومبى ، فنشروا أفكارهم فى سائر أنحاء الإمبراطورية ، وتوجد لهم آثار نادرة فى المتحف البريطانى وغيره من المتاحف الأوربية [١] .

ثانيا العشاء الرباني :

ويطلقون عليه : التناول ، وهو عادة أخذت من الأديان السابقة ، ويرمز لهذا العشاء إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه ، إذ إقتسم معهم الخبز والنبيذ ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذى كسر لنجاة البشرية ، أما الخمر، فترمز إلى دمه الذى سفك لهذا الغرض .

ويستعمل فى العشاء الربانى قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى مافعل بالمسيح ليلة (موته) وكذلك ليكون هذا طعاما روحيا للمسيحيين، فمن أكل هذا الخبز وشرب هذا الخمر ، إستحال الخبز إلى لحم المسيح ، والخمر إلى دمه ، فيحصل إمتزاج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه » [٢] .

جاء فى رسالة بولس لأهل كورنثوس ، عن العشاء الربانى :

« إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها ، أخذ خبزا ، وشكر فكسر وقال : خذوا وكلوا ، هذا هو جسدى المكسور لأجلكم إصنعوا هذا لذكرى » وكذا أعطاهم قليلا من الخمر ، وقال : « خذوا وإشربوا هذا هو دمى المسفوك لأجلكم ، وإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكأس ، تخبرون بموت الرب متى يعود كورنثوس الأول ١١ : ٢ - ٢٦ .

ومن أجل هذا يعتقد المسيحيون أن الخبز يرمز إلى جسم المسيح الذى كسر لنجاة البشرية ، وأن الخمر يرمز إلى دمه الذى سفك لهذا الغرض أيضا » .

(١) مصادر المسيحية وأصول النصرانة ، تأليف محمد أفندي حبيب .

(٢) إنظر كتاب وحدة الدين والفلسفة والعلم ، للسيد محمود أبو الفيض .

وفى إنجيل يوحنا « قيل عن عيسى » والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من زجل حياة العالم ، ومن يأكل جسدى ، ويشرب دمى فله حياة أبدية يثبت فى وأنا فيه ، فمن يأكلنى فهو يحيا بى [1] .

قال السيد المسيح : أنا هو خبز الحياة ، آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت ، أنا هو الخبز الحى كذلك نزل من السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم، فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسدا لنا لنأكله فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ، لأن جسدى ماء كل حق ودمى مشرب حق ، من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه » [2] .

وواضح أن أكل المسيحيين من المائدة التى هى جسد المسيح ودمه مبنى على مبدأ الكفارة الذى جاء ذكرها فى سفر الخروج ٢٩ : ٣١ومبدأ الكفارة هذه مأخوذ من اليهود ، كما ورد فى سفر اللاويين ٢٣ : ٢٦ قوله : « أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة محفلا مقدسا يكون لكم تذللون نفوسكم وتقربون وقوداً للرب » .

ثالثاً : الإعتراف :

معناه : أن يذهب الشخص المسيحى المذنب ، إلى الكاهن ، فيبوح له بما إقترفه من الذنوب ، مهما كانت درجتها ، ويشترط عدم حضور أحد معه أثناء الإعتراف ، لأنه سر مقدس بين المذنب والكاهن ، ويتحتم على الكاهن الا يبوح به ، فإذا ما إعترف المذنب خلصت نفسه ، وحصل على المغفرة بعد ذلك وارتاحت نفسه وإنشرح صدره ، ولا بأس أن يتكرر الإعتراف بتكرار

(١)الإصحاح السادس ٥١ - ٥٨ .

(٢) ٦ : ٤٨ - ٥٧ .

الذنوب فى أزمنه مختلفة ، وبابه مفتوح مدى الحياة ، وظل الحال هكذا حتى جاء عام ١٢١٥م فأوجبت الكنيسة أن يكون الإعتراف مرة واحدة على الأقل، وأن هذا الإعتراف ينسحب أثره على الذنوب المستقبلية ، وإستندت الكنيسة فى ذلك إلى ما جاء فى إنجيل يوحنا الاصحاح ٢٠ عدد ٢٢ ومابعده منسوبا إلى السيد المسيح - عليه السلام - ومن عجب أنهم ينسبونه إلى المسيح بعد « قتله وصلبه » حسب زعمهم ، إذ يزعمون أنه ظهر لهم بعد ذلك يوصيهم بقوله : « ولما كانت عشية ذلك اليوم وهوأول الاسبوع ، وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود ، جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم : سلام لكم . ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب فقال لهم يسوع أيضا : سلام لكم كما أرسلكم الآب أرسلكم أنا ، ولما قال هذا نفخ وقا لهم أقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه نغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » .

والراجع أن هذه الوصية لم يقلها المسيح حال حياته التى لازم فيها تلاميذه ، ولكنها جاءت فى الرؤيا عنه بعد ذلك ، وهذا يجعل فى النفس منها شئ ، ويورث عدم الإطمئنان لصحتها ، وبالتالى تصبح محل شك وإرتياب لأنها أضغاث أحلام .

رابعا : ضرورة حضور القسيس عند الزواج

يشترط لصحة عقد الزواج فى المسيحية أن يكون بحضور قسيس ، أى على يد قسيس ، لذلك يسمى الرباط المقدس ، أى الذى لا ينفصم ويسمى بالإكليل ، وفيه يقرب القسيس رأسى العروسين ، ويربطهما برباط واحد ثم يتلو بعض العبارات ، وبذلك يتم العقد ، وهو عقد أبدى لا ينفصم الا لعلة الزنا ، ولذلك نسب إلى السيد المسيح - عليه السلام - أنه قال : من طلق لغير علة الزنا فقد جعل إمرأته تزنى » ، ويشترط أن يتم عقد الزواج فى الكنيسة اما الزواج الذى يتم خارج الكنيسة ، فلا تعترف به ، وتعده علاقة آثمة بين الرجل والمرأة .

ومن المفارقات العجيبة أن الاصل فى المسيحية أن يترهب الناس ويعفوا أنفسهم عن الزواج ، رجالا ونساء ، ويستندون فى ذلك إلى تأويل فاسد لعدم زواج السيد المسيح - عليه السلام - ولكنهم وجدوا أن هذا غير ممكن، فأجازوا الزواج ، أى أن الأصل الترهب والاعفاف والزواج إستثناء ، إنه ضغط على النفس البشرية ، وتجاهل لنا موس الحياة من إستمرارية الوجود البشرى ، وإعمار الكون .

أما عن تعدد الزوجات ، فقد كان معمولا به فى العصور الأولى للمسيحية ، أخذا من شريعة اليهود ، وتمشيا مع قول السيد المسيح- عليه السلام -« ما جئت لأنقض الناموس .... » فوجدت الكنيسة نفسها أمام نص صريح للسيد المسيح ، ووضع جديد تريد أن تفرضه على الناس فرضا، وللتوفيق ومحاولة منها للخروج من هذا المأزق جعلت الزواج من واحدة فقط مباحا ، وأيضا للخروج من إرتكاب جريمة الزنا ، ولكن لا يجوز الطلاق بأى حال الا لعلة الزنا .

ويلاحظ أن هذا خروج على تعاليم المسيح - عليه السلام - إذ أن اليهودية تجيز الطلاق لاسباب كثيرة غير علة الزنا ، فإذا تم الطلاق فى المسيحية لعلة الزنا فإنه لا يجوز للزانى رجلا كان أو إمرأة أن يتزوج مرة أخرى ، أما إذا كان الفراق لموت أحد الزوجين ، فإن الحى يجوز له أن يتزوج، كذلك يجوز الطلاق إذا كان أحد الزوجين غير مسيحى - إختلاف الملتين - ولكن بشرط أن تتعذر الألفة بينهما .

خامسا : دهن الميرون المقدس :

قلنا إن المعمودية ركن أساسى فى الديانة المسيحية ، إذ أن المسيحيين يرون أن روح القدس تحل على الشخص الذى نال نعمة المعمودية ، ولكن بطريقة غير منظورة ، أى معنوية ، ولكن الكاهن يقوم بها نيابة عن المسيح - عليه السلام - بأن يمسح المؤمن بدهن الميرون المقدس ، إستناداً إلى أن السيد المسيح - عليه السلام - دهن بالحنوط والطيب عند دفنه - بزعمهم

وقد ظلت هذه عادة متبعة عند الرسل بعد قيامة المسيح !! وتوارثها آباء الكنيسة عن الرسل إلى يومنا هذا .

ويتكون دهن الميرون هذا من مزيج من العقاقير مخلوط بها بقايا من الدهن الذى صنعه الرسل - كما يدعى رجال الكهنوت - وجريا على عادة الكنيسة من إحكام قبضتها على الشعب ، وعدم السماح له بأن يقوم بأى من الطقوس « الهامة » بنفسه ، فإنها أوجبت أن لا يدهن أو يتمسح بالميرون الا الكهنة .

سادساً : الكهنوت وتأثيره على الشعب المسيحي :

معنى الكهنوت : السر الذى يحصل به الإنسان على النعمة التى تؤهله لاداء رسالة المسيح بين البشر فيعين بين الكهنة ، فهو خلافة رسولية أخذها الآباء الأولون عن الرسل أنفسهم ، ويسلمونها لمن بعدهم ، والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح .... » [1] .

سند هذا السر المقدس :

ورد فى إنجيل « متى » « الحق أقول لكم ما تربطونه فى الأرض يكون مربوطا فى السماء وما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء » [2] معنى ذلك أن المسيحية تعطى للكهنة سلطة تشبه سلطه الإله ، وتطلق يدهم بلا حدوْد فى التحكم فى مصائر الشعب ، إذ تجعل قولهم ملزما يتبعه الناس ، وتأسيسا على ذلك :

إذا قال الرئيس الكهنوتى لشخص أنه ليس بمسيحى صار كذلك ، وإذا قال إنه مسيحى كان مسيحيا ، فليس المعتقد حرا فى اعتقاده بحيث يتصرف فى معارفه كما يرشده عقله ، بل إنه مشدود بشفتى رئسه الدينى» الإسلام والنصرانية للإمام الشيخ محمد عبده .

ولقد تمسك آباء الكنيسة بشتى الأفكار التى تقوم على نظرية السر

(١) بحث للاستاذ أحمد حسين المحامي - مجلة الوعي الإسلامي اكتوبر سنة ٦٧، يناير سنة ٦٨ .

(٢) إصحاح ١٨ عدد ١٨ .

المقدس ، واختلف العلماء فى تفسيراتهم لهذا الإحتيال ، ولم تتضح معالمه إلا بعد أن عقد مجمع اللاتيران فى عام ١٢١٥ ميلادية وفيه تقرر : إن الهجوم على هذا المعتقد - السر المقدس - إنما يعنى الهجوم على قلعة تسلط رجال الأكليروس الذين أدركوا الخطر سريعا » إذ إمتد الهجوم على ثراء الأكليروس إلى الهجوم على المعتقدات المسيحية برمتها ، والمطالبة بوضعها تحت مجهر البحث الحر النزيه ، وهذا ما حدى بواحد منهم وهو « جون ويكلفك » أن يعبر - قرب نهاية حياته - عن شكوك كثيرة ساورته ، وهى التى تتعلق بتحول المادة - أى القربان - إلى لحم المسيح ودمه ، فكان أن أتهم وشيعته بالهرطقة ، وكان أكثر تلاميذ « ويكلف » شهرة رجل من بوهيميا « جون هس » رئس جامعة براغ ، وقد أختير لفحص بعض المعجزات التى قيل إن دم المسيح عملها ، فلم يلبث أن نطق بالحكم وقرر أنها عمليات غش وخداع واحتيال ، فغضب رجال الأكليروس ، وحكموا عليه بالموت ، وفى ٦ يوليو سنة ١٤١٥ أحرق « هس » حيا ، فى كونستانس ..

يقول د. عبد الأحد داود الآشورى - فى كتابه : « محمد فى الكتاب المقدس : « إن الاعتقاد النصرانى القائل إن نفس روح القدس هذا ، أو الأقنوم الثالث فى الثالوث المقدس ، ينحدر من عرشه السماوى ، طوع إشارة أى قسيس أثناء إحتفاله اليومى ببعض الطقوس ، من أجل تقديس عناصرها ، وتغيير جوهرها وخصائصها إلى بعض عناصر أخرى ، فوق الطبيعة إن هذا الاعتقاد أمرمناف للعواطف الدينية لكل موحد ، يهوديا كان أومسلما ، ولا يوجد شئ يهز مشاعر المسلم أكثر من الاعتقاد بأن الروح القدس - بإيعاز من أحد القسس - يغير دائما ماء المعمودية إلى دم إله مصلوب ، ويمحو ما يسمى بالخطيئة الأصلية ، أو كالاعتقاد بأن العملية السحرية التى تجرى على العناصر المادية للقربان المقدس ، تحولها إلى دم وجسد إله متجسد » .

بهذه الاعتقادات ، وبالسلطان الكهنوتى ، يهيمن رجال الاكليروس على الشعب، وسرعان ما يتوافد أفراد هذا الشعب على كرسى الإعتراف ، لينالوا

الغفران من الكهنة ، وإذا تم الغفران صار للمغفور له الحق فى تناول القربان المقدس ، الذى يتحول إلى جسد ودم المسيح - كما يزعمون- ويفهم من هذا أن رجال الأكليروس ، لهم نفوذ روحى بلا حدود على الشعب المسيحى ، وخصوصا الكاثوليك- وأن رجال الأكليروس قبل عصر النهضة الدينية ، كانوا يهيمنون على مقاليد الحياة ، من الملك إلى الغفير ، الجميع - بلا إستثناء - تحت رحمتهم ورهن إشارتهم ، وأصبح توقير الشعب الكاثوليكى خاصة ، لرجال الأكليروس ، إنما هو عن رهبة لا عن رغبة ، والأرثوذوكس يحذون حذوا الكارثوليك ولكن فى تواضع .

سابعاً : تقديس الصليب وحمله :

يستند المسيحيون فى ذلك إلى ما جاء فى إنجيل « لوقا » على لسان المسيح « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى »اصحاح ١٦ عدد ٢٤ ويفسرون هذا بأن معناه الإستهانة بالحياة ، والإستعداد للموت فى أبشع صورة ، وهى الصلب على خشبة كما يفعل بالمجرمين والمذنبيين .

(وحمل الصليب إشعار بإنكار النفس وإقتفاء أثر المسيح فى هذا الإنكار، والسير وراء مخلصهم وفاديهم ، فما أحوجهم إلى بغضه وكراهيته، لأن الههم صلب عليه - بزعمهم » [١] .

وحمل الصليب مستعار من العادة التى قضت بها الأنظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب أن يحمل صليبه كل يوم ، وكان عامة شعب الرومان ينفرون من الصليب ، ويفزعون من ظله ، وكان اليهود يشعرون بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة ، وأنه مكتوب فى ناموسهم : «ملعون كل من علق على خشبة» وهذا كله يبدو عجيبا أن يعتبره المسيحيون شيئا مقدسا، ومن عجب أن الكنيسة ، رغم أنها تعلن الحرب على الأصنام ، تقدس الصليب المصنوع من المعدن أو الخشب ، وتوصى أتباعها بتقديسه ، لأن حمله علامة على إتباع المسيح » [٢] .

(١) محاضرات في النصرانية - مصدر سابق .

(٢) كتاب مقارنة الأديان مصدر سابق .

أوجه الشبه بين العقائد القديمة والفكر المسيحي

من خلال ما سبق - وغيره كثير - نجدأن هناك أوجه شبه كثيرة بين الديانات والعقائد القديمة وبين الفكر المسيحى ، وهذا التشابه يوضح أن المسيحية إستعارت كثيرا من معتقداتها وطقوسها من البوذية واليهودية ، وحتى الوثنية أخذت المسيحية منها نصيبا موفوراً .

فالتثليث ، والأقانيم الثلاثة ، وقصة الصلب والفداء للتكفير عن خطيئة البشر ، والزهد ، والرهبنة ، كلها مأخوذة من البوذية التى تتشابه تعاليمها مع المسيحية تشابها كبيرا ، مع بعد المسافة بين الديانتين ، إذ ظهرت البوذية قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون .

والباحث فى أصل الديانتين ، يلاحظ تماثلا عجيبا فى بعض الوجوه يقول جوستاف لوبون ، فى كتابه « حضارة الهند » .. « إنك تلاحظ تشابها عجيبا من كل وجه بين صيام عيسى فى البرية ، حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات ، وصيام بوذا فى الآجام حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضا ، وذكرنا ما حدث لهذا الحكيم الهندوسى مع المرأة التى طلب منها أن تسقيه ، وهى من الطبقة الدنيا ، بما حدث لعيسى مع السامرية ، وما قاله لها ، وكلتا الديانتين أمرتا بالاحسان والزهد ، وكلتاهما ناطتا الخطيئة بالنيات كما تناط بالأعمال ، وكلتاهما إبتدعتا الرهبانية ، ولم تكونا سوى وجهين لحادث مهم واحد فى تاريخ العالم » ص ٣٤٤ ، ٤٥ - ٣ .

ويقول روبرتسون : إن تفاصيل الديانات الوثنية التى إستعارت المسيحية شعائرها وعقائدها منها » ليتضح أن هناك تطابق تام بين الديانتين .. فعلى سبيل المثال :-

« كل هذه الألهة ينسب لها أنها ولدت فى نفس الفترة (الشهر أو الموسم) » ينسب لعيسى أنه ولد فيها .

* كل هؤلاء ولدوا فى كهف أو فى حجرة بعيداً عن الناس .

* كلهم عاشوا حياة ، فيها عناء من أجل الجنس البشرى .

* كلهم كانوا ينعتون : المخلص . المنقذ . الوسيط

* كلهم قهروا بقوى الشر والظلام .

* ألقى بهم بعد هزيمتهم فى المدافن ، أو النيران السفلى .

* هبوا جميعا من مدافنهم بعد الموت وصعدوا إلى عالم السماء .

* أسسوا جميعا خلفاء لهم ، ورسلا ومعابد .

ويقول الدكتور أحمد شلبى : « إن مسيحية بولس إستعارت عقديتها وشعائرها من البوذية ، فطبيعةاللاحق أن يستعير من السابق ، ولا يمكن العكس أن يكون ، وبخاصة أن هذه الاتجاهات دونت قبل ظهور عيسى ، وهى وليدة الحياة الهندية وسائدة فى أفقها »[1] .

ويقول الخواجا كمال الدين ، فى مؤلفه عن المسيحية :

« إن تعاليم عيسى وكلمته لا تتسق مع إتجاه الكنائس فى عهدها الحاضر ، وأن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعارة من الوثنية »

« ومن العجيب أن أمر عقائد المسيحيين وشعائرهم ، وإستمدادها من الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة لها ، ليس بخاف على الكهنة المسيحيين الذين يقودون شعب الكنيسة فى انحاء الأرض ، ومما يؤكد هذا النظر أن الإستاذ محمد فؤاد الهاشمي ، كان قسيسا مسيحيا قبل إسلامه ، يقول فى كتابه : « إن المسيحية فى أصولها دين روحى سماوى ، جاء به المسيح من عند الله ، ولكن الكهنة فى كل زمان ومكان يحتكرون الأسرار لأنفسهم ، تلك الأسرار التى لو كشفنا عنها ، لتبين أنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه ، وأنه ليمنعنى من الدخول فى أسرار الكنائس عديد من الإعتبارات ، سوف تزول ويأتى الوقت الذى نفصح فيه عن كل شئ ، وقد احتفظ رجال الكهنوت

(١) مقارنة الأديان - المسيحية - .

بكثير من الأسرار ، وأباحوا الرموز للشعب ، وهذه سنة جرى عليها جميع الكهنة من قبل المسيحية ، وقد أشار السيد المسيح إلى هؤلاء الكهنة ، عندما وجه القول إلى الفريسيين والصدوقيين من اليهود قائلا لهم : « لاتضعوا المصباح تحت المكيال »وقد عنى المسيح بالمكيال : الرموز والطقوس،كما عنى بالمصباح الحقائق المستورة تحت الرموز والطقوس » (١) .

يقول و.ل. ديورانت : « إن المسيحية لم تقض على الوثنية ، بل تبنتها ، ذلك أن العقل اليونانى المحتضر عاد إلى الحياة فى صورة جديدة ، فى لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التى ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة آداة الآداب والطقوس المسيحية ، وإنتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على أحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ، فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ، ويوم الحساب وأبدية الثواب والعقاب ، وخلود الإنسان فى هذا أو ذاك ، ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفى بالله ، ذلك الاتصال الذى أوجد الأفلاطونية الحديثة ، واللا أدرية ، وطمس معالم العقيدة المسيحية » (٢) .

وتقول عالمة الأديان « أنى بيزنت » فى كتابها « المسيحية : « إن الأناجيل الأربعة التى جمعها المسيحيون فى القرن الرابع الميلادى ، تطابق الكتب المنتشرة بين الآسيويين وهم : الهندوس والبوذيون والشنتويزيون ، والسيخيون ، كما أنها تحوى أسراراً خفية للأديان الآسيوية السابقة ، والتى لم تعلن الا للقليلين » .

وفى إنجيل « يوحنا » قالت له المرأة : يا سيد لادلولك والبئر عميق فمن أين لك الماء الحى ، العلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه ، أجاب يسوع وقال لها : كل من يشرب من هذا

---

(١) كتاب الأديان في « كفة الميزان » بقلم الاستاذ محمد فؤاد الهاشمي ، والنقل عن كتاب « النصرانية والإسلام » مصدر سابق .

(٢) قصة الحضارة - قيصر والمسيح - جـ٣ مجلد ٣ ص ٢٧٦،٢٧٥ .

الماء يعطش أيضا ، ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد » إصحاح ٤ عدد ١٢ .

والخلاصة هنا : أن البوذية والوثنية لعبتا دورا كبيرا فى الفكر المسيحى كما سبق أن قلنا .

وفى ذلك يقول : د. أحمد شلبى : « ومن الخطأ الإدعاء بأن عقائد المسيحية مستمدة من الأناجيل ، أو من أقوال المسيح ، لأن الإتجاهات فى تلك العقائد المسيحية وجدت قبل المسيح ، وقبل الاناجيل بمئات السنين[1] .

ويربط المفكر العظيم - عباس محمود العقاد فى كتابة (عقائد المفكرين فى القرن العشرين) بين المسيحية وعقائد البدائيين ، فيقول :

لما كشفت أمريكا الوسطى وجد الأسبان فيها أقواما ، يتعبدون على أديان لا يعرفونها ، فخف القساوسة والمبشرون إلى البلاد الجديدة ليبحثوا فى أديانها ، ويحولوا أقوامها إلى العقيدة المسيحية ، فأدهشهم بعد قليل من الدراسة أن يروا لهم شعائر على شئ من الشبه بنظائرها فى الديانة المسيحية ، وذلك كالتكفير عن الخطيئة ، والخلاص ، وبعض المناسك الأخرى » .

ويقول العلامة « جار سلاف كريتى » أستاذ اللغويات بجامعة اكسفورد فى كتابه « ديانة قدماء المصريين » بوجود التماثل والتطابق ، بين الثالوث المسيحى والثالوث الفرعونى ، الأمر الذى دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحى مأخوذ من الثالوث الفرعونى » على كل حال : تلك نماذج على وجو تشابه بين العقائد القديمة والفكر المسيحى ، وكلها تعطى دلالات واضحة على أن الفكر المسيحى لم يكن فى غالب الأحوال معتمداً على نفسه ، وإنما كان دائما معتمداً على فكر من سبق من أهل الديانات الأخرى، ولكن المفكرين المسيحيين بفعلهم هذا أعطوا لغيرهم إنطباعا بأن عقيدتهم لاتستطيع أن تقود أمة مؤمنة ، ولا أن تعطيهم الزاد الروحى الذى تعطيه سائر الأديان لاتباعها .

(١) مقارنة الأديان - مصدر سابق .

طوائف المسيحية وفرقها

خضعت المسيحية إلى إنقسامات ، ومذاهب كثيرة ، وخصوصا فى عصرها الاول ، وذلك نتيجة لقسوة اليهود والرومان ، من ناحية وإختلاف مصادرها الأصلية ، وتركها لعلامات إستفهام كثيرة حول هذه المصادر ومدى صحتها ومطابقتها كمنهج المسيح - عليه السلام - من ناحية أخرى وكان من العوامل التى ساعدت على كثرة هذه الفرق تغلب فرقة على أخرى ، وقسوتها فى التعامل مع الشعب أحيانا ، وخصوصا إذا كان لها حظ لدى أباطرة الرومان ، الذين إستعانوا بتأييد الكنيسة لهم أحيانا فى مواجهة الثورات التى كانت تهب أحيانا فكان أن أصبح المناخ مناسبا لتكوين هذه الطوائف : وهى :

الكاثوليك :

يعتقد الكاثوليك أن مؤسس كنيستهم هو بطرس الرسول كبير الحواريين، ورئسهم ، وأن بابوات روماخلفاؤه وتسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية ، لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتينى ، أو الكنيسة العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها .

وتتبع كنيسة الكاثوليك النظام البابوى فى روما أى الفاتيكان ، وهو مجمع كنائس مكون من مجلس الكرادلة ويرأسه البابا الذى يعد فى نظرهم خليفة بطرس الرسول تلميذ المسيح ووصيه ، فهو بالتالى يمثل الله ، لذا كانت إرادته الهية .

ومن تعاليم كنيسة روما :

أن روح القدس نشأ عن الله الآب والإبن معا .

* أنها تعتقد بالمساواة الكاملة بين الإله الآب والإله الابن .

* أن المسيح ذو طبيعتين لاهوتين وناسوتين وله أيضا مشئتان .

* تنفرد كنيسة روما بإصدار صكوك الغفران من الذنوب لمن يتقدم للإعتراف ، ونص صكوك الغفران .

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا ... (يذكر اسم الذى يطلب الغفران) ويحلك باستحقاقات الأمة الكلية المقدسة ، وأما بالسلطان الرسولى المعطى لى : أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى إرتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى وأمحو جميع أقذار الذنب ، وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وارفع القصاصات التى تلتزم بمكابدتها فى المظهر ، وأدرك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة، وأقربك فى شركة القديسيين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر الذين كانا لك عن معموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة ، إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه المتعة تبقى غير متغيرة،حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الآب والإبن والروح القدسى »[1] .

وتنبثق من الكاثوليك طوائف أخرى أهمها :

(١) النسطورية :

وهذه الطائفة تنسب إلى نسطور الذى شغل بطريركية القسطنطينية لمدة أربع سنوات قبل أن يخلع وينفى إلى مصر حيث أقام فى مدينة أخميم حتى مات » وكان من آرائه : أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط، ثم إتحد اللاهوت بالناسوت . إتحاداً مجازياً وليس على الحقيقة ، لأن الإله منحه المحبة .

(١) إنظر كتاب الأديان للدكتور أحمد شلبي - مصدر سابق .

ووهبه النعمة فصار بمنزلة الإبن :

وقد جرت هذه المقالة ، المشاكل لنسطور لأنها جاءت بما يخالف ركناأساسيا من أركان العقيدة المسيحية ، وهو التثليث أو الثالوث الأقدس، الذى لا ينبغى لاحد أن ينقضه أو يخالفه ، ولذلك كاتبه البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية ، ويوحنا بطريرك أنطاكية ، كى يعدل عن رأيه أو على الأقل يخفف من نقضه ، ولكنه لم يستجب ، فانعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١ وقرر لعنه وطرده ، والتأكيد على أن مريم العذراء ولدت الإنسان والإله . يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة : « وقد تطور إعتقاد النسطوريين فى المسيح ، فأصبح اعتقادهم فيه أن فيه أقنومين كما أن فيه طبيعتين ، وقد التصق الأقنو مان والطبيعتان حتى صار فهمهما رؤية واحدة ، وقد أدخلتهم الكنيسة الرومانية فى حظيرتها » محاضرات فى النصرانية .

(٢) المارونية :

وهذه الطائفة تنسب إلى القديس مارون الذى أعلن سنة ٦٦٧ أن المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو إرادة واحدة ومشيئة واحدة ، ولكن الكنائس المسيحية لم تقبل هذا الرأى ، ولذلك إجتمع المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ وقرر رفض نحلة أو جماعة مارون ، وحرمانه ولعنه وتكفيره ، وتكفير كل من يتبعه ونظرا لما وقع لهم من إضطهاد وأذى ، فقد لجأوا إلى الفرار ، والإعتصام بجبل لبنان ، الذى أصبح مقراً لهذه الطائفة ، وقد تحايلت الكنيسة الكاثوليكية عليهم وقربتهم منها ، فأعلنوا لها الطاعة، والاتحاد معها على أن يبقوا على رأيهم ، وبطريركهم الخاص بهم ، وإن كان يقر بالرياسة لبابا روما » محاضرات فى النصرانية للشيخ أبو زهرة .

(٣) السريان :

هم عدة طوائف من المسيحيين الآسيويين ، كانوا يقولون إن المسيح ذو طبيعة واحدة (وهذا رأى أقباط مصر) ولكنهم يعترفون برياسة الكنيسة

الكاثوليكية عليهم ، وإن كان لهم رأيهم وبطريركهم الخاص بهم »المصدر السابق .

ثانيا : الأرثوذوكس :

وتسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، أو كنيسة الروم الشرقيين ، لأن أتباعها كانوا من الروم الشرقيين ، أى من شرق أوروبا ، كروسيا والبلقان واليونان .

* مقر هذه الكنيسة الأصلى كان مدينة القسطنطينية ، بعد أنفصالها عن كنيسة روما سنة ١٠٥٤ ، وتتبع تلك الكنيسة نظام الأكليروس ، ويبدأ من البطريرك ، ويليه فى الرتبة المطارنة ثم الأساقفة ثم الغمامصه ، وهم قسس ممتازون ، يليهم القسس العاديون .

* لم تقبل الكنيسة الشرقية أكل الدم المخنوق ، ورفضت إباحة أكل دهن الخنزير للرهبان .

* أصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس ، نشأ عن الله الآب فقط .

* قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الآب عن الإله الإبن .

* تصر الكنيسة الشرقية على أن المسيح له طبيعة واحدة ، ومشيئة واحدة [١] .

ثالثا : البروتستانت :

الكنيسة البروتستانتية ، تركز على التعليم العقلانى ، ولذلك ثارت على البدع المتفشية فى الكنيسة الكاثوليكية ، ورأت فيها جنوحا عن تعاليم السيد المسيح - عليه السلام . ولذلك جاءت عقيدتهم فى القربان المقدس على أنه خبز حقيقى ، وخمر حقيقية ، ولن يتحولا بأى من الأحوال إلى جسد المسيح ودمه ، وإنما يمارسان للذكرى فقط .

---

(١) إنظر مقارنة الأدان للدكتور أحمد شلبي مصدر سابق .

كذلك ليس للقسيس البروتستانتى هيمنه على مقدرات شعب الكنيسة ، فالجميع متساوون أمام الله ، والجميع يتقدمون أمام الله بإيمان يقينى يبعث فيهم الثقة ، وكل إنسان مسئول عن عمله أمام الله مباشرة ، والله يجزى كل إنسان بعمله .

ومن هذا الإعتقاد فإن الكنيسة البروتستانيتيه تزين جدرانها بنصوص من التوراة ، أو من العهد الجديد ، وكلها تحض على الإيمان الحقيقى المصفى ، مثل :

« إلتفتوا إلى يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر » [1]

« تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » [2]

« إنى أريد رحمة لاذبيحة لأنى لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة ولأن الكنيسة البروتستانيتيه تميل إلى إستعمال العقل ، فهى إذ تمارس العشاء الربانى ، فإنها لا ترى فى هذه الممارسة حلول الله الإبن ، أو إستحضار الله الروح القدس ، فهى تمارس العشاء الربانى وفقا أيضا لتعاليم بولس ، ومستندهم فى ذلك : « لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا ، إذ الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وكسر وشكر ، فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم إصنعوا هذا لذكرى ، كذلك الكأس بعد ما تعشوا قائلا : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى، إصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى » كورنثوس الأول ١١: ٢٣-٢٥ .

والنظام الإدارى فى الكنيسة البروتستانيتيه يجرى على إنتخاب اللجنة التنفيذية بالإقتراع السرى بين الأعضاء القساوسة وهذه اللجنة تتألف من رئس ونائب رئس وأمين عام ، وأمين الصندوق .

والكنيسة البروتستانيتيه لا تعترفوا بالبابوية ، ولا بالرتب الكهنونية ، فالكل سواء ، وإنما التفاضل يكون بالحياة المثلى لقول المسيح - عليه

(١) أشعياء ٤٥ : ٢٢ .

(٢) متي ١١ :٢٨ .

السلام:-« فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل » متى ٥ : ٤٨ ويطلق على المذهب البروتستانتى مذهب الإصلاح الدينى ، الذى نادى به الزعيم الأول للبروتستانت لوثر ، الذي حاول أن يغير من المفاهيم الخاطئة التى ادخلت على تعاليم يسوع المسيح ، ولكنه فى الواقع لم يستطع أن يغير شيئا ، ولم يبطلوا أصلا من الأصول التى قامت عليها المسيحية بعد (رفع المسيح - عليه السلام . ولكنهم فتحوا باب العداوة بينهم وبين غيرهم من الطوائف المسيحية .

الثياب الكهنونية والوانها :

أخذ المسيحيون فى زيهم الكهنوتى بما كان عليه اليهود فى القديم ، إذ جاء فى التوراة بيان تفصيلى عن هذا الزى ، فهو يتكون من سروال ، وقميص مخرم ، وصدره ، ورداء ، وجبة ، وعمامة .

جاء فى سفر الخروج : « وهذه هى الثياب التى يصنعونها : صدره ورداء وجبة وقميص مخرم وعمامة ومنطقة ، فيصنعون ثيابا مقدسة لهارون أخيك ولبنيه ليكهن لى ، وهم يأخذون الذهب والإسمانجونى والأرجوان والقرمز والبوص » ٢٨ : ٣ ،٤ .

ولكن الكنيسة البروتستاتية لا تلتزم بثياب كهنونية ، ذلك لأن يسوع إختار تلاميذه من عامة اليهود من صيادى السمك وأوصاهم قائلا : « كرزوا قائلين إنه قد إقترب ملكوت السماوات » متى ١ :٥

ولذلك فهم لا يعرفون الا بالكرازة ، وسرعان ما يختلطون بالناس ، والناس يألفونهم ويتيحون لهم فرص العمل ، دون أن ينكشف أمرهم ، ومع هذا فإن نظام قساوسة الكنيسة البروتستاتية يقوم على نظام خاص ملائم للكرازة والمجاهدة بين الناس .

وهم يعملون بوصية السيد المسيح - عليه السلام - القائلة :

« ها أنا أرسلكم كغنم وسط فى ذئاب ، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء

كالحمام ، ولكن احذروا من الناس ، لأنهم يسلمونكم إلى مجالس ، وفى مجامعهم يجلدونكم ، وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى ، شهادة لهم وللأمم ، فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو ربما تتكلمون ، لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به ، لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » متى ١٠:١٦ .

الرتب الكهنونية :

تتميز الكنيسة التقليدية بالنظام الهرمى فى تشكيلها ، وتسلسل القيادة فيها ، وذلك ضمانا لسير العمل فى دقة متناهية ، وهم يراعون تنفيذ هذا النظام بحذافيره ، ولا يخرجون عنه بأى حال من الأحوال ، وذلك نظرا لما لرجال الأكليروس من مكانة مقدسة بين الشعب .

وعلى ذلك فإن هذا النظام يبدأ من القاعدة العريضة للكنيسة ، وهم الشمامسة الذين يعاونون القساوسة فى أداء شعائرهم الدينية فى الكنيسة ، وينتهى هذا النظام بالقمة المتمثلة فى البطريرك الأعظم ، أى البابا .

وهذا النظام يتشكل على النحو الآتى :

١- رئيس شمامسة
٢- قس .
٣- قمص
٤- أسقف .
٥-مطران
٦- رئس مطارنة .
٧- كاردينال
٨-البابا .

***

الكنيسة في مصر

نبذة تاريخية :

كانت مدينة الاسكندرية ، فى عصر الأمبراطورية الرومانية، تعتبر عاصمة كبرى للأسقفيات ، ومن أساقفها : أريوس زعيم الموحدين ، وإثناسيوس زعيم التثليث ، وديسقورس زعيم فكرة الإله المتجسد فى يسوع المسيح .

وبما أن مصر فى ذاك الوقت كانت نصرانية ، فإنها أصبحت تعانى سياسيا من تبعيتها للإمبراطورية الرومانية ، لدرجة أن المصرين هربوا من ديارهم ، وسكنوا الكهوف ، والمغارات هربا من ظلم الرومان ، ومن العسف الذى كان واقعا عليهم ، وتدل بعض المراجع التاريخية على أن التقويم القبطى ، يبدأ من عصر الشهداء ، وبعد فترة ظهر ديقورس يدعو إلى أن يسوع ذو طبيعة واحدة ، هى طبيعة الله المتجسد في يسوع المسيح - عليه السلام - فانعقد مجمع خلقدونية سنة ٤٥١ ليدحض هذه الفكرة وينفيها من أساسها ، وأن الألوهية طبيعة واحدة ، والناسوتية طبيعة واحدة ، ولكنهما التقتا فى المسيح ، وانشق أقباط مصر عن الكنيسة الرومانية ، منشئين فى مصر الكنيسة الأرثوذكسية ، وساعد على هذا الانشقاق والإستقلال ما وقع على ديقورس من مجمع خلقدونية حين لعنه وطرده من حظيرة الإيمان ، ولكن ذلك لم يفت فى عضد المصريين ، فقد نالوا بهذا الإنشقاق حرية العبادة ، وأجمعوا أمرهم على عدم إعترافهم بقرارات مجمع خلقدونية ، بل ثاروا ضد الرومان للحفاظ على إستقلالهم العقائدى ، ورفضوا تعيين بطريرك على غير مذهبهم ، فلجأ بعض الأباطرة الرومان إلى أخذهم بالشدة والعنف ، والبعض أخذهم باللين والسياسة ، فترك لهم حرية إختيار بطريرك لهم من مذهبهم ، وأصبح لهذا المذهب الجديد دعاة يدافعون عنه ، وينتشرون فى

ربوع البلاد ومن أبرز هؤلاء « يعقوب البرذاعى الذى أخذ يجول فى البلاد الرومانية داعيا إلى إعتناق المذهب القبطى المصرى وسلك فى سبيل ذلك كثيرا من المخاطر والجرأة [1] .

ومن ذلك نرى أن قرارات مجمع خلقدونية هى السبب فى انفصال الكنيسة المصرية عند الكنيسة الغربية ، وهنا يصدق عليهم المثل القائل : رب ضارة نافعة .

واستمر الحال هكذا حتى كان الفتح الإسلامى لمصر بقيادة عمرو بن العاص فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما - فنال المصريون الحرية السياسية إلى جانب الحرية الدينية ، وذلك بإنتصار الإسلام على دولة الروم ، ثم إمتد الفتح الإسلامى حتى غطى بقاع الأرض من أقصاها إلى أقصاها ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، بقناعة وإقتناع ورغبة لا رهبة .

* * *

(١)إنظر محاضرات في النصرانية - مصدر سابق - بتصرف .

الصراع الكنسي في سبيل
الإستقلال الديني

على مشارف التاريخ الحديث لمصر ،تصادفنا قصة البطريريك.« يوأنس » الثامن عشر ، مع كنيسة روما الكاثوليكية .

فعندما تولى البطريرك رئاسة الكنيسة المصرية سنة ١٧٦٩ م وكانت كنيسة روما تبذل أقصى جهدها ، لضم الكنائس الشرقية - وعلى الأخص الكنيسة المصرية - وفى سبيل تحقيق هذا الهدف بعث بابا روما ، مندوبا عنه إلى مصر ، حاملا رسالة يدعو فيها البطريرك القبطى المصرى ، للاتحاد معه، وأيضا ليعرض عليه مشروع خطاب أعدته كنيسة روما ليكون صيغة للمصالحة بين الكنيستين بالرغم ما بينهما من خلافات جوهرية عقائدية وخاصة حول طبيعة يسوع المسيح - عليه السلام ، وطلبت من البطريرك المصرى أن يوافق على هذه الطلبات يزعم أنها فى صالح العقيدة المسيحية عامة ، وفى حالة الموافقة يقوم بطريرك مصر بإرسال الخطاب ثانية إلى بابا روما ، لاعلان الاتحاد بين الكنيستين ، وقد دفعت الثقة المفرطة بابا روما إلى عدم رفض بطريرك مصر لهذه الطلبات ، لأن هذه الفترة بزغ فيها نجم الحضارة الأوربية ، وأصبحت ذات قوة إقتصادية وعسكرية وهيبة ، وأخذت ترنو فى طمع إلى ما حولها من البلدان الأخرى ، إضافة إلى أن مصر وبلاد الشرق عامة ، كانوا يعانون من حكم الأتراك العلمانيين ، الذين يسومونهم الخسف والإستغلال ، ويحاربون كل مشروع يدفع بهم إلى الأمام ، ويعرقلون كل خطوة تقربهم من تحقيق ذاتهم ، فكان لهذه العوامل - وغيرها كثير - وقع سئ على النفسية المصرية خاصة والشرقية عامة ، والتى لا تملك حيالها أى حيلة ، لأن الأمر أكبر من مقوماتها ومقدراتها ، وهذا يعتبر ظرفا مواتيا لتحقيق الأطماع الأوروبية فى البلاد الشرقية .

ومع ذلك فإن الإباء المصرى ، وكرامة الوطن وشرف الأمة ، دفعوا البطريرك المصرى إلى رفض تلك المقترحات ودعوة المصالحة ، لأنها تحمل فى طياتها الخضوع والإستسلام لبابا روما - وجعله صاحب الكلمة العليا على الكنيسة المصرية ، ولذلك كلف البطريرك أحد كبار اللاهوتيين من الأقباط وهو الأنبا يوساب ، بإعداد خطاب يرد فيه بالرفض على دعوة الاتحاد هذه ، وجاء خطابه مشتملا على أقسى أنواع العنف والسخرية من العرض الرومانى والتأكيد على إستقلالية الكنيسة المصرية ووحدة شخصيتها .

ووفدت إلى مصر إرساليات بروتستانية كان من أهمها الإرسالية البريطانية والإرسالية الأمريكية عن طريق الشام

وإن كانت خطة الامريكيين هى القضاء على الكنيسة القبطية ، وضم أبنائها إلى كنيسة بروتستانية جديدة ، بينما كانت خطة الانجليز الإبقاء على كنيسة مصر مع التغلغل فيها والسيطرة عليها من الداخل .

وعملت الارساليات الامريكية على أن تنشئ المدارس الدينية للصغار والصبية فى المراكز الرئيسية فى القطر المصرى ، كالقاهرة والاسكندرية واسيوط .

وركزت نشاطها فى اسيوط خاصة لتخلق منها قاعدة للنزاع الطائفى فى المستقبل ، ولتنشر فيها البروتستاتية بين الأقباط ، وبدأ وصول المبشرين الامريكيين سنة ١٨٥٤ إذ حضروا إلى مصر ومعهم عدد من الشوام يستعينون بهم فى الاتصال بالمصريين ، ومعرفتهم ، وأنشأوا أول مدرسة لهم سنة ١٨٥٥ ، وأنشأوا كلية أسيوط سنة ١٨٦٥ ، وبلغت مدارس الإرسالية سنة ١٨٩٧ نحو ١٦٨ مدرسة يدرس بها ١١٠١٤ تلميذا ، وكانت كلما تكونت جالية بروتستانية من المصريين فى منطقة ، أعطى المبشرون إليها المدرسة ، لينشئوا غيرها فى مكان آخر ، وفى كتاب « البعثة الأمريكية فى مصر » الذى كتبه المبشر الامريكى « أندرو واطسن ، وصف تفصيلى لهذا النشاط ، ولسياسة التغلغل الامريكى التى حمل لواءها

المبشرون الامريكيون فى القرن الماضى ، وقد عارضت الكنيسة القبطية المصرية هذا النشاط ، وسافر بطريرك القبط إلى أسيوط على باخرة نيلية ، وضعها الخديرى إسماعيل تحت إمرته ، وعمل على الوقوف فى وجه النشاط البروتستانتى ، وعلى منع القبط من ارسال ابنائهم إلى مدارس التبشير ، وطاف والكهنة على البيوت يحرمون على كل أب أن يرسل أولاده إلى هذه المدارس ، وأعلنت الحروم الكنيسة ضد من يرسل أولاده إلى مدارس الارساليات أو يزور مكتباتها أو يقرأ كتبها أو يصافى أو يصادق أحدا من المبشرين .

يذكر المبشر الدكتور هوج أنه لما قويت هذه المقاومة ، ذهب مع القنصل الامريكى لزيارة البطريرك .. فلم يرتح البطريرك لهذه الزيارة ، لأنه كان يعتبر القس الذى أمامه (هوج) ليس قسا شرعيا ، بل ذئبا خاطفا ، ولذلك مدح غيرة رجال البطركانة فى استرداد أبنائها إليها ، وقال إن هؤلاء الاولاد هم كلهم أولادنا ، ولذلك لنا الحق أن نستعمل كل واسطة فى المحافظة عليهم ، فلما أراد الدكتور هوج طمأنته قائلا : إن مدارس التبشير لا تفعل أكثر من تعليم الانجيل للتلاميذ « إستشاط البطريرك غيظا عند سماعه هذا الكلام ، وكأنك ألقيت قنبلة فى وسط الغرفة الواسعة .. (وقال) . الانجيل الطاهر ! وهل الأمريكان وحدهم هم الذين عندهم الانجيل ؟ ولماذا لا يعلمونه لعبيدهم إذا كان عندهم ؟ لماذا يذهب الأخ إلى الحرب ضد أخيه (مشيرا إلى الحرب الاهلية فى أمريكا) لماذا جاءوا إلى مصر بكلماتهم الناعمة الطيبة ؟ .... إن الانجيل عندنا قبل أن تولد أمريكا فى الوجود ، إننا لا نحتاج إليهم ليأتوا ويعلمونا ، فنحن نعرف الانجيل أحسن منهم .. فاجتذب علو الصوت كثيرين ملأوا الشبابيك المحيطة بالغرفة ....، »

وتبدو هنا ذات روح الكبرياء والامتداد التى تلمس فى خطاب يوأنس الثامن عشر ، تجاه الكنائس الاجنبية ، وذات روح المقاومة .وقد أشار كتابه «تاريخ الأمة القبطية» إلى نشاط هذه الارساليات ، ومقاومة الكنيسة المصرية له ، ونشاط البطريرك وديمتريوس ضد تبشير الدكتور

هوج . وهى إشارة يظهر فيها روح الهجوم على هذا النشاط ، يذكر أنه بينما كان غرض الأقباط من التبشير فى العصور الاولى تبشير غير المسيحيين بالدين المسيحى ، لم يكن للمرسلين الاجانب الذين هبطوا مصر إلا غرض اجتذاب مسيحييها القبط لترك عقيدة آبائهم .

٢ - الصراع بين الكنائس الوافدة للسيطرة والاحتواء

إن القرن التاسع الميلادى ، شهد رجالا تصدوا للمبشرين فى كفاح طويل على أرض مصر ، ومصر هى قلب الأمة الإسلامية ، تعرضت لهجمات شرسة من المرسلين الاجانب الذين يعضدهم الاحتلال البريطانى ، والذين وفدوا إلى البلاد يتحدون المعتقدات الإسلامية ويهاجمون العلماء والرسول محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم ، ليصلوا إلى هدفهم من إثبات الوهية عيسى عليه السلام ، وأحقية دين المسيح المخلص للعالم - بزعمهم - إلى غير ذلك .

إستفحل أمر الضلال ، وتبجح الباطل فى غرور ، حتى آل بهم الحال أن جعلوا من الشوارع والاماكن العامة والاسواق فى مصر وفى ارجاء العالم الإسلامى ، ولاسيما القارة الهندية منابر لنشر الكفر البواح .

وفى القرن العشرين سمعنا ورأينا حملات تبشيرية مكثفة فى جنوب السودان ، وفى جنوب أفريقيا .

يشنون حملاتهم لا هوادة فيها ، على طبقات الشعب المسلم ، يوردون عليهم شبهات وأوهاما وتفسيرات حسب أهوائهم ، يقتطعونها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعاش المسلمون فترة قاسية ومحنة أطاشت عقولهم ، وشلت نشاطهم لفترة من الزمان .

ولكن الله سبحانه الذى تكفل بنصرة دينه وإعلاء كلمته ، لن يترك الباطل يجول ويصول ، فلابد له من ضربة قاضية ، وصدمة عاتية تدعه هباء ، ليحق الله الحق ، ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . وتحقق

الوعد الإلهى والوعد النبوى ، بأنه لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله . وشاءت إرادة الله العلى القدير أن يجعل من الأزهر الشريف منارة الإسلام الحصن الحصين للدفاع عن الإسلام ، ومن عجب أن نبوآت أشعيا النبى تؤكد هذه الوقائع وإندحار الباطل وإنتصار الحق، وذلك بالإسلام رسالة ورسولا ، عقيدة وشريعة ، إذ يقول : « كل آلهة صورت ضدك لا تنجح ، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه، هذا هو ميراث عبيد الرب ، وبرهم من عندى ، يقول الرب » أشعياء ٥٤ : ١٧ .

***

التعريف بالكنيسة :

أن كلمة الكنيسة كلمة معربة عن الاغريقية ، فهى من اصل يونانى وهذا دليل واضح على أن نشأتها أنما كانت فى احضان الامبراطورية الرومانية غريبة عما كان يجب أن يكون مهدها ومنشأها اورشليم ، حيث يطلق على بيت الله المجمع الذى كان يرتاده يسوع المسيح ليعلم الشعب .

« وكان يسوع يطوف كل الجليل يُعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض » متى ٤ : ٢٣) .

أما سر خروج الدعوة من اورشليم إلى أسيا الصغرى واليونان فيرجع إلى بولس الذى رآه اليهود بين قومه قد تزندق وحاولوا قتله فاثبت «لوقا» هذه الواقعة قائلا : فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يُقاومون ماقاله «بولس» مناقضين ومجدفين . فجاهر بولس وبرنابا وقالا كان يجب أن تكلموا أنتم أولا بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحلمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية . هوذا يتوجه إلى الأمم .. لأن هكذا أوصانا الرب . « قد أقمتك نوراً لأمم لتكون أنت خلاصا إلى أقصى الأرض » أعمال الرسل ١٣ : ٤٥ -٤٧ .

واصبحت الكنيسة فى ارجاء الامبراطورية الرومانية ، أى فى غير أرضها وسماتها ديانة ناشئة ضعيفة بين عمالقة أديان الخلاص الرسمية فى الامبراطورية الرومانية ، كالبوذية والميتراسية ، وتعرضت طيلة أربعه قرون وقبل الاعتراف بها للاضطهادات اليهودية والوثنية .

لقد اوصى بولس الاساقفة قائلا :

« احترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعيه ، التى أمامكم الروح [1] القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » أعمال الرسل ٢٠- ٢٨.

---

(١) المراد بالروح القدس يسوع المسيح حسب عقيدة التثليث المنبثقة من مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م .

انقسام الكنيسة على ذاتها :

انقسمت الكنيسة على ذاتها فى خلال الفترة من عام ٤٥١ إلى عام ١٥٢١ إلى مذاهب تختلف الواحدة عن الاخرى اختلافا جوهريا ، ومن ثمَّ نشأت الكنائس المنشقة تباعا على هذا النحو :

الكنيسة المصرية الارثوذكسية عام ٤٥١ [١] .

كنيسة الموارنة بسوريا عام ٦٨٠ [٢] .

كنسة الروم الإرثوذكس عام ٨٧٩ [٣] .

كنيسة روما الكاثوليكية عام ٨٧٩ [٤] .

الكنيسة البروتستانتية عام ١٥٢١ .

وإن هذا الإنقسام الجوهرى دليل على ان العهد الجديد كتابٌ وضعى ، قام بتصنيفه مجموعة من البشر ،وفى هذا الانقسام الذاتى يقول يسوع المسيح :

« فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم كل مملكه منقسمة على ذاتها تخرب وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت انجيل متى ١٢ :٢٥ .

ويقول البروفسيور عبد الأحد داود فى كتابه القيم « محمد فى الكتاب المقدس فى صفحة ٢٠١ :

« إن أى دين يعتمد على مداولات وقرارات المجامع العامه المؤمنة أو الملحدة – هو دين مصطنع إن دين الإسلام هو الايمان بالله الواحد والتسليم المطلق لمشيئته ، وهذا الايمان بالله الواحد والتسليم المطلق لمشيئته ، هذا الايمان يعتنقه الملائكة فى السماء ، والمسلمون فى الأرض ، إنه دين التقديس والإستنارة ، وقلعة الايمان التى لايمكن للوثنية اقتحامها » .

أما الانقسامات الذاتية وفقا للمجامع المسكونية المقدسة ، فهى على النحو التالى :

---

(١) تعني : مستقيم الرأي .
(٢) ماروني نسبه إلي مؤسس المذهب .
(٣) تعني : حر الفكر .
(٤) تعني : مقيم الحجة . محتج .

١ - مجمع خلقدونية عام ٤٠١

ظهر بمصر ديسقورس وكان يدعو بأن يسوع ذو طبيعة واحدة هى طبيعة الله .. ، فانعقد مجمع خلقدونية وقرر أن يسوع ذو طبيعتين طبيعة لاهوتية (الهية) وطبيعة ناسوتية (انسانية) غير ان المصريين اصروا على دعوة ديسقورس ، وانشقوا عن الكنيسة منشئين كنيسة الأقباط الإثوذكس .

٢ - مجمع القسطنطينية عام ٦٨٠

ظهر بالشام يوحنا مارون ، كان يدعو بأن يسوع ذو طبيعتين ولكنه ذو مشيئة واحدة هى مشيئة لاهوتية (إلهية) فأنعقد مجمع القسطنطنية وقرر أن يسوع ذو طبيعتين ومشيئتين . طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية ومشيئة لاهوتية ومشيئة ناسوتية ، فانشقت الكنيسة السورية منشئة كنيسة الموارنة .

٣ - مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩

نادى فوسيوس اسقف القسطنطينية بأن الروح القدس منبثق من الله الآب فانعقد مجمع القسنطينية عام ٨٦٩ وقرر أن الروح القدس ، منبثق من الله الآب ، والله الابن ، وقرر حرمان فوسيوس ونفيه .

وبعد عشر سنوات وفى عام ٨٧٩ استعاد فوسيوس مكانته ، وانعقد مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩ وقرر بطلان قرارات المجمع السابق عام ٦٨٩ ، وأقرَّ أن الروح القدس منبثق من الله الآب ، وانشق عن الكنيسة منشئا كنيسة الروم الارثوذكس ، ولم يعترفوا ببابا روما . وهنا برزت كنيسة روما الكاثوليكية فى الغرب . وكنيسة الروم الارثوذكس (البيزنطيين) فى الشرق .

٤ - مجمع ورمز عام ١٥٢١ :

ظهر المصلح الدينى الاشهر مارتن لوثر بإحتجاجاته على الفساد الذى استشرى ، وفى عام ١٥١٧ علق على جدران كنيسة ويتمبرج الالمانية ،

وثيقته المشهورة المتضمنة ٩٩ إحتجاجا على الفساد ، من هذه الاحتجاجات .

(١) رفض عصمة البابا

(٢) رفض صكوك الغفران .

(٣) التنديد بالرهبانية

(٤) تداول الكتاب المقدس

فانعقد فى مدنية ورمز مجمع مسكونى ، وقرر حرمان مارتن لوثر وقتله حرقا بالنار ، واعدام كافة مؤلفاته ، إلا أن شباب المانيا استطاعوا اختطافه ونجاته ، وانشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية منشئين كنيسة البروتستانت .

وعلى هذا فإن الكنيسة تنقسم إلى قسمين رئيسين هما : الكنيسة التقليدية وهى الارثوذكس والكاثوليك .

والكنيسة البروتستانتية المتحررة .

وبينهما الكنيسة الانجيليكانية ببريطانيا ، فهى وسط بين التقليد والتحرر، وهى كنيسة على الوجه الاغلب بروتستانتيه .

والكنيسة الكاثوليكية تستند إلى تفويض الهى:حين قال يسوع المسيح لبطرس:« وأقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخره ابنى كنيستى وابواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات . فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماوات» انجيل متى ١٦ : ١٨ ، ١٩ .

وبناءا عن هذا التفويض انعقد مجمع الاساقفة فى روما عام١٢١٥وقرر :

(١) عصمة البابا وحقه فى الحل والربط .

(٢) إنشاء صكوك الغفران وما إلى ذلك مما أدى إلى ثورة المصلح الدينى الكبير مرتن لوثر على الفساد الذى استشرى

الكنيسة والإهتمام بالزخرفة :

تبنى الكنائس التقليدية على الطراز البيزنطى من قباب وأبراج الأجراس وبهو فسيح من الداخل ، ومقصورات جانبية يلتقى فيها الكهنة بالتائبين فيما يعرف بكراسى الاعتراف ويتكاثر فى تجاويف فى جدران الكنيسة الكاثوليكية تحتضن تماثيل لقديسين ، كما تزدان قبة الكنيسة بصور الملائكة والقديسين .

هذا وقد انعقد مجمع نيس عام ٧٨٧ فأقرَّ تقديس الصور والتماثيل للعذراء مريم ، وابنها يسوع وللقديسيين ، ومع ذلك فإن قرارات مجمع نيس بتقديس صور وتماثيل القديسيين ، تتنافى مع ما جاء فى الكتاب المقدس .

- لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصباً ولاتجعلوا فى أرضكم حجرا مصوَّرا لتسجدوا له .

« لأنى أنا الرب إلهكم » ١١ ٢٦:١ .

احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذى قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك .لأن الرب إلهك هو نار آكله إله غيور » تثنية ٢٣:٤ ،٢٤ .

ويقول البروفسيور عبد الأحد داود فى كتابه (محمد فى الكتاب المقدس) صفحة ٢٢١ :

« ينبثق الايمان بالوسطاء [١] أو الشفعاء من الايمان بالتضحيات وحرق القرابين وإيقاد الشموع والرهبنة والخرافات التى لا حصر لها ، وهذا الاعتقاد يقود البشر إلى عبادة الأضرحة وصور أو تماثيل القديسيين والشهداء ، كما يساعد على زيادة نفوذ الكاهن والراهب وسيطرتهما ،

(١)« لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح » (تيموناوس أولي ٢ :٥ .

ويبقى الناس فى حالة جهل للأشياء الإلهية . إن اللجوء إلى الوسيط الميت ليقف بمثابة السحابة الكثيفة تعكر صفاء الجو الروحي ، وتحجب المرء عن ربه ، إن هذا الاعتقاد يؤدى بالناس - الذين يزعمون أنهم مبشرون بالدين لهداية الآخرين - إلى الاندفاع من أجل المال ، يجمعون منه مبالغ ضخمه من أجل تكوين ارساليات قوية غنية . وصروح فخمة ، ولكن هؤلاء المبشرين فى حقيقة أمرهم هو جواسيس كلٌ لحكومته ،وهم السيد الحقيقى للمصائب التى حلّت بساحة الأرمن واليونان والآشوريين والكلدان فى تركيا وايران ، بما وصفوه من التعليم الخائن والثورى الذى تقدمه جميع الإرساليات الاجنبية فى الشرق والواقع ان الاعتقاد بالوسطاء كان دائما مجالا لسوء الاستعمال والتعصب والاضطهاد والجهل وغيره من الشرور الأخرى الكثيرة .

وينتهى بهو الكنيسة - تحت القبه العريضة المزينة بصور الملائكة والقديسيين إلى المحراب (قدس الاقداس) حيث المذبح والذى يدخله رئيس الكهنه لاقامة القداس الالهى ، هذا المذبح على نسق المذبح فى هيكل سليمان ، كما جاءت النصوص عنه فى سفر الخروج ٢٩ : ١٥-١٨ .

لامريون ٦ :٨-١٣ غير أنه عوضا عن الذبيحة الحيوانية الخبز والخمر يرمزان إلى جسد ودم يسوع المسيح وهو ما يعرف بالقربان المقدس .

فى الكنيسة البروتستانتية :

الكنيسة البروتستانتية تركز على التعليم العقلانى ، وهى أساساً ثارت على البدع المتفشية فى الكنيسة الكاثوليكية ، ولهذا لم تركز على جمال العمارة من الخارج ومن الداخل ويستثنى من ذلك الكنيسة الانجليكانية ، اى الاسقفية البريطانية ، فهى تخضع للفن المعمارى السكسونى ، وعلى العموم فالكنيسة البروتستانية عبارة عن بناء لقاعة كبيرة تتصدرها منصة ومنبر الكنيسة يقف امامه القسيس لقراءة الكتاب المقدس ، ولقيادة شعب الكنيسة فى صلاة جماهيرية .

وهذه القاعه تخلو تماما من الصور أو التماثيل حتى الصليب ، اللهم إلا فى الستينيات من القرن العشرين حيث بدأ عمارة الكنيسة يعلوها الصليب تمييزا عن غيرها من المبانى . والقساوسة ليس لهم زى رسمى بل يلبسون الأزياء المألوفة فى الاقليم الذى يخدمون فيه شعائر الكنيسة ، ويحيونها ، اما عقيدتهم فى القربان المقدس فانهم يرونه خبزا حقيقيا وخمراً حقيقيا ، ولن يتحول تحت أى طقس دينى إلى جسد ودم المسيح وانهما يمارسان للذكرى فحسب .

وليس للقسيس البروتستانتى هيمنة على مقدرات شعب الكنيسة فالجميع متساوون امام الله ، والجميع يتقدمون أمام الله بثقة فى يقين الايمان والجميع يصلون ، وكل إنسان مسئول عن عمله امام الله مباشرة ، فالله يُجزى كل إنسان بعمله ، وتتميز الكنائس البروتستانية بتزيين جدرانها بنصوص من التوراة ، أو من العهد الجديد مثل .

- التفتوا إلى يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر . إشعياء ٤٥ :٢ .

- تعالو إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » متى ١١ :٢٨ .

- إنى أريد رحمة لا ذبيحة . لأنى لم أت لأدعوا ابراراً بل خطاة إلى التوبة » متى ٩ :١٣ .

معلومة لابد منها :

إن الكنيسة التقليدية تنهج فى عقائدها وطقوسها النهج اليسوعى ، وذلك باقرار الشعائر الدينية والطقوس الكهنوتية للعهد القديم ، عملا باسلوب يسوع المسيح حينما طلب من الأبرص الذى ظهر أن يذهب إلى الكاهن « ولما نزل من الجبل تبعته جموع كبيرة وإذا أبرص قد جاء وسجد [1] له قائلا ياسيِّد إن أردت تقدر أن تطهرنى ، فمدَّ يسوع يده ولمسه قائلا أريدُ فاطهر ، وللوقت طهر برصه ، فقال له يسوع انظر أن لا تقول لأحد . بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدِّم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم » متى ٨ : ١-٤ .

بينما تشذ الكنيسة البروتستانتية عن هذه القاعدة ، وهى التى تنهج نهج بولس الذى ضرب بالعهد القديم عرض الحائط لقوله :

- فإذ قال جديدا عتق الأول ، وأما ما عتق أو شاخ فهو قريب من الأضمحلال » العبرانيون ٨:١٣ .

- لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا . لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقربانا لم تُرد ولكن هيأت لى جسدا..فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة » العبرانيون٩:٤-١٠ .

إن الكنيسة التقليدية (الكاثوليك والارثوذكس والأسقفية) تعنى فى الدرجة الأولى :

(١) بعمارة الكنيسة من الخارج ومن الداخل .

(٢) وبالثياب الكهنوتية وألوانها .

(٣) وبالرتب الكهنوتية .

---

(١)السجود هنا نوع من أنواع التحيه والتوقير لمعلمي الناس الخير وهو علامة علي إنكسار الطالب أمام المطلوب والتحية عند اللقاء تبدأ بالسلام « الله يُنعم عليك يا ابني » تكوين ٤٣ :٢٩ وعند الافتراق بالدعاء « صيري ألوف ربوات وليرث نسلك باب مبغضيه » تكوين ٢٤ :٦٠ وذلك عند افتراق رفقة ببيت أبيها إلي إسحاق بن إبراهيم زوجها .

ونظام هذه الكنيسة الكهنوتى بالوراثة :

وهم يعنون عنايه خاصة فى داخل الكنيسة بالمحرار:أى قدس الاقداس . وفى المحراب « المذبح » تعلوه قبة عليها صور الملائكة والقديسيين ، وهذا المذبح رمز للمذبح فى العهد القديم ، والدخول إلى المحراب لاجراء الطقوس الكهنوتية .. اختصاص كبير الاساقفة ، بينما فى الخارج ينتظر رجال الاكليروس يعاونهم الشمامسة .

والمذبح فى العهد القديم كما تنص عليه التوراة البشرية :

(١) « وتأخذ الكبش الواحد . فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش . فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية . وتقطع الكبش إلى قطعه . وتغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعة وعلى رأسه . وتوقد كل الكبش على المذبح هو محرقة للرب . رائحة سرور وقود هو للرب » خروج ٢٩:١٥-١٨ .

(٢) « وكلّم الرب موسى قائلا . أوصى هارون وبنيه قائلا هذه شرعة المحرقة . هى المحرقه تكون على الموقدة فوق المذبح كل الليل حتى الصباح . ونار المذبح تتقد عليه ... نار دائمة تتقد على المذبح لاتطفأ » لاويون ٦ :٨-١٣ .

أما الغاية من الذبيحة والمحرقة والتى هى رائحة سرور للرب كما جاء عندما قدم نوح عليه السلام بعد خروجه من الفلك ذبيحة شكرا للسلامة « فتنسم الرب رائحة الرضا » تكوين ٨:٢١ إن الغاية هى استحضار وجود الله للسكنى بين بنى إسرائيل .

وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح . وهارون وبنوه أقدسهم لكى يكهنوا لى . وأسكن فى وسط بنى إسرائيل وأكون لهم إلها فيعلمون أنى أنا الرب إلههم الذى أخرجهم من أرض مصر لأسكن فى وسطهم . أنا الرب إلههم » خروج ٢٩ :٤٤-٤٦ .

ويُستعاض عن الكبش فى طقوس الكنيسة التقليدية بالقربان المقدس (الخبز والخمر) اللذان بعد اجراء الكاهن لطقوس كهنوتية يتحول الخبز إلى جسد يسوع ويتحول الخمر إلى دم يسوع ، وهذه عقيدة بولس القائلة « كأس البركة التى تباركها أليست هى شركة دم المسيح . الخبز الذى تكسره أليس هو شركة جسد المسيح » كورنتوس أول ١٠ :١٦ .

أما كنيسة البروتستانت فتضرب بهذا كله عرض الحائط وهى أذ تمارس العشاء الربانى لا ترى فى هذه الممارسة حلول الله الابن أو استحضار الله الروح القدس فهى تمارس العشاء الربانى وفقا أيضا لتعليم بولس :

- لأننى تسلّمت من الرب ما سلمتكم أيضا أن الرب يسوع فى الليلة التى أُسلتم فيها أخذ خبزا . وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى . كذلك الكأس بعد ما تعشوا قائلا هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى . اصنعوا هذا كُلّما شربتم لذكرى » كورنثوس أولى ١١:٢٣ -٢٥ .

* * *

أباطيل تكشفها حقائق

يجدر بنا ونحن نختم بحثنا هذا ، أن نورد بعض الأباطيل التى يتمسك بها الأخوة المسيحيون ، خصوصا ما يتعلق بالحلول الإلهى ، ووحدة الوجود ، وذلك على سبيل المثال ، ثم نرد عليها بالحقائق الدامغة من القرآن الكريم . لعل وعسى يكون فى ذلك إعتراف بالحق ، فهو خير من التمادى فى الباطل، فإن الأديان من لدن آدم - عليه السلام - إلى خاتم الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - جاءت مبنية على الحقائق لأنها من الحق إلى أنبيائه الذين لا ينطقون عن الهوى ولأنهم صفوة الخالق إلى خلقه ، ومن شروطهم العامة الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة .

وليس لنا من غرض شخصى ندعو إليه الا إظهار الحق ، وتبيان الحقيقة، وإستجابة دعوة الحق - سبحانه وتعالى - :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (آل عمران : ٦٤)

والأخوة المسيحيون فى سبيل الترويج لفكرتهم يأتون بنص من كتابهم المقدس ويقيمون الحجة عليه من القرآن الكريم ولا يخفى ما فى هذا من إيحاء بأن القرآن الكريم ، أخذ من كتابهم - مع أنهم مجمعون على أن الأناجيل تصنيف بشرى ، ولكنه نوع من الخداع المكشوف الذى لا ينطلى على كل ذى بصر وبصيرة .

جاء فى إنجيل يوحنا ١:١

فى البدء كان الكمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » وقد سبق أن فندنا هذا النص وبينا تناقضه وتضاربه .

إذ يستدلون بنصهم على أن المسيح عيسى بن مريم هو الكلمة ، والقرآن يؤيدهم فى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى بن مريم ....** ﴾

وقوله : ﴿ **إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم** ﴾ وكأنهم تجاهلوا عمداً وهم يعلمون علم اليقين قوله تعالى : ﴿ **قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ .

والمثل يقول : إذا كنت كذوبا فكن ذكوراً ، فقد جاء فى إنجيل «لوقا» فإن خلق عيسى إنما : كن فكان : « فقال لها الملاك - جبرائيل - لا تخافى يا مريم أنك قد وجدت نعمة عند الله وهى أنت ستحبلين وتلدين إبنا وتسميه يسوع » لوقا ١ :٣٠

« فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك » لوقا ١ :٣٤، ٣٥ .

ودلل جبرائيل الملاك على صدق البشرى وأن خلق يسوع انما آيه من آيات الله بكلمته ﴿ **كن فيكون** ﴾ فقال : .

- « وهوذا أليصابات نسيبتك هى أيضا حُبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً . لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله » لوقا ١ :٣٦،٣٧ .

فآمنت بكلمات ربها وصدقت البشرى :

« فقالت مريم هوذا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك فمضى من عندها الملاك » لوقا ١ :٣٨ .

وفى القرآن الكريم قوله سبحانه :

﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾ (التحريم آية ١٢)

وقوله سبحانه :

﴿ وَالَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيــهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِين ﴾ (الانبياء آية ٩١) .

ويقول البروفيسور عبد الأحد داود فى كتابه (محمد فى الكتاب المقدس) فى صفحة ١٨١ .

« إن سر الوجود السابق لارواح الانبياء ، لم يكشف لنا ، ولكن كل مسلم حقيقى يعتقد به ... وذلك السر الإلهى هو الذى جعل للكلمة الالهية (كن) خاصية الايجاد وبتأثير هذه الكلمه الالهية . كانت ولادة اسحاق من سارة ، ويوحنا المعمدان من اليصابات ، ويسوع المسيح من مريم العذراء عليهن السلام . وهناك اسماء أخرى عديدة ، وردت فى العهد القديم : مثل شمشون من (امرأة تَنُّوح) وصموئيل من حنة وارميا على سبيل المثال» أهـ

كما تناسوا عمداً فى الآية الثانيه من سورة النساء الآية ١٧١ اقرار القرآن الكريم أن المسيح عيسى ابن مريم :

١- إنه ابن امرأة بلا زرع بشر

٢- إنه رسول الله .

ونفى التثليث الالهى والبنوه الالهية

وأقر ان الله واحد أحد . ذلك قول الله تعالى

﴿ يَاأَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُم وَلاَ تَقُولُوا عَلَي اللَّهِ إِلاَّ الحَق إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَي ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكلمته أَلْقَاهَا إِلَيَ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّه وَرُسُلِه وَلاَ تَقُولُوا ثلاثة إنتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُون لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَي بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (النساء : آية ١٧١).

والاناجيل على علاتها ، وأنها تصنيف تلاميذ عيسى، فتؤكد ان يسوع المسيح ابن مريم حملت به من غير مباشرة رجل .

« وقال لهم كيف يقولون إن المسيح ابن داود . وداود نفسه يقول في كتاب المزامير [1] قال الرب لربي اجلس عن يميني . حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فإذا داود يدعوه ربًا فكيف يكون ابنه » لوقا ٢٠:٤١-٤٤.

وتؤكد أنه رسول الله .

« فأجاب يسوع لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » متى ١٥:٢٤ « أجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني » يوحنا ١٦:٧ .

« تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله » يوحنا ٨:٤٠ .

- أقام الله فتاه (عبده) يسوع أرسله يبارككم .

يردُّ كل واحد عن شروره » اعمال الرسل ٣:٦م .

وتنفى التثليث

« الله روح . والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » يوحنا ٤ :٢٤

- لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يُغفر للناس [2] .

وأمّا التجديف على الروح فلن يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الانسان يُغفر له . وأما من قال على الروح القدس . فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي » متى ١٢ : ٣١-٣٢ .

وأقرت أن الله واحد أحد وأنه - أي يسوع - رسول الله .

« فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي إسمع . يا إسرائيل الربُّ الهنا ربٌ واحد » مرقس ١٢ :٢٩ .

---

(١) مزمور ١١٠ :١ .

(٢) اقرأ وتدبر من سورة النساء الآية ٤٨ والآية ١١٦ .

- « تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيُّها الآب قد أتت الساعة . مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضا . إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته . وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك يسوع المسيح الذى أرسلته » يوحنا ١٧ : ١-٣

عود إلى نص يوحنا ١:١

١- فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » يوحنا ١:١ ، « والكلمة صار جسدا » يوحنا ١٤:١

بادئ ذى بدء ان فى النص اسقاط ، سواء أكان سهوا ام عمدا ، وهذا يرجع إلى ان الاناجيل تصنيفات بشرية كما أقر لوقا فى انجيله لوقا ، ١:١-٤ وكما أقرّ يوحنا كذلك ، يوحنا ٢٠ :٣٠،٣١ والاسقاط هو المضاف ، ويمكن تصحيح النص ، بإضافة المحذوف هكذا « وكان رب الكلمة الله » ؛ « وأثر الكلمه صار جسداً »

فاذا وضعنا الامر بدلا من الكلمة ، نرى النص « فى البدء كان الأمر . والأمر كان عند الله وكان رب الامر الله » .

يوحنا ١:١ ؛ « وأثر الامر صار جسدا » يوحنا ١٤:١ وهذا يتوافق مع القرآن الكريم فى قوله سبحانه : ﴿ **قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (آل عمران : آية ٤٧) .

ويؤكد هذه الحقيقة قرائن وردت فى العهدين الجديد والقديم .

قرائن من العهد الجديد :

« بالايمان نفهم أن العالمين أُتقنت بكلمة الله » (العبرانيون ١١ :٣) .

- « السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة قائمة » بطرس الثانية٣:٥

قرائن من العهد القديم :

بكلمة الرب صُنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها » مزمور ٦:٣٣ .

- وقال الله ليكن نور فكان نور » تكوين ١:٣

ونظرية أخرى فى سلسلة اوهام النصارى وهى التجسد الإلهى ، فيعرضون نص التوراة هكذا :

- « فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العُلّيقه وقال موسى موسى . فقال هأنذا . فقال لا تقترب إلى ها هنا اخلع حذاءك من رجليك . لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » خروج ٣:٥،٤ .

ويركزون على العبارة « ناداه الله من وسط العُليقة »

ويدللون على تصديق القرآن الكريم لهذه العبارة بأن يعرضوا نصوص القرآن الكريم على هذا النحو :: ١٦٤ .

١- ﴿ وكلّم الله موسى تكليما ﴾ (النساء آية ١٦٤)

٢- ﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ﴾ (طه آية : ١٤) .

٣- ﴿ يا موسى إنّه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ (النمل آية :٩) .

٤- ﴿ يا موسى إنى أنا الله رب العالمين ﴾ (القصص آية ٣٠) .

ويستنبطون من هذا قدرة الله على التجسد فى النار ومن ثمّ فالاولى قدرته على التجسد فى الانسان .

ومع هذا فقد ظهر فى بريطانيا حديثا كتاب[1] اسطورة تجسد الاله فى يسوع المسيح » ترجمه دكتور نبيل صبحى طبعة الكويت . وأوصى باقتنائه لأن الكاتبين هم سبعة من كبار رجال اللاهوت البريطانيين .

ومن العجيب ان الكتاب المقدس يدحض نظرية التجسد هذه ، فضلا عن الاكتشافات العلمية الحديثة . وكذلك القرآن الكريم .

براهين من الكتاب المقدس على تهافت نظرية التجسد :

١- سفر المزامير ١٩ :١-٤

« السموات تحدث بمجد الله والفَلَك يخبر بعمل يديه . يوم إلى يوم يذيع

كلاما وليل إلى ليل يُبدى علما . لا قول ولا كلام لا يُسمع صوتُهم . فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونه كلماتهم جعل للشمس مسكنا فيها » .

٢- سفر اعمال الرسل ٢٢ : ٧،٨ .

« والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى » .

برهان من القرآن الكريم على تهافت نظرية التجسد .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (سورة الإسراء : ٤٤) .

٢- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرض يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الشورى ١١، ١٢).

برهان من كتب الانبياء

١- اشعياء ٤٥ : ٢١ ، ٢٢ .

« أليس أنا الرب ولا إله آخر غيرى . إله بار ومخلِّص ليس سواى . التفتوا إلىَّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر »

٢- أشعياء ٤٦ : ٥ .« بمن تشبهوننى وتسووننى وتمثلونى لنتشابه »

٣- أشعياء ٤٦ :٩ .

«اذكروا الاوليَّات منذ القدم لانى أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلى».

٤- إرميا ٢٣ ،٢٤

« العلى إله من قريب يقول الرب ولست إلها من بعيد إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة أفما أراه أنا يقول الرب . أما املأ أنا السماوات والأرض يقول الرب » .

إن الاجهزة الالكترونية براهين على دحض نظرية التجسد ، فالراديو ينقل لنا الصوت ونحن فى منازلنا كما ينقل للملايين فى ارجاء القطر ولم يقل أحد بالتجسد .

والتليفزيون ينقل لنا الصوت والصورة حيث نكون فى غرف مغلقة كما ينقلها للملايين فى القطر ، والقمر الصناعى ينقل لنا الصوت والصورة عبر القارات فى ارجاء المعمورة ولم يقل أحد ؛ بالتجسد .

إيهام المسلم بأن أحبار اليهود ورجال اللاهوت هم أهل الذكر

يعرضون آيات من القرآن الكريم فى شموخ وعلياء على أنهم أهل الذكر وواجب توقيرهم واجلالهم .

١- سورة يونس آية ٩٤

﴿ فَإِنْ كُنتَ فِى شَكٍّ مما أنزلنا إِلَيْكَ فَاسْألِ الَّذين يقرأون الكِتَاب من قَبْلِك ﴾

وهنا يبترون الآية فلا يقرأونها كامله « لَقَدْ جَاءَكَ الحقَ من ربِّك فلاَ تكونَنّ مِنَ المُمْتَرِين ﴾

٢- سورة النحل آيه ٤٣

﴿ وَمَا أرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً نُوحِى إِلَيْهِم فَاسألوا أهْلَ الذكْرِ إن كُنتُ لا تَعلمُون ﴾ - وهنا يبترون النص فلا يقرأون الآية ٤٤ - ﴿ بالبَيِّنَات الزبر وَأنزلنا إِلَيْك الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للناس مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

٣- الأنبياء آية ٧

﴿ وَمَا أرْسَلْنَا قَبْلَكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِى إِلَيْهِم فَسْألُوا أهْلَ الذكْرِ إن كنتمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾

الخاتمة

مرة أخرى لا نجد خيرا من دعوة القرآن لإحقاق الحق وطرح الباطل ، قال تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (آل عمران : ٦٤) .

وقوله : ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم ﴾ (البقرة : ٢٥٦) .

﴿ إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ﴾ (الزمر آية ٧) .

﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ (آل عمران : آية ٧١) .

﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ﴾ (آل عمران :٩٨) .

﴿ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (آل عمران : ٩٩) .

﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾

﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق

إنما المسح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة إنتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ﴾ (النساء : ١٧١) .

﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (آل عمران : ٨٥) .

هذا هو قول الله ، ومن أصدق من الله قيلا ..

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرأ كما حملته علي الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به وأعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فأنصرنا علي القوم الكافرين ﴾ .

وصلى اللهم على النبى المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

تم بحمد الله وتوفيقه

عبد الفتاح حسين الزيات

الجيزة - فى ١٩٩٨/٨/١٨

مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم

٢- صحيح البخارى

٣- صحيح مسلم

٤- الفصل فى الملل والأهواء والنحل — لابن حزم

٥- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى — ابن قيم الجوزية

٦- الإسلام والمسيحية — د.خلف محمد الجراد

٧- بحوث فى علم الأديان المقارن — د. محمد شامة

٨- المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل — للمسعودى

٩- المسيح فى القصص القرآنى — للشيخ عبد الحفيظ القرنى وحمزة النشرتى

١٠- هل الأديان أوهام ؟ — د. توفيق أبو نصرة

١١- الرهبنة فى الميزان — القس إبراهيم عبد السيد

١٢- الكتاب المقدس

١٣- خمسون الف خطأ فى الكتاب المقدس — د. أحمد ديدات

١٤- الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية — القس إبراهيم عبد السيد

١٥- الإسلام والأديان — د. مصطفى حلمى

١٦- تنقيح الأبحاث للملل الثلاث — سعد بن منصور بن كوفة

١٧- النصرانية والإسلام — مستشار محمد عزت الطهطاوى

١٨- أقانيم النصارى — د. أحمد حجازى السقا

١٩- عقيدة التثليث فى المسيحية — د. محمد أبو الغيط الفرث

٢٠- نصوص يهودية — ت. على الجوهرى

٢١- الدياطسرون	د. أبو الفتوح عبد الله بن الطيب
٢٣- المسيحية	د. أحمد شلبى
٢٤- عقائد النصارى الموحدين	حسنى يوسف الأطير
٢٥- النصيحة الإيمانية لنصر بن يحى	ت. أحمد حجازى السقا
٢٦- نظرات فى إنجيل برنابا	محمد على قطب
٢٧- الانجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا	القس عبد المسيح بسيط أبو الخير
٢- الأناجيل والأعمال	الأنبا موسى الاسقف العام
٢٩- قانون الإيمان	الأنبا يوحنا نوير
٣٠- علم الأخلاق المسيحية	القس فايز فارس
٣١- حياة يسوع -عليه السلام	د. بترسن سميث ت. حبيب سعد
٣٢- العرش الإلهى	القس صموئيل مشرقى
٣٣- مناظرة بين الإسلام والنصرانية	
٣٤- الفارق بين المخلوق والخالق	
٣٥- محمد فى القرآن والانجيل والقرآن	الشيخ إبراهيم خليل أحمد .
٣٦- سبيل المسيح	إبراهيم فارس
٣٧- كتاب الحياة ترجمة تفسيرية للأنجيل	
٣٨- الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف	د. يحى محمد على ربيع
٣٩- هل الكتاب المقدس كلام الله	د. أحمد ديدات ت. إبراهيم خليل
٤٠- الصلب وهم أم حقيقة	د.أحمد ديدات ت. إبراهيم خليل
٤١- الغفران بين الإسلام والمسيحية	الشيخ ابراهم خليل أحمد
٤٢- القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم	د. موريس بوكاى
٤٣- قصة الحضارة	ول . ديورانت
٤٤- معالم تاريخ الإنسانية	هـ . ج - ويلز

فهرس الكتاب

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة